أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ - ربيع الاول ١٤١٠

Reader's Digest
المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest October '89 N° 131

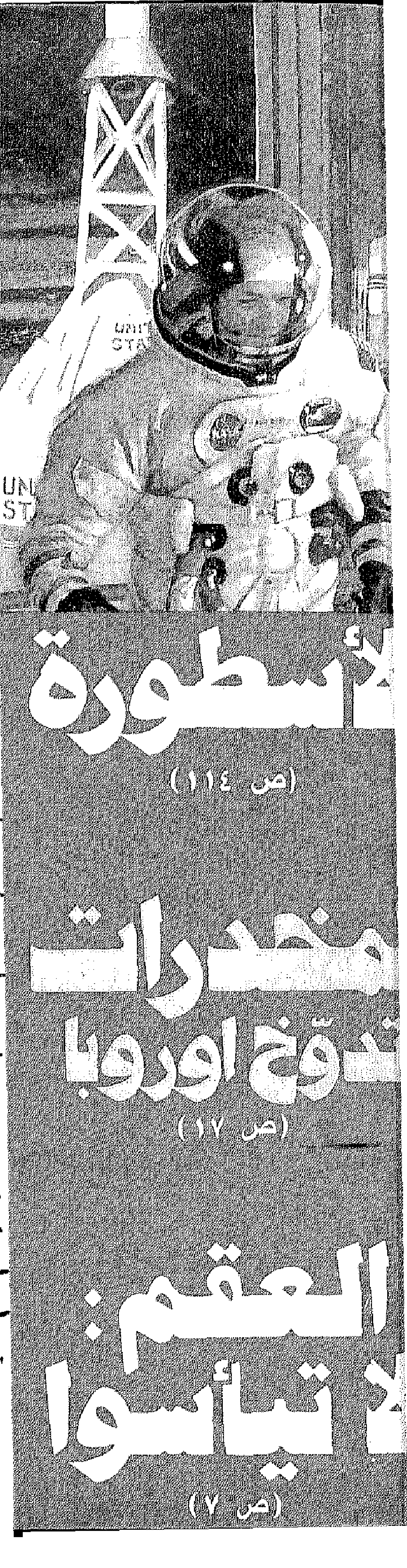
عاصفة من نار (مأساة واقعية) ١١
لوحات على الارض ٢٤
الياقوت أغلى الحجار ٣٢
مارغريت تاتشر، قائدة معاصرة ٣٧
صيادون ٤٢
البطل الصغير ٤٤
روائع الفن السابع ٥١
"انتربرايز"، مدرسة الامل ٥٩
كلاريدج، قصر في فندق ٦٦
عيد طائرات الورق ٧١
أصوات الوطن ٧٨
كفاح امرأة ٨١
الاوزة المعجزة ٨٧

الكوابيس أحلام طفولة! ٢٨

جزيرة الصخر والريح ٩٢
احذروا الاطباء المشعوذين ٩٨
رجل السفينة الطويلة ١٠٤
دهشات ٣

حديقة أفكار ٥ - الضحك خير دواء ٢٧ - أصداء من عالم الطب ٧٧
تأملات معاصرة ١٠٣ - دائرة المعارف ١٤٣

أوسع المجلات انتشارا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريا





مجـلة شهريّـة

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١ –٣٤٩٤٧٧ التلكس, MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.
Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

October '89 N° 131 (New Series) Vol. 11

ريـدرز دايجسـت
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعـات الدوليّـة
ئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

لبنان ٥٠٠ل – سورية ٣٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف –
السعودية ١٠ر – مصر ١٫٢٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٧ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب –
تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢٫٢٥د

تمر في حياة كل منا
حوادث استثنائية مثيرة
لا نتوقعها في ايام عادية

دهشات

هل حدث لك مرة أن لاحظت نواميس الكون الجوهرية معلقة موقتا وان كل شيء يسير على ما يرام؟

تسقط من يدك كأس في المجلى فتثب وترتد تسع مرات من دون ان تنكسر منها رقاقة صغيرة، وتخرج من عملك فتجد ان انوار سيارتك كانت مضاءة كل النهار وبطاريتها "فارغة"، ولكنها متوقفة فوق هضبة وبمجرد دفعها نزولا ترفع قدمك عن دوّاسة القابض للمرة الاولى فيدور المحرك في الحال. وترسل شيكا الى المصرف للقبض وقد نفد رصيدك من المال فيعود اليك الشيك لانه فاتك ان تاريخ السحب كان يوم عطلة. والنوبة القلبية التي اصابتك لم تكن سوى غازات في المعدة.

انها امور غريبة تحدث لاناس عاديين في ايام عادية.

اهداء اقلام التلوين

بصفة كوني عمّاً لولد بلغ سنته الثانية عرّفته على اقلام التلوين القصيرة والثخينة والسمينة. ووضعت احدها في يده فأمسك به وتفرّس في وجهي. فأخذت يده ورسمت بالقلم علامة كبيرة حمراء على صفحة ورق. عندها ومَض ضوء في رأسه ولم يعد هناك من سبيل الى ثنيه عن ذلك.

والى مجموعة الاقلام التي اشتريتها للولد اشتريت مجموعة لاستعمالي الخاص تضم ٦٤ قلما. في الوقت ذاته اشتريت مجموعة ثالثة لوالد الصبي وامه. وهكذا نشأت لدي عادة شراء اقلام التلوين.

وسواء اعطيت الاقلام لبالغ سن الرشد او الولد، فاني الاحظ ان رد الفعل هو واحد: الدهشة والغرابة. فالاولاد يبتسمون ثم يبدأون بالعمل على اقرب صفحة ورق وقد

يرسمون أي شيء تطلبه منهم. والبالغون يبدو على وجوههم تعبير قريب من البلاهة يمتزج فيه الحنين بالبهجة فيبدأون بإخبارك عن كل ما مرّ بهم من اختبارات بأقلام التلوين: عن اول علبة لهم واستعمال كل اقلام التلوين ومحاولة ترتيبها في علبة ووضعها على اشياء ساخنة لتجعلها تذوب وبريها على ورق مشمّع وضغطها بالمكواة على زجاج النوافذ الملوّن وصولا الى... أكلها.

ان اقلام التلوين لمدهشة حقاً. فما هي سوى مجرد شمع نفطي اضيفت اليه مادة ملوّنة ورباط تماسك بينهما - وكلها اشياء ليست بذات شأن، الى أن تزيد عليها ومضة من افق تصورك وخيالك.

نبتة الهندباء الممتازة

كان جاري مولعاً، الى حد الهوس، بمرجة العشب. وكل سنة تنتابه هبة جنون لرش مبيدات الأعشاب الضارّة فيبدأ



بمزج المواد المضرة في دنان في مرآبه.

ففاجأته ذات صباح في فناء منزلي وهو يرش نبات الهندباء الممتازة. فقال لي مبرراً عمله: "لم اعتقد حقاً انك ستهتم لقتل هذه الاعشاب الضارة."

وحدث انني مولع بالهندباء فهي تفترش فنائي في كل ربيع بزهور صفراء بديعة. والزهور تضيف نكهة طيبة ولوناً رائعاً الى المشروبات الكلاسيكية الخفيفة. حمّص الجذور واسحقها وخمّرها فتحصل على قهوة طيبة المذاق. اما النبتات الطريّة فيصنع منها شاي مقو. والنحل تستسيغ الهندباء فتنتج عسلا من الصنف الرفيع.

لو كانت الهندباء نادرة الوجود وسريعة العطب لزرعها الناس في بيوت زجاج مكيّفة وانشأوا جمعيات للعناية بها. ولكنها منتشرة في كل الاماكن تقريبا لذلك نسمّيها اعشابا بريّة ونعمد الى التخلص منها.

اما انا فأقول انها زهور وزهور جميلة وساحرة احياناً. اذ حين تحول الزهور بذوراً وتنفخ فيها بالمقدار الكافي من القوة، تنعتق منها الوف الطوافات الصغيرة الجميلة وتطير بعيدا فتحقق رغبتك.

هدية من غريب

عندما وصل رجل يدعى ف.ب. مينون للمرة الاولى الى نيودلهي في الهند، بحثا عن عمل في الحكومة، حدث ان سُرقت كل حقائبه ومقتنياته الشخصية في محطة السكة الحديد. لذلك كان- لا بد له من العودة الى بيته على قدميه مهزوما. ولما كان في حالة يأس فقد تقدم من رجل من طائفة السيخ طاعن في السن وشرح له متاعبه وطلب ان يقرضه ١٥ روبية الى ان يجد عملا. فأعطاه الرجل المال وامتنع عن اعلامه عن اسمه وعنوانه اللذين اصر عليهما مينون رغبة منه في رد المال.

وقال له ما معناه ان المساعدة اتتك من رجل غريب فعليك ان تردها الى رجل غريب ايضا. ولم ينس مينون ذلك الدين وقد نال شهرة في ما بعد لاعماله الخيرية الكثيرة.

وقبل مدة كنت في مطار بومباي انتظر لدفع الرسم وتسلم حقائبي، ولم يكن لدي عملة هندية ولم يرض الموظف المسؤول بقبض شيك سياحي بالمبلغ. واذا برجل غريب كان يقف الى جانبي يدفع المبلغ عني اي ما يعادل ٨٠ سنتاً امريكياً ثم اخبرني قصة مينون ورفض اي محاولة مني لايجاد سبيل لرد القيمة اليه، وروى لي ان والده كان مساعد مينون.

لم تكن الهبة كبيرة انما كانت مهمة من حيث المبدأ فهي انطلقت برجل مجهول من السيخ، الى موظف حكومي هندي، فإلى مساعده، فإلى ولده ثم الي أنا الغريب في لحظة ارتباك واحباط، وهي تكشف روحاً كريمة سامية وتتركني مديونا مشمولا ببركة العطاء!

روبرت فولغوم ■



اينشتاين عصري

كنا نتناقش في صف الاقتصاد حول موضوع شركة مصاعد تبيع انتاجها في أنحاء العالم. وأدرج الاستاذ على اللوح بعض القوى التي تؤثر في عمل الشركة، ومنها الجو السياسي وشروط تداول العملات وقيود الاستيراد. وسألنا أن نسمّي قوى أخرى تؤثر في شركة عالمية للمصاعد، فأجاب صوت من الخلف: "الجاذبية."

أ.و.

عاصفة في حافلة

ركبت الحافلة في يوم عاصف عائداً الى البيت. كان السير بطيئاً بسبب الازدحام، وعندما توقّفت الحافلة عند أحد المنعطفات، صعدت امرأة وبادرت السائق بحدّة: "أين كنت؟ اني أنتظرك هنا وسط العاصفة منذ ٢٠ دقيقة."

فأجابها السائق على الفور: "ها أنت أخيراً! لقد بحثت عنك في كل مكان!"

ك.ك.

مثالية سبيلبرغ

يقول مخرج الافلام الغرائبية ستيفن سبيلبرغ: "أميل الى اللاواقعي في اختيار مواضيع أفلامي. فهناك عدد كاف من المخرجين الذين يصنعون أفلاماً تعكس الحياة اليومية. أنا مثالي وأعتقد أن الاشياء يجب أن تكون دائماً أفضل مما هي. فإذا تعذّر ذلك في الحياة اليومية، حقّقته في فيلم سينمائي."

م.ك.

حديقة أفكار

- ليس التقدم في السن مزعجاً، بل المزعج أن نعتبر مسنين.

كيني روجرز، مغنّ أمريكي

- الأمل عاطفة عنيدة جداً.

غ.س.

- الصديق هو من يشعرني بأنني مقبول كلياً.

أ.ر.

- لطالما سحرني أسلوب الذاكرة في نشر الحقيقة.

ديان سوير، صحافية تلفزيونية

- أكثر ما يزعجنا في الناس هو ما نكرهه في نفوسنا.

و.و.

- لدى كل جيل قناعة بأن انهياراً مؤسفاً في الاخلاق قد حصل.

ب.د.

- في اللعب نكشف أي نوع من الناس نحن.

أوفيد، شاعر روماني (٤٣ ق.م. - ١٧ م.)

- يراودني أحياناً أننا وحيدون في الكون، وأحياناً أخرى يراودني خلاف ذلك. وفي الحالين تذهلني الفكرة.

آرثر كلارك، كاتب قصص علمية - خيالية بريطاني المولد



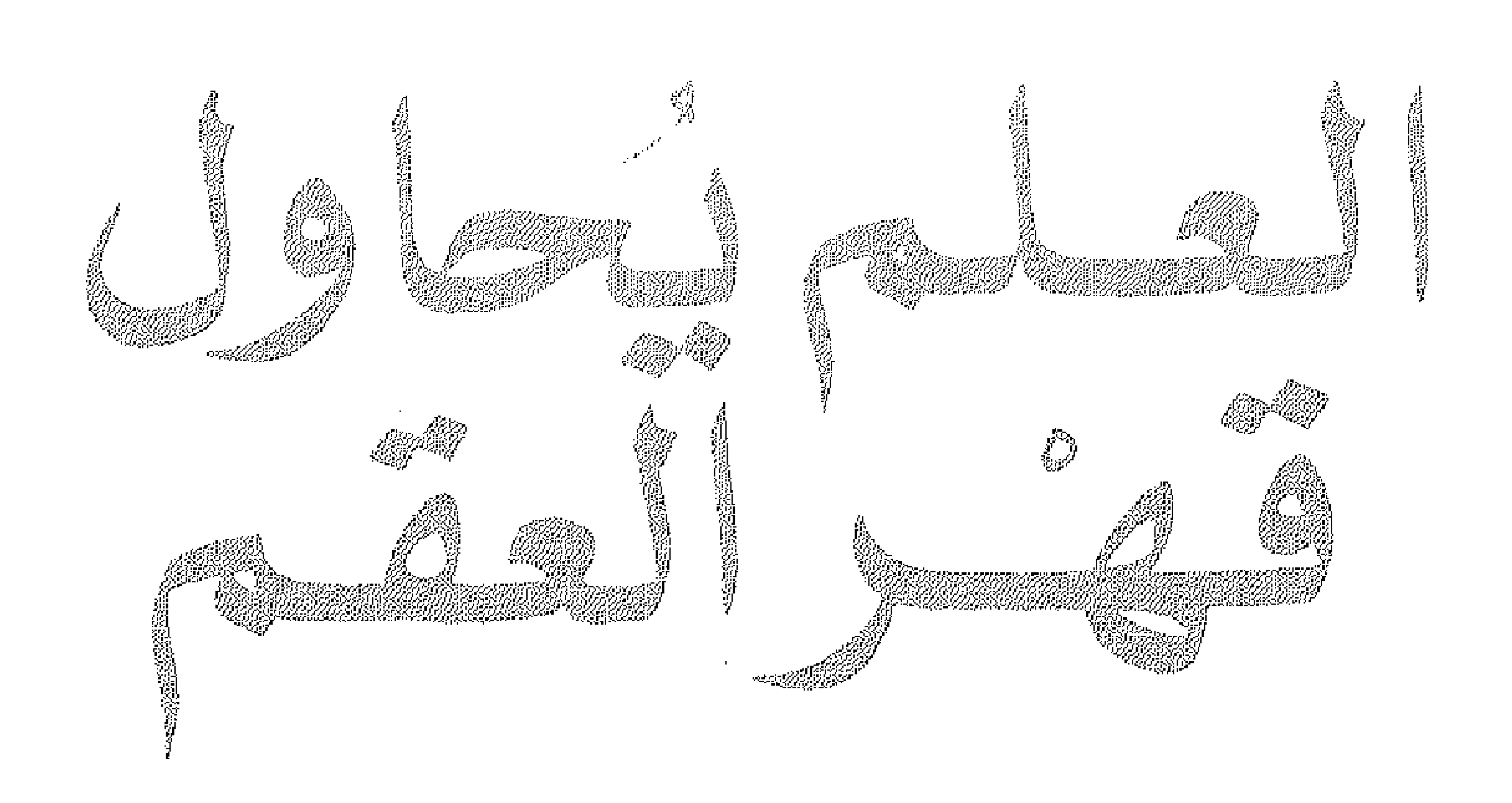
دعي طفلك ينمو مع سيريلاك
سيريلاك
Cerelac
Wheat-Banana
Cerelac
Rice بالأرز
Cerelac
Wheat-4 fruits
Nestlé
سيريلاك
الطعام الأول لطفلك بالملعقة
عندما يبلغ طفلك شهره الرا
لا يعود الحليب وحده يكفي
عليك بوجبة من سيريلا
سيريلاك متوفر بعدة أنواع تلائم
طفلك. سيريلاك يحتوي على ا
الغذائية الأساسية التي
لطفلك نموا متنا
وسليما.
تضمن
نستله

Reader's Digest
المختار

أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩
ربيع الاول ١٤١٠

السنة الحادية عشرة
(سلسلة جديدة)

مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع



في سبيل انجاب ولد
كثيرون من الازواج العاقرين يبذلون كل شيء تقريبا مهما غلا ثمنه او بعدت فرص نجاحه

منذ تسع سنوات وديبورا غِيريتي (٣٦ عاما) وزوجها، كيفن (٣٩ عاما) يسعيان الى انجاب ولد. وقد جربا كل ما احتوته جعبة الطبيب الاخصائي في شأن العقم: إمناء اصطناعي بواسطة الزوج، معالجة بالهورمونات، الجراحة، الاخصاب في الانبوب، نقل خلية مشيجية ناضجة الى داخل قناتي فالوب، معالجة الأجسام المضادة للمنيّ. وقد تكلفا ٣٥ ألف دولار واهدرا اسابيع من العمل وتحملا آلاما لا حدّ لها اضافة الى الاجهاد والارباك. وهما يقولان إنهما غير نادمين لكنهما يشعران بأسف عميق لان الطب عجز عن اعطائهما ولداً.

لا احد يعرف بالضبط عدد الاشخاص الذين يشكون العقم. حتى في الولايات المتحدة فإن الارقام قليلة وقديمة. واستنادا الى مسح عام ١٩٨٢ يقدر تقرير حديث لمكتب الكونغرس عن تقويم التكنولوجيا (OTA)، ان هناك ٢،٤ مليون من الامريكيين المتزوجين غير مخصبين وهم عاجزون عن الانجاب بعد سنة على الاقل من الجماع الفعليّ. ويزداد عدد الذين يعودون اطباء النساء والاخصائيين

بالبول وعلماء الغدد الصم والجراحين وغيرهم من المهنيين، وقد انفقوا عام ١٩٨٧ وحده ما يفوق المليار دولار على الخدمات المعنية بالعقم.

وفيما يثير التساؤل عن اخلاقية المساعدة الطبية في التناسل، موضوعاً للجدل لا ينتهي فان التساؤلات عن الوسائل ذاتها وفاعليتها واكلافها وسلامتها، تبحث حاليا بدقة في العلن.

ان العقم لدى النساء يرجع عادة الى مشاكل ناتجة من الإباضة وقنوات فالوبية تالفة او مصابة بندوب او بورم بطاني رحمي اي وجود نسيج رحمي في تجويف الحوض. اما لدى الرجال فانه ناتج عموما من انتاج محدود او غير طبيعي للمني. وقد يكون احد الزوجين عاقرا سواء اكان الزوج أم الزوجة. وفي بعض الحالات يكون كلاهما عاقرا. وهناك نحو ٢٠ في المئة من الازواج غير المخصبين من امثال الزوجين غيريتي، لا يعرف الاطباء مصدر علّتهم. ويقدر مكتب الكونغرس لتقويم التكنولوجيا ان نصف اولئك الذين يعالجون يتحولون من غير مخصبين الى مخصبين.

وثبة انطلاق. بعد ستة اشهر من المحاولات الفاشلة لتحقيق الحمل، توجهت دبي وزوجها الى الطبيب الاختصاصي الذي ارشدهما الى استخدام ميزان الحرارة لتخطيط حرارة دبي الاساسية (BBT) وتحديد موعد الإباضة.

ان مراقبة الحرارة هو، عادة، الخطوة الاولى في معالجة عقم الزوجين. وعندما تبين من تخطيط BBT ان إباضة دبي كانت طبيعية" بدأ طبيبها مجموعة فحوص تشخيصية قياسية اشتملت على فحص بعد الجماع (اخذ عينة مخاطية من عنق الرحم لتحليل نشاط المنّي)، فحص بطانة الرحم مجهريا (استئصال نسيج من داخل بطانة الرحم لتحديد مستوياته الهورمون)، فحص منوي (لتحليل منيّ الزوج) وتشخيص من طريق تنظير البطن (ادخال منظار جراحيا في السرّة يسمح للطبيب بفحص المبيض والرحم وقناتي فالوب).

ان اجراءات التشخيص تهدف الى معرفة الصدع في عملية التوالد وتحديد امكان رأبه. فاذا تبين، على سبيل المثال، ان منيّ الرجل غير نشيط او غير متحرك بما فيه الكفاية، فقد ينصح الزوجان بتجربة الإمناء الاصطناعي بواسطة الزوج (AIH). واذا ظهر التهاب في بطانة رحم الزوجة كان لها الخيار بين ان تلجأ الى الجراحة او المعالجة بالهورمونات.

ان التشخيص هو الطريقة المثالية والاقصر لتحقيق الحمل، ولكن الفحوص قد تجرى بغير دقة وعناية او تساء ترجمتها او يجري تجاهلها او لا تجرى مطلقاً. ويقول الدكتور جاي غرودن الاستاذ السريري في طب التوليد والنساء في جامعة جورج واشنطن بواشنطن، وهو اختصاصي بالعقم: "اعرف امرأة كانت تتناول عقار الإخصاب "كلوميفين" ومرّت سنة ولم يُجرَ فحص لزوجها."

ويضيف: "ان المرضى هم مستهلكون فلو ارادوا شراء سيارة فانهم يفتشون كثيراً. ولكن بعض الناس يدخل مكتب

الطبيب من دون تفحّص حتى معتمداته". فهذه يجب ان تكون الخطوة الاولى التي على المريض القيام بها.

وتشرح دبي وضعها: "بعد تسعة اشهر من الفحوص، لم تكن هناك اي مشكلة معروفة لمعالجتها." فقد كانت اعضاء الزوجين التناسلية، في الظاهر، في حال جيدة. لذلك اقترح عليهما الطبيب الانتقال الى مستشفى جونز هوبكنز في بلتيمور بماريلاند للمعالجة وفق برنامج للعقم.

عولجت دبي بدواء كلوميفين الذي يفترض فيه ان ينشط الإباضة. ولما لم تحصل على نتيجة بدأت معالجات لمدة ستة اشهر بالامناء الاصطناعي بواسطة منيّ زوجها بالاضافة الى الكلوميفين.

وحين اخفقت عملية الإمناء الاصطناعي من طريق الزوج للزوجين غيريتي، عمد الاطباء الى تجربة الاخصاب في الزجاج أي الانبوب (IVF)، اي اتحاد المنيّ والبيضة في صحفة مسطحة في المختبر قبل زرعها في الرحم. وقد طوّرت هذه العملية لمساعدة النساء اللواتي لديهنّ قنوات فالوب لا تقوم بوظيفتها. اما الآن فان عدداً قليلا من الأزواج يطلبون معالجة العقم بطريقة الأنبوب. فالمرأة التي تعالج بهذه الطريقة يجب ان تكون ملتزمة بها. ففي سبيل تنشيط الإباضة والمساعدة في دعم الحمل في وقت مبكّر، تحقن المرأة يوميا بالهورمونات قبل الإباضة. وتجري مراقبتها بدقة بواسطة فحوص الدم ومقاييس السّمع. وتنقل البيوض بعد ان يتم اخصابها وتمزج بالمنيّ المجموع الذي تكون عزلت منه بالقوة المركزية الطاردة، الخلايا الاكثرها تحركا، في عملية تدعى "غسل المنيّ."

انما، احصائيا، تظل فرصة الحمل من طريق الانبوب قليلة. ويقدر أن دورة تنشيط إباضة واحدة بواسطة الاخصاب في الانبوب توفر للزوجين فرصة ٩ في المئة لانجاب ولد. وفي الواقع فان ٤٠ في المئة من برامج IVF في الولايات المتحدة والبالغة ١٨٠، لا تزال تعوزها سبل الانجاب.

حين خضعت دبي غيريتي للفحص بالمنظار خلال المعالجة بـ IVF، اكتشف اطباؤها شيئا لم يروه قبلا، وهو نمو بطاني رحمي على مبيضها. ففكروا ان هذا يجب ان يكون العلة في المراحل كلها. فاجريت لها جراحة في مارس (آذار) ١٩٨٦ وتعافت خلال ستة اسابيع. ثم بدأت قياس حرارة جسمها مرة ثانية واكتشفت انها عاجزة عن الإباضة فاعيدت الى استعمال كلوميفين ثم صُرفت عنه واعطيت عقاراً اكثر قوة هو HMG (*).

وكما في IVF اقتضت هذه المعالجة زيارات يومية للطبيب لاجراء فحوص الدم وتخطيط حدة السمع. وتغيّبت المرأة كثيراً عن عملها الى حد انها اضطرت الى تركه.

الاجسام المضادة. تركت دبي برنامج جونز هوبكنز عندما بدأت تعمل قسما من الوقت في العاصمة واشنطن وتعاقدت مع طبيب تناسلي للغدد الصم في ارلنغتون، بفرجينيا الذي اصاب نجاحا في عملية

(*) Human Menopausal Gonadotropins or Pergonal

نقل خلية تناسلية حية عبر قناة فالوب. وتعرف هذه التقنية بـGIFT. وعلى غرار IVF تسعى GIFT الى استرداد البيوض، إنما في GIFT تولج البيوض والمنيّ حالا بواسطة قثطار (ميل) الى قناتي فالوب حيث تترك للإخصاب بذاتها. لكن ويا للأسف فان هذه العملية قد اخفقت.

وكاد الزوجان غيريتي ان يقررا الكف عن السعي الى الانجاب من طريق المساعدة الطبية، عندما تلقيا اقتراحاً لاجراء فحص آخر يعتمد الكشف عن اجسام مضادة للمنيّ وقد وجد فحص منيّ الزوج ايجابيا. وعلى الاثر جرب الزوجان طريقة "غسل" معدّلة للمني بغية ازالة الاجسام المضادة القاتلة من منيّ الزوج.

وتوضح دبي الامر: "في الاثني عشر يوما الاولى من دورة الحيض تابعت برنامجا لتنشيط الهورمونات يعتمد كلوميفين وHMG كما في عمليتي IVF وGIFT. وفي اليوم الثالث عشر ذهب كيفن لمعالجة منيّه وأجري لي بعدها الإمناء الإصطناعي."

يقدر ان معدل ثمن انبولة HMG ٢٨ دولاراً (تحتوي محاقن دبي نموذجيا على انبولتين واحيانا ثلاث او اربع). فاذا اضفنا ثمن الكلوميفين وكلفة الفحص الفوق السمعي والمختبر والممرضة وأجر الطبيب، ترتفع فاتورة المعالجة بأدوية الإخصاب الى ٣ آلاف دولار. اما المعالجات بالانبوب فانها اكثر كلفة وتصل الى ٤ آلاف و٥٠٠ دولار وحتى الى ٨ آلاف دولار لدورة الحيض الواحدة. لكن الازواج الذين يتكبدون هذه النفقات الباهظة يكونون ملمّين بكلفة معالجة العقم المرتفعة.

ويقال ان عملية التشخيص الكاملة قد تكلف ٣ آلاف دولار، فيما عملية الإمناء الاصطناعي التي هي اقل كلفة نسبيا وتبلغ ٨٥ دولاراً فقط، قد تسبقها اتعاب استشارة بـ٣٠٠ دولار وهذه تتم عادة لست مرات.

وترافق النفقات الكبيرة عوامل عاطفية لها ثمنها وتكاد لا تحصى: كالانحطاط وانخفاض تقدير الذات وتعطّل الوظائف الجنسية والقلق والهم والغضب. تقول دبي انها كانت تبكي لساعات حين تعاودها دورة الحيض، وتضيف امرأة اخرى حملت في آخر الأمر: "كنت غير قادرة على التعامل مع الناس الذين انعم الله عليهم بالاولاد، وكنت كمن يرى جزءا من ذاته يموت. انك لتحزن من اجل شيء تعتقد انك لن تحصل عليه."

في نهاية المطاف ادركت دبي "انه حان الوقت كي نكف عن المعالجة." انما مهما كانت معالجة العقم شاقة ومضنية فان التوقف عنها يفوقها صعوبة. لقد اقتضى للزوجين غيريتي اكثر من ثماني سنوات ليتخذا ذلك القرار وقد شعرا الآن براحة البال اذ عرفا ان الطب عاجز عن ان ينجب لهما ولداً.

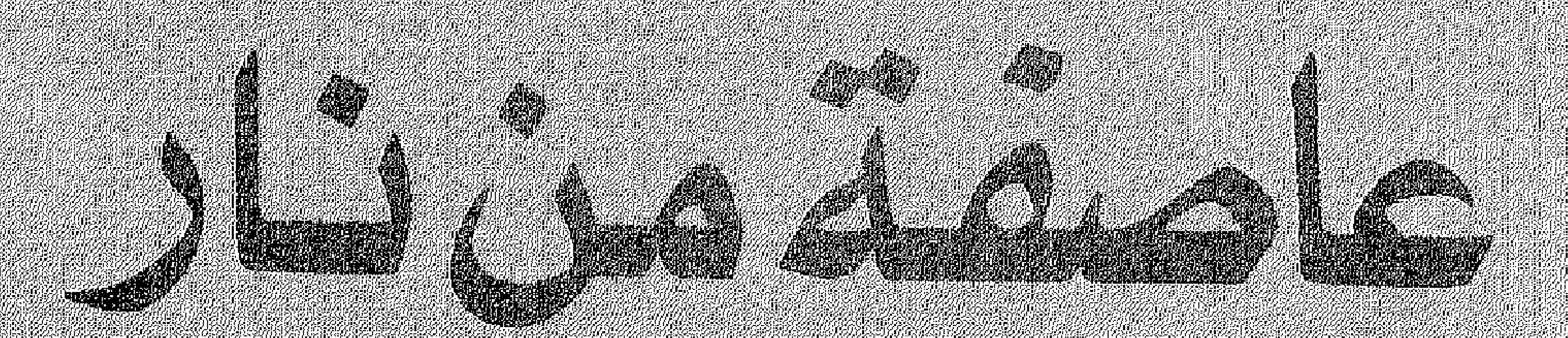
وهي تستخلص: "إن عدم القيام بما قمنا به كان قد جعلني أشعر انني انا المخطئة لانني أحجمت عن المحاولة. ولكننا لا نرغب ان نبقى من دون اولاد، لذلك نسعى الى تبنّي ولد خاص بنا. فأن يكون لك ربيب لأهم من ان يكون لك ولد بيولوجي بفعل المعالجات الاصطناعية."

سو هالبرن ■

ذلك "السبت الأسود" الهائل الأثر

خذني يا رب، لكن أنقذ والديّ، بينما كان جحيم النار يلتهم

الغابة التي تمتعوا فيها بأيامهم



عاصفة من نار

كانت كاثلين هدجز (١٦ عاماً) لا تزال مستيقظة وقد مضى نحو ساعة وهي تتقلّب في كيس نومها، بينما استسلم والدها بات (٣٥ عاماً) وأخوها كايت (١٥ عاماً) لسبات عميق. أما ميستي، كلبة العائلة، فالتفّت على ذاتها بالقرب من كاثلين وبدا كأنها تحلم ثانية إذ كانت قائمتاها تنتفضان وذيلها يخبط المشمّع الذي فرشته العائلة على الارض الباردة.

كان ذلك يوم السبت في العشرين من اغسطس (آب) ١٩٨٨ إلا أنه بدا كأحد ايام يناير (كانون الثاني) في منطقة هورس شو كانيون الواقعة على ارتفاع ٢٧٠٠ متر في برية ابروكا - بيرتوث بولاية مونتانا.

مع مغيب الشمس سكنت العصافير المغرّدة ولم يعد يُسمع في المحميّة المحيطة بحديقة يلوستون الوطنية إلا همسات النسيم المتغلغل في أشجار الصنوبر وخرير مياه جدول هورس شو المنساب في سفح المنحدر على بعد ٤٥ متراً من المحميّة.

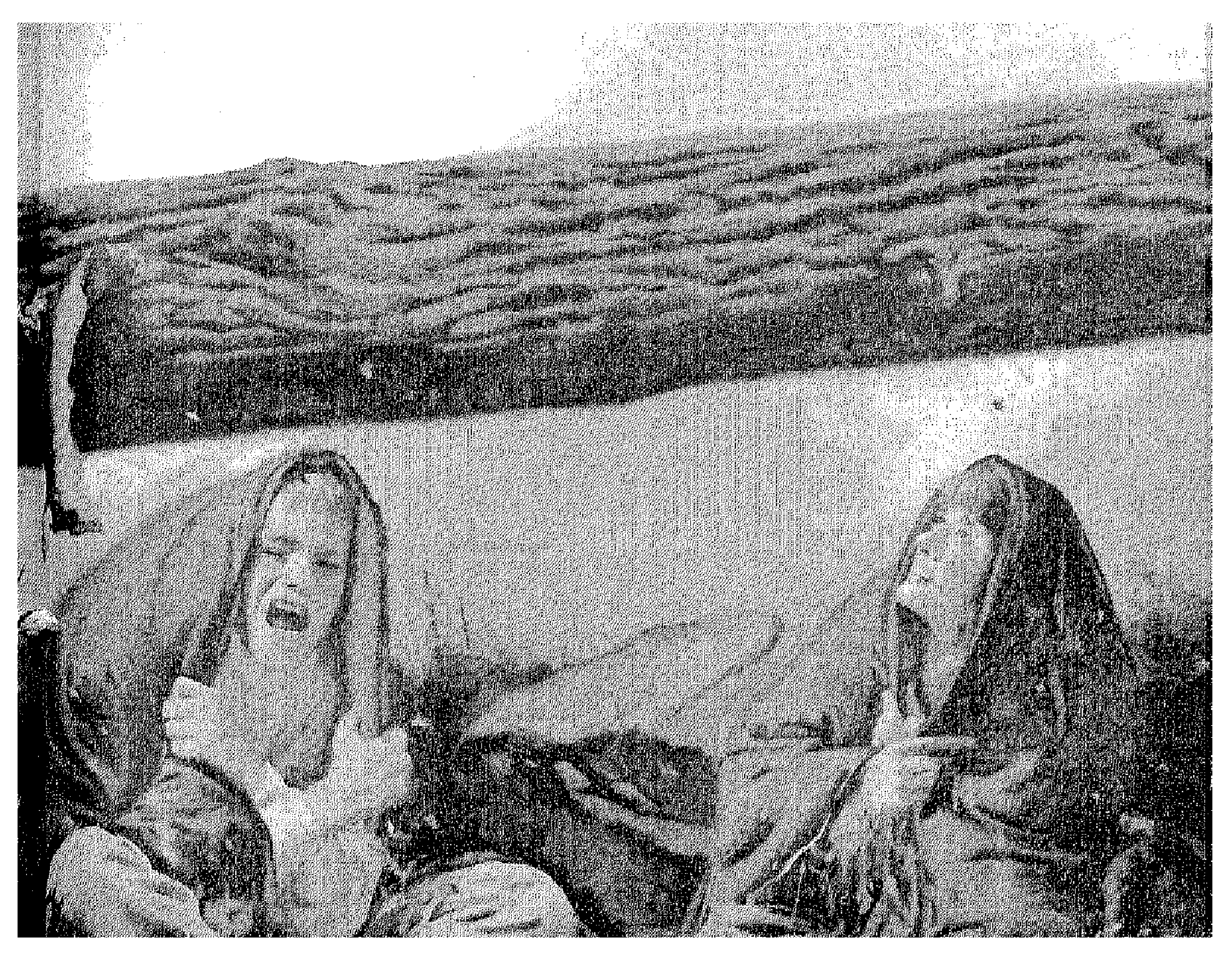
لم يكن البرد هو الذي منع كاثلين من

Photo: James Woodcock / Billings Gazette

النوم، بل وهج برتقالي مخيف بدا في الافق الشرقي وتسمّرت عيناها عليه. فخلف ذلك الأفق كان حريق يلتهم احدى غابات منطقة يلوستون التي غلب عليها الجفاف فباتت عرضة للكثير من الحرائق.

★ ★ ★

"لا داعي الى القلق، فالحريق يتأجج على بعد ١٥ كيلومتراً ولم يتقدم كثيراً خلال اسابيع." هذا ما جال في فكر بات وهو يستعد للذهاب في رحلة طويلة على الاقدام لصيد السمك في جدول هورس شو النائي. وكان بات ضابطاً في دائرة إطفاء مايلزسيتي في مونتانا وهو خير من ألمّ بأمور الحرائق. في غضون ذلك، بقيت زوجته سوزان في عربة التخييم مع اولادهما الثلاثة الآخرين. وبينما كانت كاثلين تراقب الوهج لفت نظرها أمر آخر: "ابي اني ارى السنة لهب!" جلس بات في فراشه وفرك عينيه اذ بدا له فيض من اللهب الاصفر ينهمر فوق القمة التي تنخفض ٤٥٠ متراً عن مكان التخييم، ثم يتدفق كالزئبق في الوادي الضيق. اتسعت عينا بات دهشة وتساءل كيف تطور الحريق بهذه السرعة. وبعد هنيهة شعر بلفحة حارة تحولت في ثوان ريحاً هوجاء. ومن خلال الدخان، رأى بعينين شبه مغمضتين الرياح تزكي اللهب فتحوله جداراً من نار يرتفع ثلاثين متراً. وتسلّق الجحيم الهادر المنحدر بسرعة البرق فتداعت الاشجار امامه واهتزت



الارض لسقوطها المدويّ. فأدرك بات على الفور انه وعائلته باتوا في مسار عاصفة النار بل قاب قوسين من السنة لهبها. كان بات يعلم ان عاصفة النار تأكل نفسها مولّدة رياحها. وسرعان ما يتحوّل تيار الهواء الصاعد من لهبها شبه اعصار قد تصل حرارته الى ٦٥٠ درجة مئوية، أي ما يكفي لتقريح البشرة على الفور. عاين بات في ما مضى ما يمكن ان يفعله الحريق بالانسان. لذا أجبر نفسه على تمالك أعصابه اذ شعر بالحرارة تلهب خدّيه ثم صرخ: "كاثلين، انتعلي حذاءك، كايث، استيقظ، لقد وصل الحريق الينا."

لم يرَ بات امامه سوى خيارين لا يأمل الخير في اي منهما

فإما أن يتجاوزوا الاشجار بتسلّق المنحدر مسافة ٨٠٠ متر في درب يجهلونها، واما أن يركضوا في اتجاه النار للتمدد في مياه جدول هورس شو القارسة البرودة. لكن اي قدر من الحماية يمكن ان يؤمنه جدول تكاد تنضب فيه المياه؟

بدأت الجذوات تنهمر من السماء مشعلة بؤراً من النار حول العائلة، وزادت سرعة الريح الى ما يقارب ١٣٠ كلم في الساعة.

صرخ بات بصوت علا زمجرة الريح: "احملا اكياس النوم، سننزل الى الجدول."

صرخت كاثلين "ميستي" وهي تمسك

Illustration. Dan Brown



بالكلبة التي لازمتها اكثر من ثماني سنوات. "قلت تحركا" قال بات، وقد أصبح الحريق على بعد مئات الامتار من الجدول.

انحدرت كاثلين نحو الجدول حاملة ميستي بين يديها متعثرة تارة بالصخور وطوراً بجذوع الاشجار المتساقطة، وفجأة وجدت نفسها وسط دخان كثيف يحدق بها ولم تعد ترى احداً فنادت: "ابي! كايث". فأجابها كايث بصوت يعلو عزيف الريح العاصفة: "أنا هنا."

كان بات أول الواصلين الى الجدول واضطرب قلبه حين رأى مياهه التي لا يتجاوز عمقها رسغ القدم فتساءل: "كيف زججت ولديّ في هذه الورطة؟" وإذ بصوت آخر في داخله يقول: "لكن لا تجزع."

تعلم بات كيف يقهر الخوف خلال السنوات التي امضاها في مكافحة النار. هذا ما كان يعتقده على الأقل لكنه الآن لم يعد واثقاً منه. لحق الولدان ببات، واذ تعثّرا وهما يخرجان من بين اشجار الصنوبر نظر كايث الى الجدول الصغير وقال: "الى اللقاء في الجنة" فنهرته كاثلين: "اصمت،" فهي عقدت العزم على الاّ تموت أياً تكن الاسباب اذ ما زال لديها الكثير تنجزه كأن تذهب الى الجامعة وأن تصبح مصممة أزياء... وتحطمت شجرة بالقرب منهم فهزّت الارض تحتهم وامطرتهم بوابل من ابر الصنوبر المشتعلة. وصرخت كاثلين اذ اصابتها احداها في وجنتها ووقعت أخرى على شعر بات فسارع الاولاد لنزعها. "هيا بنا" قال بات وقفز الى مجرى الجدول الذي تغذيه الثلوج فوجده أكثر برودة مما كان يتوقع، ولهث ولداه اذ خاضا مياهه.

على بعد حوالى اثنتي عشرة خطوة امتد جذع مهترىء كجسر بارتفاع متر واحد فوق الجدول موفّراً حماية ضد الاشجار المتساقطة، أما مياه الجدول الجارية تحته فقد ارتفعت الى اكثر من ثلاثين سنتيمترا بفعل حجرين ضخمين مكورين اعترضا مسارها.

★ ★ ★

وسط وميض النار الحارقة رأى بات ولديه كما لم يرهما من قبل: كايث ذو الوجه الناحل خائف ويتوق بكل جوارحه ان يكون رجلا. وكاثلين قوية لا تنقصها العزيمة. فابتهل: "خذني يا رب لكن احفظ ولديّ حيّين." بذل بات قصارى جهده كي يحافظ على هدوئه وقال لولديه:

"حسنا، اليكما الخطة: نبلّل اكياس النوم ثم نستلقي في الماء ونرفعها فوقنا، ستجدان الماء أكثر برودة مما تتصوران لكن عليكما أن تلبثا مستلقين تحت الاكياس." في هذه الاثناء اشتعلت بؤر نار كثيرة في الوادي الضيق خلفهم وغدا التراجع مستحيلا. لقد علقوا.

"امسكا بيدي" طلب بات من ولديه. وقال: "سنحتاج الى مساعدة لتخطي هذه المرحلة." وبدأ يصلي: "ايها الآب السماوي، نحن اولادك، لقد وعدتنا بالحماية عندما تدعو الحاجة، ونحن نعقد الآمال على هذا الوعد..." وقال الثلاثة معاً: "آمين" وهم يضغطون ايدي بعضهم بعضاً مستقرّين في مياه الجدول.

كادت عاصفة النار أن تلفّهم وإذا بالكلبة ميستي تتحرّر فجأة من بين يدي كاثلين وتركض في اتجاه جدار النار.

ولبثت كاثلين واقفة وصرخت "ميستي،" فرد بات: "ستعود ابقي هنا،" ثم سمع الكلبة تعوي من الالم فأطلقت كاثلين أنيناً خافتاً.

فجأة تذكر بات الجعب، لقد تركوها في مكان التخييم. وعرف انه في حال نجاة ولديه سيضطران الى مسيرة يومين على الاقل من دون طعام وعدّة إسعافات أولية، فقال: "سأعود لآتي بالجعب،" فتوسلت اليه كاثلين: "ابي أرجوك لا تفعل." اذ أنّ النار كانت ازدادت تأججاً في ذلك الاتجاه وطاولت رؤوس الاشجار.

تجاهل بات طلب كاثلين وتسلق المنحدر لكن السنة اللهب أجبرته على العودة. ولما أعاد الكرة تحطمت شجرة امامه وكادت أغصانها المتناثرة أن تصيبه في وجهه. وفي المحاولة الثالثة تمكن من الوصول الى الجعب فوجد أغطيتها الواقية من المطر قد ذابت. وعندما حاول التقاطها، أحرقت إطاراتها المصنوعة من الالمنيوم يديه فأنتزعها من رباطاتها وجرّها منحدراً بأقصى سرعته، وهوى بها الى الجدول في اللحظة المناسبة.

اصبحت عاصفة النار على مسافة دقائق من الجدول وكان بات وكايث وكاثلين جاثمين في الماء الجليدي يرتجفون من البرد والخوف. أنذر بات ولديه: "لا تقفا حتى وان ارتفعت حرارة الاكياس فوقكما، بل حاولا تبليلها من جديد." في هذه اللحظة عوت ميستي، فصرخت كاثلين: "انها على قيد الحياة،" وصفر بات بحدة فظهرت الكلبة من بين الشجيرات. أسرع بات نحوها وجذبها الى الجدول وأوثق حزامه حول عنقها كالطوق.

بعد لحظات غمر لهب مريع مجرى الجدول ورفع بات عينيه في نظرة خاطفة الى أعلى فرأى في السماء كرة نارية برتقالية اللون ذات ذنب مشع من اللهب والدخان، تقذف الحمم المتلألئة بالشرارات الصفراء. وفكّر بات بزوجته كم سيسبب لها موتهم من ألم فقال في سرّه: "سوزان سامحيني."

★ ★ ★

على ضفتي الجدول، تقوست جذوع الاشجار نحو الاعلى، وتشققت وتكسّرت محدثة صخباً وضجيجاً ثم توهجت مرسلة انواراً خاطفة. وتفتتت الصخور وتناثرت قطعاً صغيرة. وأشعلت جمرة متطايرة أحد طرفي جذع الشجرة حيث كان الثلاثة يحتمون فأخذت كاثلين تغرف الماء وتلقي به فوق اللهب.

ومضت اللحظات والحرارة ترتفع والرياح تصفر في آذانهم فتساءل بات: "هل سينتهي الامر؟" وإذا بالعاصفة تتلاشى فجأة وجدار اللهب يبتعد صعوداً نحو الجبل، فهمدت الرياح تاركة بات وكايث وكاثلين وسط الجذوات المحترقة والدخان المتصاعد. كل بقعة في الارض كانت تنفث الدخان الكثيف.

قال بات: "لقد مرّ الاسوأ، انتصرنا يا اولاد. لقد نجونا". ولكن ها هم امام مشكلة اخرى، فالغابات لا تزال ساخنة يلفها الدخان الكثيف، لذا لم يكن في وسعهم مغادرة الجدول الآمن. وبات كان يعلم ان الدخان يقضي على الانسان اكثر من الحريق. لكنه لاحظ أن قدمي كايث شلّهما البرد وأسنان كاثلين تصتك بعنف

مما جعلها تعاني صعوبة في النطق... "انه هبوط الحرارة" (*) قال بات في نفسه وقد تعرّف الى اعراضه وبدأت اسنانه ايضاً تصتكّ وهو دليل على انخفاض حرارة جسمه الداخلية الى ما دون ٣٥ درجة مئوية، اذذاك امر بات ولديه بالخروج من الجدول لكن كايث عجز عن ذلك شاكياً: "لم أعد أشعر بقدمي."

ساعد بات كايث على الخروج من الجدول وسط الدخان وكمم الثلاثة أفواههم كل بياقة سترته لتنقية الهواء. وتجمعوا حول بؤرة ساخنة بالقرب من جذع شجرة يتصاعد منه الدخان. تناوب الثلاثة على الجثوم قرب الجذع الخامد، ولم ينم احد منهم طوال الليل. وفي الصباح بدأوا رحلة العودة الى مخيم العائلة وكان على بعد ١٦ كلم.

"يخالجني شعور أن أباكم عائد اليوم." هذا ما قالته سوزان هدجز لأولادها الثلاثة الصغار - والتر وانجي وجنز - صبيحة نهار الاثنين في ٢٢ اغسطس (آب) ولم تكن عودة بات وكايث وكاثلين مفترضة قبل نهار الأربعاء. واقلق سوزان لون السماء الدخاني فصلّت: "يا الهي احفظهم." وأخبرت اولادها مازحة انها ستعد ضلوع حمل للعشاء وهو طبق بات المفضل.

في وقت متقدم من بعد ظهر ذلك اليوم وبينما كانت سوزان تعد المائدة خارج المخيم سمعت انجي تصرخ: "امي انظري خلفك". فالتفتت سوزان وقد أخرستها المفاجأة، ها زوجها وولداها أمامها سود كالفحم من الرأس حتى أخمص القدمين. تكلم بات أخيراً: "هل كنتم ستتناولون ضلوع الحمل وحدكم؟"

أطلقت وسائل الاعلام اسم "السبت الاسود" على العشرين من اغسطس (آب) ١٩٨٨. فقد أتى الحريق في ليلة واحدة على حوالى ٦٥٠ كيلومتراً مربعاً من منطقة يلوستون الكبرى وعمّ الدمار الانحاء وأنتشر، فاضطرت الحكومة الى تعيين فريق لاعادة النظر في عمليات مكافحة الحريق في الحدائق العامة والمناطق المقفرة. وأوصى الفريق بالتشدد في تحديد الحرائق التي يمكن التغاضي عن مكافحتها.

وحصلت تغيرات اخرى بسبب ذلك السبت، فقد شعر بات ان كايث وكاثلين قد تغيرا من خلال طريقتهما في الكلام وأدرك انهما لم يعودا طفلين.. لقد تغلبا على الخوف وأنقذا انفسهما من موت شبه محتم. وبالمقارنة مع أهوال الحريق شعر بات انهما الآن أكثر استعداداً لجبه الشدائد في المستقبل. ويضيف بات: "بعد جدول هورس شو بت أعلم أن ولدي أصبحا قادرين على جبه الحياة."

جون ل. مور ■

(*) Hypothermia



ليس هناك من هو ميّال الى انتقاد عمل الآخرين مثل شخص لا يقوم بأي عمل.

س.أ.ب.

● كانت السيارة ذات الدفع الرباعي العجلات في منتصف الطريق المؤدي إلى فيلا قرب فارو على ساحل البرتغال الجنوبي يبلغ ايجارها الشهري ٢٠٠٠ دولار، عندما برز فجأة من بين الاشجار ستة رجال مصوبين مسدساتهم نحو السيارة. فصرخ السائق وهو يرفع يديه فوق رأسه: "اللعنة. ايها الشرطيون، كيف تمكنتم، من العثور علينا؟"

شبكة المخدّرات يطوّق اوروبا

تدفق كميات ضخمة من حشيشة الكيف والهيرويين والكوكايين الى شبه الجزيرة الايبيرية مما يهدّد اوروبا كلها

وفي الفيلا، وجد شرطيو المخدرات ١٤٧ كيلوغراماً من الكوكايين.

● لم يستطع ضباط مكافحة المخدرات الذين اقتحموا المستودع الصغير في بلدة ايرون الواقعة على الحدود الاسبانية الشمالية، تصديق ما رأوا: الف كيلوغرام من الكوكايين موضبة في صناديق من الكرتون واكياس من الخيش واقفاص بلاستيك مموهة. وقدرت قيمة هذه البضاعة بـ٦٠٠ مليون فرنك فرنسي (قرابة ٩٥ مليون دولار امريكي.)

● قاد احد المخبرين الشرطة الاسبانية الى قمة منحدر صخري مطل على البحر الابيض المتوسط، على بعد ٦٠ كيلومتراً

شمال شرق برشلونة. وعثر هناك تحت باب سري على كهف كبير يبلغ حجمه ٢٧ متراً مكعباً، محفور في الصخر وتصله سكة حديد تحت الارض بكهف طبيعي في مستوى سطح البحر. وكان الكهف المحفور في الصخر مليئاً بـ١٧ طناً من الحشيشة المغربية واللبنانية الموضبة باتقان والتي تبلغ قيمها ٨٠ مليون دولار.

ويقدر مسؤولون عن مكافحة المخدرات الكمية المتداولة من المخدرات بعشرة اضعاف الكمية التي تتم مصادرتها. ولذلك جاءت نتائج عمليات الدهم والمصادرة في كل من اسبانيا والبرتغال، السنة الماضية، مذهلة، اذ ان الكميتين المصادرتين اخيراً كانتا من بين كبرى الكميات المصادرة في اوروبا الغربية على الاطلاق. وبذلك أصبح شبه الجزيرة الايبيرية المركز الاوروبي للمخدرات غير المشروعة.

ان تزايد عمليات الدهم سلط الضوء اكثر على ازدهار تجارة المخدرات في ايبيريا. وفي العام ١٩٨٧ صادر الاسبان ٤١٠ كيلوغرامات من الهيرويين و١٢٠٠ كيلوغرام من الكوكايين و٥٤ طنا من الحشيشة. ولكن في العام ١٩٨٨ بلغت كميات المخدرات المصادرة ٤٨٠ كيلوغراماً من الهيرويين و٩٠ طناً من الحشيشة. اما بالنسبة الى الكوكايين فناهزت الكمية المصادرة الـ٣٥٠٠ كيلوغرام - اي ما يفوق كل الكمية المصادرة في اوروبا الغربية في السنة السابقة. ويتحسّر فليكس كالدرون وهو شرطي من قسم مدريد لمكافحة المخدرات قائلا: "ان الرسم البياني لتزايد تهريب الكوكايين يكاد يكون خطأ عموديا."

اما في البرتغال فان الارقام هي اكثر اعتدالا. ففي العام ١٩٨٨ صادرت السلطات البرتغالية ٣٤ كيلوغراماً من الهيرويين و٣٤٣ كيلوغراماً من الحشيشة و٣٥٧ كيلوغراماً من الكوكايين. ويقول جوزيه كارفالهو، نائب مدير الشرطة القضائية هناك: "نعرف أن هناك كمّيات تفوق هذه بكثير لم يعثر عليها بعد."

البداية. ان دخول ايبيريا عالم المخدرات المزدهر يعود على الارجح الى يونيو (حزيران) من العام ١٩٨٣ عندما عدّلت الحكومة الاسبانية الجديدة قانوناً صارماً يعود الى العهد السابق (فرنكو) ويعتبر حيازة اصغر كمية من المخدرات القوية أو الخفيفة جريمة عقابها لا يقلّ سجنا عن ٦ سنوات ويوم واحد. فبالغاء صفة الجرم عن حيازة "كميات صغيرة" مخصصة للاستعمال الشخصي، فتح التشريع الجديد مسارب الفيضان امام دفق المخدرات غير المشروعة التي اغرقت كلا من اسبانيا والبرتغال.

ان الضريبة البشرية كبيرة جداً ومتصاعدة. ففي البرتغال يقدر عدد مدمني الهيرويين بـ٤٠ الفاً يعيثون فسادا في محطات القطار الكهربائي في لشبونة ويترنحون حالمين حول طاولات المطاعم في حي روسيو. وفي اسبانيا تختلف وكالات الاحصاء في تقدير عدد المدمنين، فيراوح عددهم بين ٦٠ الفاً وربع مليون. وفي الحفلات التي تقام على شاطئ "كوستا دل سول" الجميل يقدم النادلون الكوكايين الى جانب الخبز

المحمص المدهون بالجبن والكافيار! وفي مدريد تغلق الحانات شبه الخاصة ابوابها بعد منتصف الليل في وجه الجميع ما عدا زبائنها الدائمين ثم تعيد فتحها في العاشرة صباحاً لتلفظ مجموعات انمكها الكوكايين.

يقول الكولونيل ارسينيو ايوسو، رئيس دائرة مكافحة المخدرات في الحرس المدني الاسباني: "ان السوق المحلية لا تستطيع استهلاك جميع المخدرات المتدفقة الى شبه الجزيرة. ومعظمها يعبر البلاد الى الخارج." فهناك الهيروين الذي يعبر تركيا من ايران وافغانستان وبلدان آسيوية اخرى في طريقه الى الولايات المتحدة الامريكية. وهناك الحشيشة من المغرب ولبنان في طريقها الى فرنسا والمانيا وبريطانيا وهولندا وغيرها من البلدان الاوروبية.

اما الهم الاكبر بالنسبة الى الانتربول، فهو دور شبه الجزيرة الايبيرية الجديد كمعبر رئيسي ومخزن للكوكايين الآتي من امريكا الجنوبية. والانجذاب نحو السوق الاوروبية يسهل فهمه، ففي السنة الماضية بلغ انتاج الكوكايين في امريكا الجنوبية رقماً قياسياً هو ٤٥٢ طناً مما ادى الى اتخام السوق في الولايات المتحدة فانخفض سعر كيلو الكوكايين بالجملة الى ما دون ١٠ آلاف دولار. وعندما وجد التجار ان في امكانهم بيع الكيلوغرام بـ٦٠ الف دولار في اوروبا عمدوا الى البحث عن مدخل أمين اليها.

كلاب مدريد. تحلّق الركاب حول سكة الأمتعة في القاعة الكبرى في مطار باراجاس في مدريد وهم يتذمرون من تأخير وصول حقائبهم. وكان هؤلاء وصلوا على متن طيران "افيانكا" الرحلة الرقم "١٠." من بوغوتا وكاراكاس. قليلون منهم عرفوا سبب التأخير. لقد كانت حقائبهم في الخارج تخضع الواحدة تلو الاخرى لعمليات تفتيش بواسطة كلب لابرادوري اسود مدرب على كشف المخدرات.

في تلك الاثناء كان المسافرون يخضعون لمراقبة دقيقة من رجال الشرطة السرية في الحرس المدني. وكان الرقيب فرناندو راموس يعلم ما عليه أن يبحث عنه: أمتعة كثيرة أمتعة قليلة. جواز سفر يستعمل للمرة الاولى. ثياباً جديدة. وقد لفتت انتباهه امرأة شابة ترتدي الابيض من رأسها الى اخمص قدميها. ففكر ان لباسها قد يكون علامة تدلّ القادم لملاقاتها على انها ناقلة المخدرات.

حملت المرأة حقائبها والتحقت بصف المسافرين امام الممر المخصص للذين "ليس لديهم شيء للاعلان عنه" في قسم الجمارك. وبإيماءة من راموس تقدمت منها امرأتان تابعتان للحرس المدني وطلبتا جواز سفرها وسألتاها عن حقائبها ثمّ اقتادتاها بلطف الى حيث فتشتاها.

وبعد نصف ساعة هرعت احدى المفتشتين الى مكتب الرقيب راموس وهي تلوح بصورة اشعة: "انها وسخة!" فقبل هبوط الطائرة في مدريد ابتلعت المرأة ذات اللباس الابيض ما لا يقل عن ٧٠ كرة مطاط مصنوعة من اصابع القفازات التي تستعمل في العمليات

الجراحية، وكانت تحتوي الواحدة منها على ٨ غرامات من الكوكايين. فأمر راموس بنقلها الى المستشفى لتنظيف معدتها تمهيدا لتوقيفها.

ان ناقلي المخدرات في مقابل نيلهم كمية منها او في مقابل مبلغ من المال، والذين يدعون "جمالاً" أو "بغالاً"، يجندهم التجار الذين لا يخاطرون بأنفسهم. فمن التشيلي يبعث تاجر يعمل خارج بيونس ايريس، خمسين رسولا كل اسبوع الى ايطاليا عبر لشبونة او مدريد يحمل الواحد منهم قرابة ٤ كيلوغرامات من الكوكايين. وإن قبض على عشرة منهم في مكان ما على الطريق، فان ما يبقى للتاجر، اي ١٦٠ كيلوغراماً، يستحق العناء.

ويتابع التجار نقل بضائعهم جوّاً الى المطارات الدولية الثلاثين في اسبانيا والبرتغال. اما التكتلات الكبرى لتجار المخدرات فتتحول بشكل متزايد نحو السفن العابرة للمحيطات والتي تستطيع نقل كميات كبيرة من البضائع. وهناك عشرون مرفأ بحرياً رئيسياً ومئات المرافىء الصغيرة واعداداً لا تحصى من الخلجان السرية حيث يمكن السفن الصغيرة ان ترسو فيها وتسلم البضاعة المهربة الى منتظريها. ويقول الكولونيل ايوسو: "تملك اسبانيا شاطئاً بطول ٨٠٠٠ كيلومتر، ولا يمكننا السيطرة عليها كلها."

ويملك كلا البلدين جزراً - مثل الباليريكس والكناري في اسبانيا. والازور والماديرا في البرتغال. ويتساهل رجال الشرطة في الجزر عادة مع المسافرين فلا يُخضَع الذين يدخلون شبه الجزيرة الايبيرية لتفتيش جمركي دقيق. ويقول احد الديبلوماسيين الاجانب في لشبونة: "نتيجة لهذا الوضع تشكل الجزر محطات رئيسية لتهريب المخدرات."

ان سهولة الدخول واللغات المشتركة تتيح لتجار امريكا اللاتينية مجال تنظيم الشبكات الضرورية لنقل مخدراتهم واخفاء اموالهم. عملياً يمكن جميع مواطني امريكا الجنوبية زيارة اسبانيا والبرتغال من دون تأشيرات. وهم يدخلونهما ويخرجون منهما بحرية تامة.

ويقول الكولونيل ايوسو: "هناك امريكيون لاتينيون كثيرون يعيشون في اسبانيا. ويبدو أن كثيرين منهم لا يقومون بأي عمل ولكنهم يعيشون برفاهية. ونحن نفترض انهم متورطون في تجارة المخدرات ولكننا نجد صعوبة في إثبات ذلك."

وإن تأكد للشرطة تورط هؤلاء، فهي قد لا تستطيع فعل شيء ضدهم. ففي شهر ديسمبر (كانون الاول) الماضي طلبت الحكومة الامريكية من اسبانيا توقيف المتهم اندي اغلاسياس وتسليمها ايّاه، ويعتقد انه عضو في "تكتل مادلين" في كولومبيا، وهو مطلوب لقيامه بعمليات ابتزاز. وكان اغلاسياس الذي اتهم بشحن ما يقارب الطن من الكوكايين من كولومبيا الى الولايات المتحدة الامريكية، يقضي وقته على شاطىء "كوستادل سول" منذ شهر اكتوبر (تشرين الاول) الماضي، وقد بعثت الولايات المتحدة ثلاث رسائل منفصلة تطلب فيها من اسبانيا اعتقاله. ويقول احد ضباط ادارة

مكافحة المخدرات الامريكية: "لقد زودناهم عنوانه ورقم جواز سفره وانواع سياراته وارقام لوحاتها ورقم هاتفه واسماء أقاربه واصدقائه، اضافة الى اسماء المقاهي المفضلة لديه، ولكننا ما زلنا ننتظر النتائج."

الوضع [illegible] وان وجدت الإرادة، تبقى الطاقة البشرية غير متوافرة. فاسبانيا تملك اقل من ألف شرطي وحارس مدني مولجين بمهمات مكافحة المخدرات. أما البرتغال فلديها اقل من ثلث هذا العدد. وكثيرون من الموظفين في هذا الميدان يتولون اعمالا إضافية اخرى. ويشرح احد الحراس المدنيين في برشلونة الوضع كالآتي: "هنالك ٣٥ عنصراً من وحدة الشرطة السرية مسؤولون عن مكافحة المخدرات في مدينة يقرب عدد سكانها من مليوني نسمة، ومهما حاولنا فاننا نبقى عاجزين عن السيطرة على الوضع."

وهناك الرواتب المتدنية التي لا تساعد على اجتذاب عناصر جديدة: فراتب موظف مكافحة المخدرات في قسم الشرطة القضائية في البرتغال لا يتعدى الـ٤٨٥ دولاراً في الشهر. والرواتب في اسبانيا ليست افضل منها بكثير.

والى الراتب المتدني يضاف الفساد في الادارة. ويقول احد الديبلوماسيين المعتمدين في برشلونة: "لقد واجهت البرتغال مشكلة الفساد في الشرطة القضائية قبل سنتين، ولكنها استطاعت ان تتخطاها. أنما اليوم فالمشكلة هي مع الجمارك."

ويلاحظ أحد المراقبين الاسبان انه "كلما ابتعدت عن مدريد، وجدت فساداً اكثر." وفي مالاغا، كان احد متعاطي تجارة الحشيشة يستعمل منزل أحد الحراس المدنيين مستودعاً للمخدرات. وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي اتهم عريفان من شرطة الباسك المستقلة في بيلباو بالمتاجرة بالمخدرات فاتضح انهما من قادة شبكة تستورد الكوكايين من كولومبيا وحدات تزن كل منها ثلاثة كيلوغرامات.

والمحاكم لم تنجُ، هي الاخرى، من الفساد. ففي العام ١٩٨٤ أتهم احد المدعين العامين قاضيين، احدهما عضو في المحكمة العليا، بقبول رشاوى لتبرئة الايطالي انطونيو بارديلنو المتهم بالانتماء الى مافيا نابولي المعروفة ب"كامورا"، والمسجون في اسبانيا في انتظار تسليمه الى الحكومة الايطالية. وهو متهم بتهريب المخدرات وابتزاز الاموال. وبعد تخليته بكفالة بلغت قيمتها ٤٥ الف دولار، اختفى فجأة. وعلى رغم ان التهمة بالرشوة اسقطت عن القاضيين، فقد حوكما بتهمة التآمر والتواطؤ مع المدعى عليه، وأبعد قاضي المحكمة العليا عن وظيفته، إلا ان القاضي الآخر عاد الى منصبه على رغم بقاء بارديلينو طليقاً.

وإن تعذر اثبات وجود الفساد في بعض الحالات، فإن قرارات غريبة صدرت عن المحاكم الاسبانية. مثلا: قضية جورج لويس اوكوا، وهو مربي ثيران وتاجر كوكايين مليونير وأحد قادة "تكتل مادلين." وقد أظهر تعطشاً الى الدم لا مثيل له حتى في كولومبيا. وفي يونيو

(حزيران) ١٩٨٤ سافر الى اسبانيا وتاجر كوكايين آخر مشهوراً يدعى جيلبرتو رودريغيز اوريجوالا. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) اعتقل في مدريد بموجب مذكرة جلب من الولايات المتحدة الامريكية.

وكان اوكوا واروبجوالا استثمرا اموالهما في مشاريع بناء على شاطئ "كوستادل سول"، وفي شراء شقة فخمة ومنزل في مدريد ومزرعة لتربية الثيران على الحدود الاسبانية - البرتغالية التي صادف مرور طريق قديم للتهريب فيها. ووجدت الشرطة في شقة اوريجوالا دفتر حساب يكشف كميات الكوكايين المبيعة في العام ١٩٨٣ والتي بلغ وزنها ٤٠٧٣ كيلوغراماً. ونجح محاموه في انقاذه من عشرين سنة على الأقل في سجون الولايات المتحدة. وفي مارس (آذار) ١٩٨٥ طالبت كولومبيا بتسليمها اوكوا لاستيراده ثيران المصارعة من اسبانيا بطريقة غير مشروعة، وهي تهمة تنطوي على حكم بالسجن لمدة سنتين على الأكثر ودفع غرامة تناهز المليون بيزيتا كولومبية. ثم اضيفت لاحقاً تهمة الاتجار بالمخدرات لدعم الطلب الكولومبي.

وفي يونيو (حزيران) سلم اوكوا الى كولومبيا، ليطلق بعد شهرين نتيجة اسقاط التهم الكولومبية عنه في شأن المخدرات وغرّم في قضية استيراد الثيران.

وهناك قضيتان امام المحاكم الاسبانية تعتبران امتحاناً لجدية اسبانيا في مكافحة المخدرات. ففي مارس (آذار) من السنة الماضية، رفع المشترعون الاسبان مدة الحكم في موضوع الاتجار بالمخدرات من ١٢ سنة الى ٣٠ سنة وفرضوا غرامات قد تصل الى مئة مليون بيزيتا. الى ذلك، خولوا السلطات مصادرة املاك التجار الذين يشترون المخدرات ويجنون ارباحاً غير مشروعة.

أول من سيخضع للمحاكمة بموجب هذا التشريع الجديد هو الكورسيكي جاك انطوان كانافاغيو، المتهم بملكية الحشيشة التي ضبطت الصيف الماضي في الكهف شمال برشلونة. وتقول الشرطة الاسبانية التي قامت بالدهم والمصادرة، أن كانافاغيو كان مزوداً لشبكات الحشيشة في فرنسا وبلجيكا والمانيا وايطاليا. ويعتقد انه تداول الهرويين والكوكايين ايضاً.

المتهم الآخر هو دنيس هوارد ماركس، وهو مغترب بريطاني يُعتقد انه كان يدير اكبر امبراطورية لتهريب الحشيشة والماريوانا من دارته في جزيرة مايوركا، ناقلا اطنان الحشيشة سنوياً من باكستان وثايلند الى الولايات المتحدة وكندا. وبعد تحقيق اجرته خمس عشرة دولة واستغرق ثلاث سنوات، اعتقل في اوائل الصيف الماضي على يد الشرطة الاسبانية بمساعدة موظفي دائرة مكافحة المخدرات. وهو ينتظر الآن قرار المحكمة في شأن تسليمه - او عدم تسليمه - الى الولايات المتحدة.

وبينما تنظر المحاكم الاسبانية في قضايا المخدرات، يخيم شبح هذه المواد على شبه الجزيرة الايبيرية ويتخطاها. وهناك توافق في الرأي بين معظم الحكومات الاوروبية على ان ثمة حاجة

كبرى الى التعاون على المستويين المحلي والدولي اذا أريد وضع حد لانفجار المخدرات الايبيري. وقد عينت النروج وفرنسا وبريطانيا ضباطاً دائمين في سفاراتها في مدريد لملاحقة قضايا المخدرات في اسبانيا والبرتغال.

ويقول الكولونيل ايوسو: "لن نحقق الكثير ما لم يتعلم الاسبانيون والبرتغاليون التعاون بشكل افضل. فالأمر يستدعي انشاء قوة مشتركة تشمل الجمارك وحرس الحدود والحرس المدني والشرطة، ويتطلب مساعدة فعالة من اوروبا وامريكا الشمالية، واشرافاً ممكناً من الانتربول. واذا توافرت الاساليب المناسبة يمكن ملاحقة التجار ومصادرة مخدراتهم واملاكهم وحجز أموالهم في المصارف." وفي حال تعرقل هذه الخطوات، لا يبقى للبلدان الاوروبية سوى توقع ازدياد تدفق المخدرات عبر شبه الجزيرة الايبيرية.

ويوافق على هذا الرأي جان فان دورين مساعد رئيس وحدة التقصي عن المخدرات في هولندا: "ان اسبانيا والبرتغال هما قناة الاتصال ببقية دول اوروبا. ودفاعنا يجب ان يبدأ من هناك."

شارلز بارميتر ■



قلب الأم

في ليلة عاصفة دخلت غرفة ابني الصغير فوجدته مختبئاً تحت حراماته. أخذته بيده المرتجفة وشرحت له أن ما يخيفه هو ظاهرة طبيعية. واقترحت عليه أن يراقب زجاج النافذة ليرى كيف يضيئه البرق، وبعد ذلك يسمع الرعد الذي يليه. وجلسنا نراقب البرق ونصغي الى الرعد. وبعدما غادرت الغرفة سمعت صوته الصغير يناديني: "مامي، الا ترغبين في رؤية البروق معي عبر الزجاج؟"

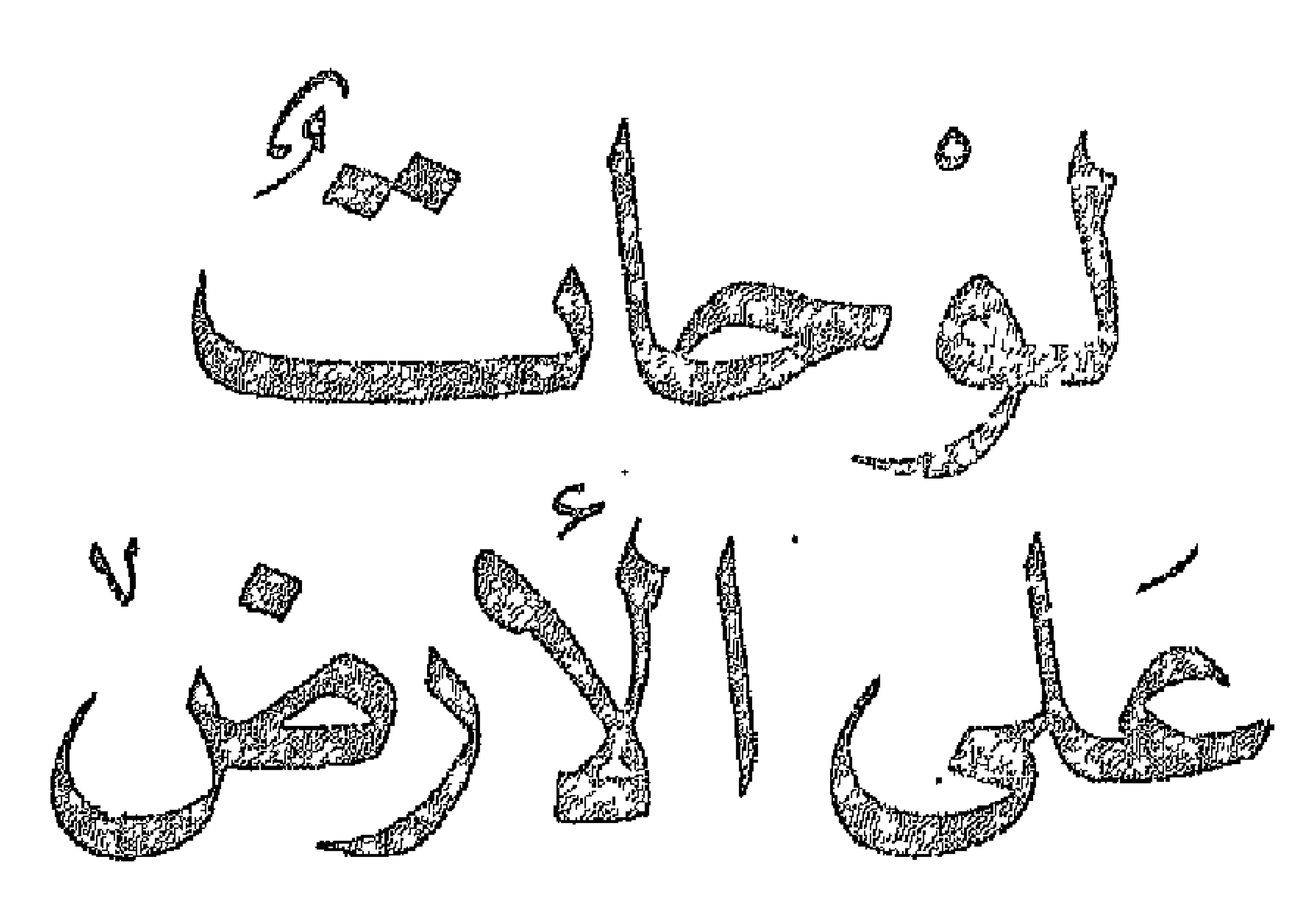
اليوم صار ابني الصغير شاباً مفعماً بالنشاط. وهو يمارس رياضة القفز بالمظلة. كانت قفزاته الاولى بالنسبة اليّ طعنات من القلق القاتل، الى أن أخذ يدي يوماً وقال: "ألا تريدين أن تشاهدي كيف أقفز وأهبط الى الارض؟" فلمعت في ذهني حادثة طفولته وحدتني الرغبة على القول: "يا بني، ألا تريد أن تأتي الى البيت وتبقى معي كما كنت تفعل عندما كنت صغيراً؟"

ا.ا.

من شابه أباه

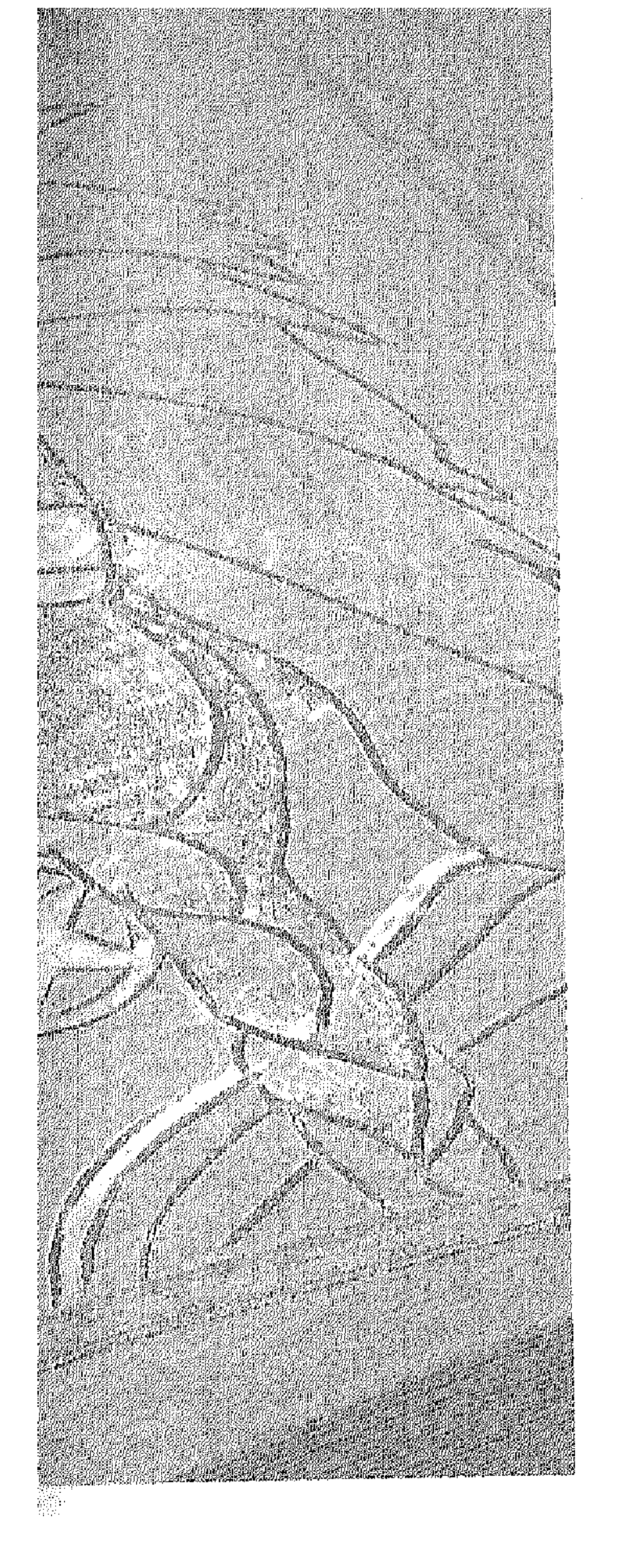
انتقلت عائلة نصار للسكن في شارعنا، وعندما اوقف الابن البالغ الرابعة من عمره درّاجته امام حديقتنا الامامية، حيّيته قائلاً: "كيف حالك اليوم يا جارنا العزيز؟" فرد: "بخير، شكراً." ثم سأل وقد اختلط عليه الامر: "... وهل ظننت انني الاب؟"

ن.ت.



لوحات على الأرض



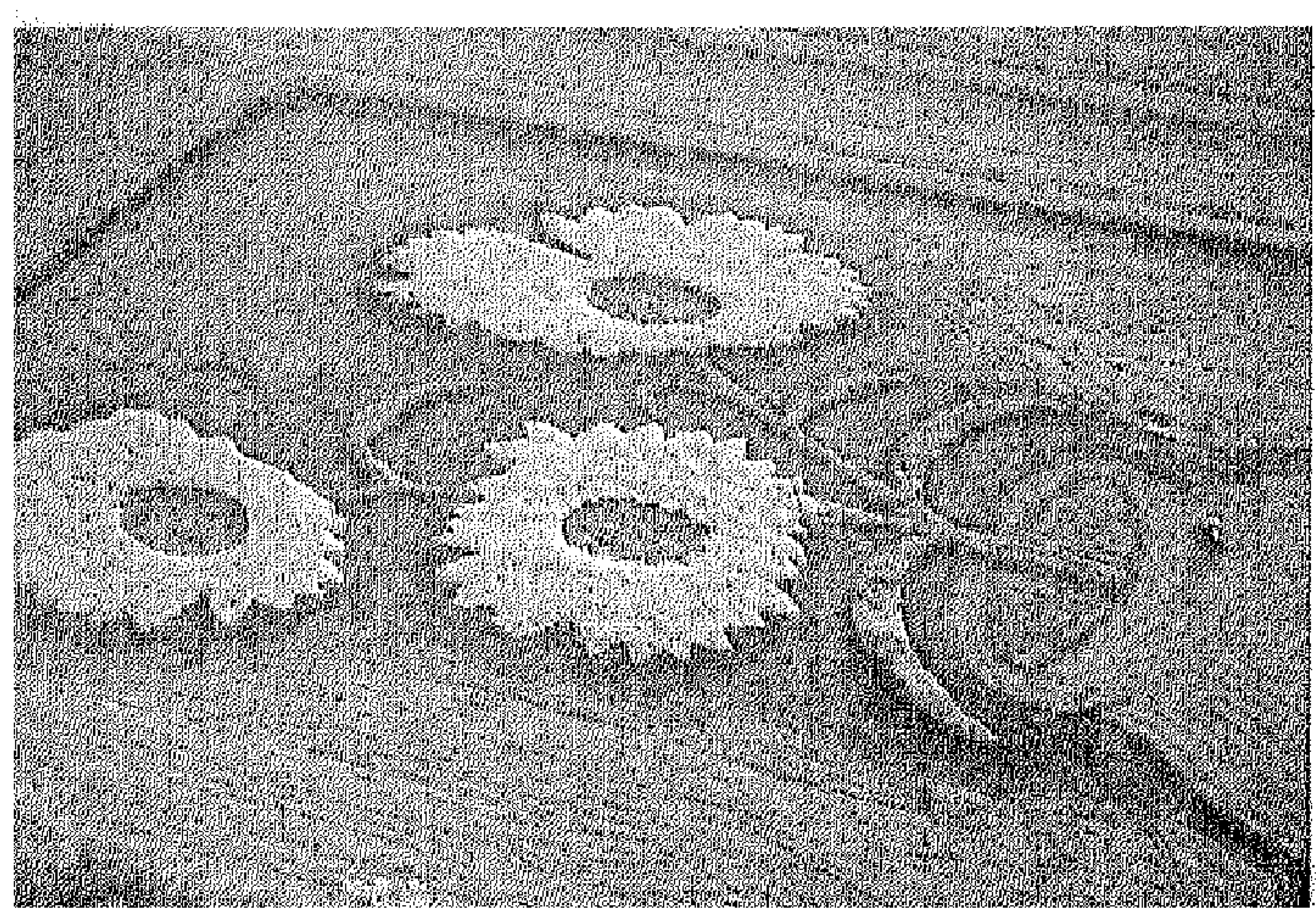


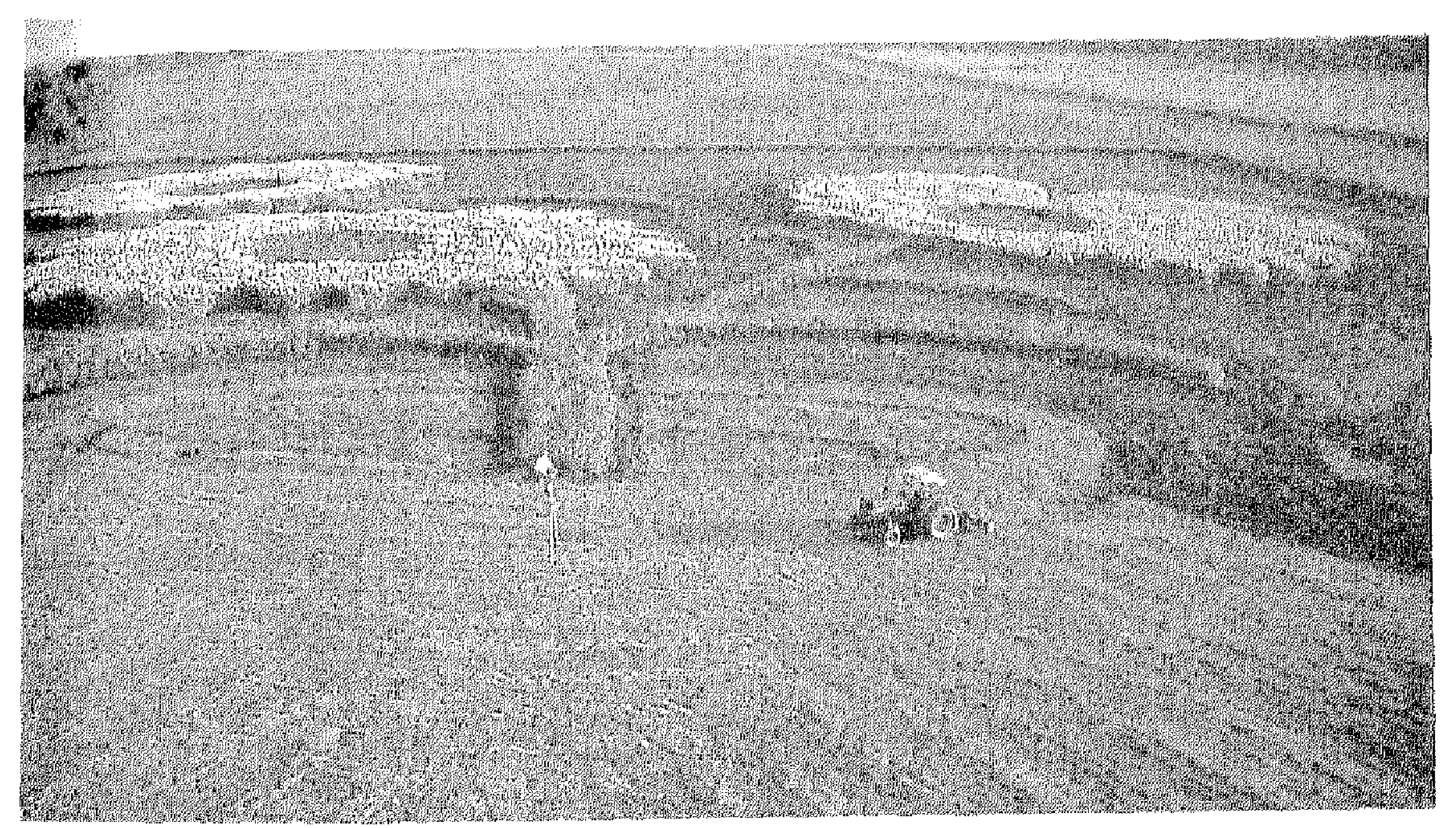
تحلق عاليا في سماء الصيف الملوّنة بالوان الزنبق فوق سهول كنساس الصفراء وتمتد الأراضي الزراعية المرقّعة الى مدى حدود البصر، ثم تشاهد فجأة في الحقول المترامية تحت ناظريك ثلاث زهور دوّار الشمس، زاهية، رائعة مدهشة تبدو كأنها أزهرت في بلاد أوز السحرية وليس في كنساس.

قيل ان الارض هي لوحة المزارع، والفنان ستانلي ج. هيرد اعطى معنى جديدا لهذه العبارة. فحين كان في السنّ الثانية عشرة حلّق بطائرته للمرة الاولى فوق الحقول المجاورة وشاهد كيف "رسمت الزراعة على الارض نماذج

(فوق) رأس ساغينو غرانت المهيب، وهو هندي من قبيلة ساك وفوكس، الذي التقط له الفنان صورة ذات مرة، يشاهد شاخصا من حقل قمح مساحته ١٢٠ الف متر مربع بالقرب من لورنس، كنساس. (الى اليسار) زهور دوّار شمس ضخمة، فول الصويا والبرسيم مزهرة في حقل مساحته ٨٠ الف متر مربع بالقرب من يودورا، كنساس.

Photos: © Daniel Dancer





"الحصاد" بالقرب من لنكولن، نبراسكا تصوّر محصول الارض في لوحة ساكنة بحجم ٤٨ ملعبا لكرة القدم.

المناظر الطبيعية منسجمة باللون والتصميم."

اما عدته الان للرسم فهي جرّار زراعي (تراكتور) ومحراث ذو سكتين وحصّادة ومسلفة قرصية: ومن الفصّة وزهور دوّار الشمس والصويا والشوفان ونباتات غيرها أخذ الألوان للوحته. فبهذه العدّة يرسم على الارض صورا حيّة وصوراً زيتية ساكنة. وهو يرسم تركيباته قياسا على شبكة خطوطها الافقية والعمودية متساوية الابعاد ثم يضبط دقتها من الطائرة.

يسمّي هيرد عمله "فن المحصول" ويشبهه البعض بعمل النازكاس الرؤيوي وهو عمل حضارة ازدهرت قبل ١٥٠٠ عام وخلّفت آثارا غامضة في مناطق الصحراء ببلاد البيرو. فأشكال ستانلي العملاقة كتلك الآثار تحظى بتقدير أفضل لدى مشاهدتها من الجو. وما ان يكمل عملا فنيا حتى يحيط الزبائن حالا بربابنة الطائرات المستأجرة المحلية طالبين نقلهم في الجو لمشاهدتها.

وعلى رغم حجم عمله الفني فانه أقل بقاء من اللوحات الزيتية. وكون محاصيل المزارع ضحية كل العلل التي تنزل بها، ففنّه يتغير مع الفصول، وتكاد تمحو يد الشتاء والصقيع البيضاء الباردة، مجرّد خطوط لوحاته الكفافية.

ويتساءل الناس ويسألونه لماذا اذاً يقوم بهذه الاعمال؟ فيرد هيرد: "نحن كلنا وكلاء زائلون على الارض ونحن ملتزمون الا نفسدها ونتركها لخلفنا كذلك. واود ان اعتقد ان اعمالي الفنية على الارض تثبت ان في امكاننا عمل شيء جميل انسجاما مع كوكبنا وان امّحى بعدها ولم يترك اي اثر. وهذا في نظري هو الفن."

غاري سلدج ■

الضحك خير دواء

المنحوس منحوس !

عندما كنت تلميذة في سن المراهقة شعرت برهبة المدرسين الذين ينادون الطلاب وفق الترتيب الابجدي لاسماء عائلاتهم اذ كان اسمي ناديا اسير. لذلك كنت ممتنة جدا لمعلم اللغة عندما اخبر الصف انه اعتمد خطة تجنب الطلاب الذين تبدأ اسماؤهم بحرفي الف وباء البدء بالتسميع. فهو إما ان ينادي الطلاب باسمائهم وفق الترتيب الابجدي واما ان يناديهم عكس الترتيب الابجدي. واذ تنفست الصعداء راح احد الزملاء يندب حظه.
فسأله المعلم: "ما القصة؟"
فاجاب الطالب: "اسمي امين يمين !"

م. أ. د.

عالمة في افريقيا

ذهبت عالمة اجتماع في بعثة الى احدى الغابات الافريقية، وعندما صوبت آلة التصوير لالتقاط صور للاولاد الافارقة وهم يلعبون، صاح الصغار محتجين. عراها الارتباك فاعتذرت من رئيس القبيلة لقلة احساسها، وقالت له انها نسيت ان بعض القبائل يعتقد بفقد الشخص روحه اذا اخذت صورته. وشرحت له بالتفصيل طريقة عمل آلة التصوير فيما حاول رئيس القبيلة مقاطعتها مرارا ولكن من دون جدوى.
واذ تيقنت انها بشرحها بددت مخاوف الرئيس سمحت له اخيرا بالكلام. فقال مبتسما: "كان الاولاد يحاولون ان يقولوا لك انك نسيت نزع الغطاء عن عدسة التصوير !"

ش. س.

بيت القصيد

كان زوجان يتجادلان بانفعال حول موازنة العائلة عندما انفجرت الزوجة قائلة: "لولا اموالي لما كان هذا التلفاز هنا، ولولا اموالي لما كنت تجلس في هذا الكرسي الوثير، ولولا اموالي لما كان هذا المنزل هنا."
فرد الزوج ساخطا: "طبعا ! ولولا اموالك لما كنت انا ذاتي هنا."

م. ف.

علكة للضغط

خلال رحلة طيران وزعت المضيفة علكة (لبان) على الركاب قائلة لهم انها قد تخفف الضغط في آذانهم خلال الهبوط. وبعد ان حطت الطائرة اقتضى اخراج العلكة من اذني احدى الراكبات ساعة كاملة !

ف. س.

كيف تتغلب

اشباح ووحوش طويلة الارجل تتسلل الى الاحلام وتزرع فينا الرعب

قالت سلمى: "كانوا يخرجون من ارض الحجرة: رجال اليون، عيونهم لولبية وينفثون دخانا اخضر. هرعت الى المطبخ فرأيتهم يخرجون من الثلاجة. وكانت هناك عصابة مجرمين يرتدون سترات سوداء ويقفزون من عتبات النوافذ حاملين السكاكين. فقلت في نفسي: "انه كابوس وعليّ ان استيقظ."

سلمى متطوعة في مختبر للنوم حيث يعمد التقنيون الى ايقاظها في اللحظات الحاسمة لكي يدونوا احلامها. وجاء الرجال الاليون لزيارتها بعد الرابعة صباحاً، وهو الوقت الذي يفضله الكابوس، العدو القديم للإنسان.

معظم الكوابيس القاسية تشبه كابوس سلمى. إنها احلام يعمّ فيها شعور بالعجز ازاء الخطر المحدق، ويسيطر عليها العنف فتضجّ بقوة الضغينة والحقد.

من السهل ان نعزو وجود رجال الكابوس الآليين الى الافلام التي تهوى سلمى مشاهدتها، والسفاحين الى حادثة سرقة حقيقية كانت تعرّضت لها. لكن جوهر حلم سلمى هو الرعب، ذلك الوحش القوي الطاغي الذي كان ولا يزال يطبق عليها في الليل منذ طفولتها.

Illustration: Cynthia Torp

على الكوابيس؟

الاحلام والكوابيس. طالما افتتن الناس بالأحلام وتكاثرت الدراسات حول معانيها وحقيقة ما يحدث في الدماغ خلال الحلم. ولكن دراسة الكوابيس اهملت على نحو يثير التساؤل. ولم تبدأ هذه الاوضاع بالتغيّر الّا أخيرا اذ أجريت دراسات جديدة لاكتشاف عدد الذين يعانون الكوابيس. وعلى رغم ان النتائج لا تزال غير حاسمة، فإنه من المنصف القول ان نصف الناس البالغين على الاقل يتعرّض لكوابيس من وقت الى آخر (أكثر من مرة في السنة) وان عددا قليلا لا يتجاوز ٥٪ منهم يتعرض لها على نحو منتظم (اي اكثر من مرة في الاسبوع).

وهنا اعتقاد سائد ببراءة احلام الاطفال، لكن كثيرا من المراجع المختصة يعتقد ان كوابيسنا تعود، في الواقع، الى طفولتنا. وتظهر الابحاث ان حياة الاطفال اثناء النوم فيها من القلق ما يفوق تصورنا، كما ان حياة اليقظة لديهم تنطوي على مخاطر وتحدّيات اكبر بكثير مما يودّ الوالدون اعتقاده. وتهاجم اشكال غريبة وغير واضحة الاطفال في مهودهم باستمرار وهم يفتقرون الى القدرة على التمييز بين ما هو خيّر منها وما هو شرير. وتقول دراسات حديثة ان هذه المخاوف قد تتحوّل كوابيس.

ولكن لدى البالغين، لماذا تصيب

الكوابيس بعض الناس من دون غيرهم؟

هناك بعض التلميحات حول هذا الشأن في دراسات كتلك التي اجرتها جامعة واترلو في اونتاريو، كندا. فمن بين ٣١٤ طالباً شملتهم الدراسة تبين ان طلاّب الآداب يتعرضون للكوابيس الليلية اكثر بثلاث مرات من الطلاب المتخصصين بالتربية البدنية، مما يشير الى أن بعض أنواع الشخصيات قد تكون اكثر عرضة للكوابيس من غيرها.

اما الجهد الأكثر طموحاً لتحديد اوجه التباين بين الشخصيات فقد قام به ارنست هارتمان البروفسور في كلية الطب التابعة لجامعة تافتس ومدير مركز اضطرابات النوم في مستشفى نيوتن - ولسلي في مساتشوستس.

فمنذ العام ١٩٧٧ اجرى هارتمان عدة دراسات حول اكثر من ١٠٠ شخص يعانون كوابيس متكررة وطويلة الامد، فأخضعهم لاختبارات نفسانية بإجراء مقابلات مع ذويهم ومقارنتهم بمجموعات ضابطة. وللحصول على متطوعين، نشر هارتمان إعلاناً في جرائد بوسطن. وتبيّن ان معظم المتطوعين لهذا الغرض كانوا من الموسيقيين والممثلين والفنانين وغيرهم ممّن يقومون بأعمال فنية خلاّقة.

الرعب الليلي. خلال ابحاثه، طرح هارتمان جانباً عدة اعتقادات قديمة عن الكوابيس. وهو يعتقد مع غيره من الباحثين ان الاحلام المخيفة ليست كلها كوابيس. فهناك الكابوس الحقيقي وهو حلم يكون في اكثر الاحيان طويلا ومعقداً وتبقى تفاصيله حية لفترة طويلة بعد الاستيقاظ. وهناك "الرعب الليلي" الذي يستفيق منه النائم فجأة وهو في خوف شديد وكثيرا ما يصرخ. ويجنح بعضهم الى السير وهو نائم. ويتكرر حدوث هذه النوبات في سن الطفولة وخصوصاً بين سنيّ الثالثة والثامنة ويمكن استمرارها بعد بلوغ سن الرشد.

وخلافاً للكوابيس الحقيقية، يحدث "الرعب الليلي" عادة في أول ساعتين من النوم، وعلى نقيض الكوابيس الحافلة بالاحداث، ليست هناك من قصة مرتبطة به ولا وجود ونياب او لدم يتقطّر. ولا يتذكر النائم شيئاً على الاطلاق، واقصى ما يمكن ان يتذكره شعور معين مخيف مثل الاحساس بشيء يضغط عليه.

وعدا التدابير الوقائية البديهية كالزام الاطفال ببرنامج نوم منتظم والتأكد من عدم وضع سرير طفل يسير اثناء النوم قرب نافذة مفتوحة، ليس هناك ما يمكن القيام به لجبه "الرعب الليلي". وفي مرحلة لاحقة من العمر، قد تحدث نوبات "رعب ليلي" مفاجئة نتيجة الإجهاد وتعاطي المخدرات أو الكحول.

الكوابيس الحقيقية. بعد انتهاء هارتمان من البحث في احلام الرعب الليلية انصرف الى دراسة الكوابيس الحقيقية التي اكتشف انها تأتي على شكلين يتصف كلاهما بالرعب، لكن الكابوس القياسي الذي يعود الى الطفولة نادراً ما يتكرر بتفاصيله، إذ يتغير شكل العدو المهدد وحجمه وشخصيته بين ليلة واخرى ومن سنةالى سنة. وكما في حال سلمى فإن اجزاء

متفرقة من تجارب جديدة تدخل في الكابوس، كما تساهم الكتب والتلفاز في تغيير خلفيته.

اما الفئة الثانية من الكوابيس فيتكرر فيها مشهد الرعب بتفاصيله المتطابقة التي لا ترحم. وهي تعقب عادة حوادث مفجعة ومدمّرة تعرّض لها الحالم مثل حادث سيارة أو حريق أو وفاة صديق حميم، وهي تجارب قاسية يصعب على العقل تقبلها. وخلافاً للكوابيس القياسيّة التي يتطلب حدوثها نوماً عميقاً، يمكن الكوابيس التي تعقب حوادث مفجعة ان تحدث في اي مرحلة.

وفي غالب الأحيان يتقبل العقل الرعب الواقعي تدريجاً الى ان يأخذ منحى التجارب الاخرى في نهاية المطاف، مقدماً بذلك مادة للاحلام العادية. ولكن في بعض الاحيان ترفض مثل هذه المخاوف ترك صاحبها مخلفة بذلك لديه شعوراً بالذنب والعجز يشل حركته. ان افضل ما نقوم به لمعالجة الكوابيس التي تعقب حالا مفجعة هو ان نحدّث بها افراد عائلتنا أو أحد الاختصاصيين.

ومع ذلك، فإن الرعب الذي نواجهه في الحياة لا يتحوّل كابوساً عند كل الافراد.

تشير دراسات هارتمان الى ان الذين يعانون كوابيس متكررة (مرة في الاسبوع على الاقل) يميلون الى العزلة. وهو يرى ان هؤلاء يعتبرون انفسهم متمردين وان بعضهم يشعر بأنه منبوذ.

ويشعر معظمهم، منذ الطفولة، بأنه يختلف قليلا عن غيره، فهو يجد صعوبة في التمييز بين الواقع والخيال، وفي ساعات النهار يجد نفسه منساقا في احلام اليقظة. وتظهر دراسات هارتمان ايضاً ان ذاكرة هؤلاء تعود الى الوراء ابعد بكثير من ذاكرة معظم الناس. وكثيرون من ضحايا الكوابيس المتكررة يستطيعون ان يتذكروا حوادث حصلت لهم ما قبل الثانية من عمرهم.

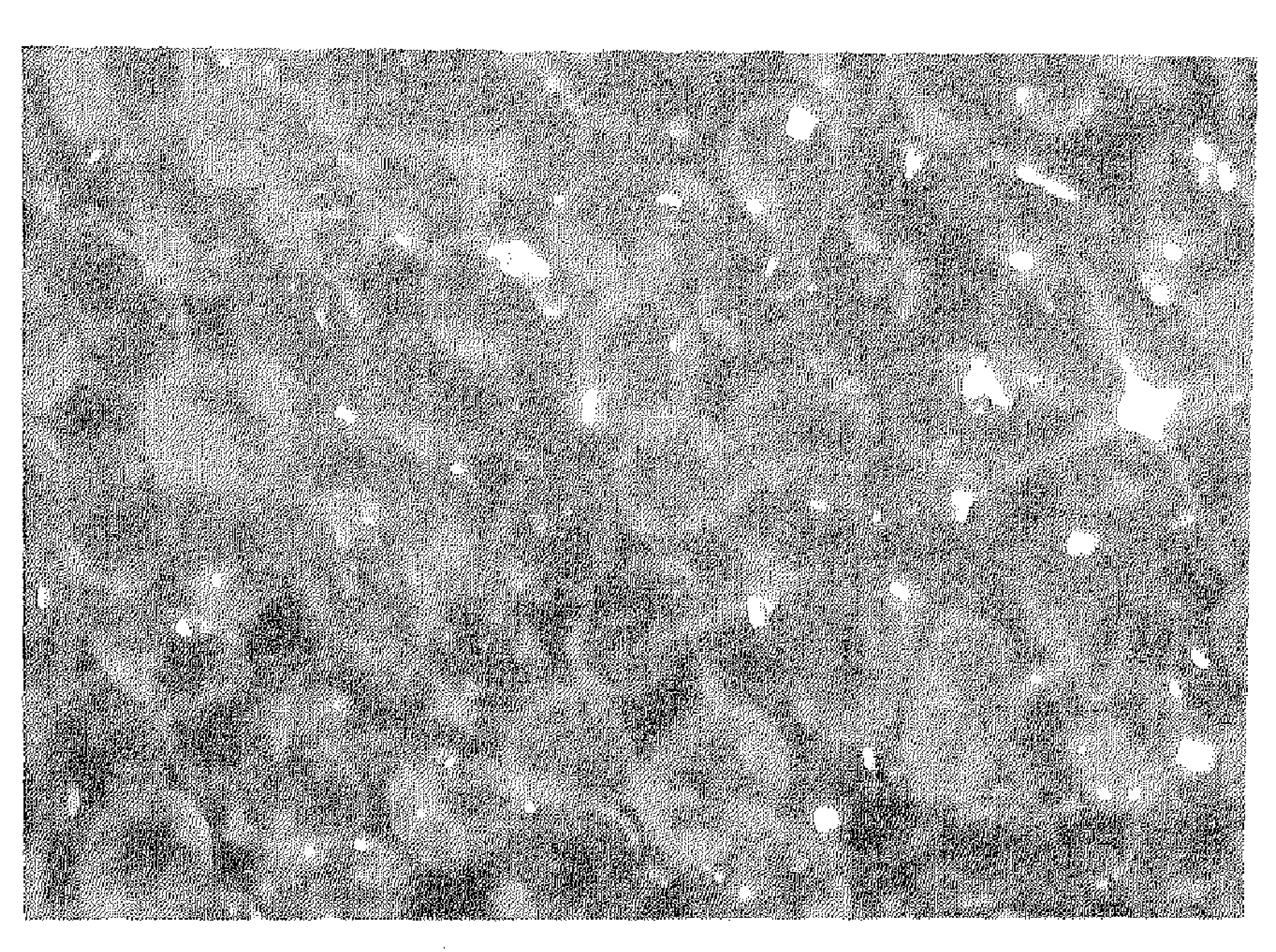
كيف يستطيع هؤلاء حل مشكلة كوابيسهم؟ قد يكون العلاج مفيدا، وبما ان حدوث الكوابيس يكثر إبان فترات الاجهاد فمن المستحسن ايضاً ان يعيشوا حياة هادئة قدر المستطاع. وفي الحالات القصوى هناك ادوية تعيق النوم العميق الذي يتصف بحركة العين السريعة(★) وهي الفترة التي يظهر فيها اكثر الكوابيس. ولكن لسوء الحظ، قد تنجم عن هذه الادوية اعراض جانبية غير مستحبة.

ربما توصّل الاطباء في النهاية الى معرفة ما يكفي للسيطرة على الكوابيس. لكننا في الوقت الحاضر نجد عزاء في معرفة بعض الامور. فالكوابيس تميل الى النقصان مع تقدمنا في السن. وعاجلا ام آجلا، لا بد للعقل أن يصبح قادراً على امتصاص الذكريات التي كانت مواجهتها مؤلمة في يوم من الأيام فيهدأ الكابوس ويتحول حلماً عادياً.

اعتادت احدى مريضات هارتمان ان تحلم بوحوش شبيهة باسماك القرش تخرج من المحيط لتنهشها الى ان تمكنت من حل مشكلتها، فرأت حلماً اخيراً عن هذه الأسماك. هذه المرة كانت الأسماك تخرج من حوض سباحتها وتلتف حول قدميها منتظرة منها ان تحك لها جلدها.

روبرت ويرنك ■

(★) REM (Rapid Eye Movement)





عامل منجم تايلندي يرفع كيساً صغيراً من البلاستيك اودعه حصيلة نوبة عمل صباحية.

حمراء ولامعة، تسلك كنوز الشرق الاقصى النادرة طريقاً شاقاً الى علب المجوهرات في العالم

اليَاقوت أغلى الحجَار

على بعد حوالى ٢٠٠ ميل جنوب شرق بانكوك، بدأت جرارات صفراء ضخمة وحفارات ميكانيكية يومها في العمل على تشويه الريف الأخضر الخصب، تاركة الأرض وراءها جرداء مبقعة. هنا تكمن الثروة تحت الاقدام، بكل معنى الكلمة. اذ تكتنز هذه البقعة المتوحشة من تايلند معظم ياقوت العالم ذي السطح الصغير. وبانكوك، عاصمة البلاد، هي السوق الأولى للشارين في العالم. ويفوق ما تصدره تايلند رسمياً من الياقوت الـ١٣٠ مليوناً سنوياً، الا انه يمكننا، استناداً الى احد تجار المجوهرات، اضافة نصف هذا المبلغ الى الرقم المذكور، لأن عدداً كبيراً من الصفقات يُعقد من دون ان يُسجَّل قط.

وفي منطقة بالكاد تبلغ مساحتها العشرين ميلا مربعاً، تجد ما بين ٢٥ و٣٠ حقلا لاستخراج الحجار الكريمة، تتركز في

Photos: Lindie Lapin

منطقة ترات ذات المجتمع المنجمي القاسي والسريع التغير، كما هي الحال في بوراي ونونغ بون.

ويعود بنا الجو هنا بالذاكرة الى الغرب الامريكي القديم. ففي زيارتي الأولى لبوراي، قُتِل رجل في تبادل للنار لأنه سرق ياقوتة من عامل منجم.

لا احد يعلم على وجه التحديد عدد الذين يعملون في مناجم الياقوت. ويبلغ العدد الرسمي لسكان مدينة بوراي، وهي كبرى مدن المناجم، ٣٦ الفاً. الا ان الرقم الحقيقي يفوق هذا العدد بكثير. ويشارك في عملية اصطياد الثروة هذه، عدد من المهاجرين غير الشرعيين كالمنغوليين وسكان بورما و"الخمير"، تحدوهم قصص تتحدث عن ياقوتة خام من عيار ١٥٠ قيراطاً عُثِر عليها عام ١٩٨٥ وبيعت بـ١،٢ مليون دولار. والياقوت هو من بين أندر الجواهر بين الحجار الكريمة، اذ يمكن العثور على الماسة ضخمة وكاملة، الا انه لم يُسمع قط عن العثور على ياقوتة ضخمة وكاملة. والياقوت أغلى ثمناً من الالماس اذا ما بيع قيراط من كل منهما.

وقبل قرابة ألفي عام قبل الميلاد، سُعِّرَ الياقوت لجماله وندرته. وكانت هذه الجوهرة دائماً رمزاً للغنى المترف ولمكانة الطبقة الاجتماعية. وتزخر تيجان السلالات الاوروبية والآسيوية، على حد سواء، بالياقوت البديع، حتى ان نقشاً لملكة بريطانيا اليزابيت الاولى محفور على ياقوتة كبيرة. وعام ١٩٨٦ أهدى الأمير اندرو الى خطيبته خاتماً من الياقوت.

جوهرة شرقية. الا ان الياقوت على رغم كل ما سبق يبقى جوهرة شرقية. اذ كان مصدرها، ولا يزال، الشرق الأقصى. وكان الياقوت دلالة على الغنى والقوة بالنسبة الى الملوك الآسيويين عبر التاريخ. وقصص الرحالة مليئة بأخبار عن ياقوت لا يُقدَّر بثمن ويفوق كل تصور. ويصف الرحَّالة ماركو بولو في كتابه "رحلات" ياقوتة لأحد ملوك جزيرة سيلان قائلا: "طولها بطول راحة اليد، وثخانتها بثخانة ساعد رجل. انها ألمع ما يمكن حمله في العالم...".

وبلغت الرهبة التي يوحيها لون الياقوت الأحمر درجة جعلت الشرقيين، في العصور القديمة، يعتقدون انه ينبض بالحياة وأنه ينضج داخل الأرض كأي ثمرة أخرى. حتى ان صحف القرون الوسطى وصفت الياقوت كعلاج لعدد من الأمراض المزمنة من طريق تناوله في شكل مسحوق أو بمجرد ابقائه ملامساً للجلد.

وكان الياقوت يُعرف في الهند باسمه السنسكريتي اي "الراتناراج" وهي كلمة تعني "ملكة الحجار النفيسة".

وكان سكان بورما يعتقدون ان الياقوت يجعل الانسان لا يُقهر في المعارك، حتى ان المحاربين كانوا يخبئون حجاراً كريمة داخل ثيابهم. وفي تايلند، تيجان الملوك وصوالجهم والازياء الموسمية لبوذا الزمردي اللون، وهو الشخصية التي يُكَنُّ لها اجلّ احترام في البلاد، مرصَّعة كلها بالياقوت فضلا عن حجار كريمة أخرى.

من التاسع عشر. تعود اعمال التنقيب عن الياقوت في تايلند الى

أواخر القرن التاسع عشر، وهي تقليدياً اعمال خاصة تقوم بها مجموعة من ثلاثة او أربعة حفّارين مزودين أوتاداً صغيرة. وبدأت عمليات التنقيب بالانتشار منذ الستينات. وتدير حالياً الحقول الاكثر انتاجاً للياقوت، شركات خاصة تستخدم مئة عامل او اكثر. وبحلول اواخر الستينات، بلغ انتاج تايلند من الياقوت ما يفوق انتاج أي بلد آخر في العالم. الا ان مناجم هذه البلاد لا تنتج اليوم الا كمية أقل مما كانت تنتجه قبل سنتين أو ثلاث، جاعلة بذلك العثور على جوهرة نادرة، أمراً نادراً اكثر. وهكذا جازف عمال المناجم الفقراء والذين يعملون على حسابهم، بحياتهم للتنقيب بصورة غير شرعية داخل كمبوديا المجاورة.

انها مهنة محفوفة بالمخاطر والأهوال، خصوصاً ان ثوار "الخمير الحمر" ما زالوا ناشطين، كما ان منطقة الحدود الواقعة بين كمبوديا وفيتنام مزروعة بالألغام. ويعبر ما بين خمسة وعشرة آلاف منقب المسافة التي تفصل قرى مثل بوراي ونونغ بون، عن كمبوديا سيراً على الأقدام يحدوهم اعتقاد ان الجوهرة التي سيُعثر عليها ستكون الأضخم الى الآن. وبرقابة "الخمير الحمر"، يعثر المنقبون على الياقوت بعد ان يحفروا حفراً صغيرة ويصفّوا الحجار والأتربة في أوعية صغيرة مستديرة مصنوعة من الخيزران.

وعلى نقيض عمليات التنقيب البدائية في كمبوديا، بوشر استعمال الآلات في التنقيب عن الياقوت في ترات منذ الستينات. وقد أدهشني منظر الجرارات والحفارات الميكانيكية وهي تحدث حفراً ضخمة بطول يراوح بين ٢٠ و٣٠ متراً وعرض ثلاثة امتار وعمق يصل الى عشرة امتار.

وما ان يتم فرش الحصى والاتربة التي تكتنز الياقوت حتى تغسل خراطيم المياه القوية الضغط التربة الغنية بالمعادن. ويعمل منقبان او ثلاثة مزودون خراطيم يدوية في قعر الحفرة، فيوجهون سيل الوحل والحصى الى حوض مجاور. وتُسحَب التربة من الحوض بواسطة مضخات من الحفرة الى آلة اخرى تُعرف "بالخضّاضة." وتقذف الخضاضة الحجار الكبيرة وبقايا الوحل وترسل الطين الحامل الحجار الى أوعية ضيقة، بينما تُقذف المياه والوحل والطين من الطرف الآخر من الخضاضة. وما ان تُملأ الأوعية، حتى تُجمع البقايا التي تحوي الحجار الكريمة تمهيداً للفرز اليدوي.

تجارة دقيقة. ان التنقيب عن الياقوت عمل مضنٍ. الا ان الحماسة التي يثيرها العثور على ياقوتة جميلة تعوّض العمل المرهق. ومعظم الارباح تُجنى من الإتجار بها. فقد وجد احد المنقبين ياقوتة خاما من عيار ٦٠ قيراطاً قبل سنوات وباعها بثمانية آلاف دولار. وسمع في ما بعد انها بيعت بـ ١٤٠ الف دولار.

وتمر تجارة الياقوت بمراحل عدة. وتزيد اسعاره بنسبة تراوح بين ٣٠ و٤٠٪ في المئة لدى انتقالها من يد الى اخرى. يشتري المهربون الياقوت الخام غير المصقول من المنقبين ويبيعونه في الاسواق عند الصباح الباكر. ويُعرض الياقوت في بوراي على طاولات مصفوفة

على الجانب الغربي للشارع الرئيسي المواجه للشمس المشرقة. يلتقط الشاري المُحتمل الجوهرة ويوجهها نحو الشمس لكشف اي شق او عيب فيها. وتجارة الياقوت ناشطة، فأكياس البلاستيك الصغيرة التي تحوي الياقوت الخام في تنقل مستمر من يد الى اخرى. ويراقب رجال الشرطة المزودون ببنادق "م - ١٦" ما يجري في الجهة الأخرى من الشارع. فهُم لا يسمحون بتعريض هذه التجارة للخطر خصوصاً انها قادرة على إثارة خلافات اسرع من اي تجارة أخرى.

وتدور الحلقة التالية لهذه التجارة في شانتابوري العاصمة الاقليمية المجاورة، حيث يأتي قرابة ثلاث مئة تاجر من بانكوك في عطلة نهاية الاسبوع لشراء الياقوت المشذب.

وقد امضيتُ اخيراً يوماً هناك برفقة مينغ ساي تاي وهو تاجر ياقوت من بانكوك، في احدى رحلاته التجارية المنتظمة. ومتجر مينغ هو عبارة عن دكان صغير ذي واجهة مفتوحة يجلس فيه لساعات الى طاولة عليها ادوات تجارته: عدسات مكبرة، موازين، ملاقط صغيرة، مصباح كهربائي بحجم القلم ووعاء صغير مغطى بورق ابيض قديم، بينما يُحضر سيل من المهربين ياقوتات منفردة او مجموعة من الياقوت من كل الاحجام والأنواع لبيعها.

ويفحصها مينغ بعناية، فيتناول كل واحدة منها بملقط ويوجه الضوء الى داخلها باحثاً، بواسطة عدسات، عن شق او عيب فيها. ثم يزين الجوهرة. بعد ذلك يقلّب الحجر الكريم في الوعاء المغطى بالورق الابيض ويعاينه من كل الزوايا.

وتدور محادثة قصيرة تسمع بعدها عبارة "ماي سواي" المقتضبة التي تعني "غير جميلة." او تظهر ايماءة بالرأس دلالة على القبول أو الرفض. وتجري عادة مساومة ودية حول السعر قبل ان تنتقل الجوهرة من يد الى اخرى.

سوق بانكوك. تباع الجواهر في بانكوك، وهي اضخم سوق لبيع الياقوت في العالم، الى تجار دوليين وبعض الصاغة المحليين. وتُحدد اسعار الياقوت وفقاً لأربعة معايير: اللون، الصفاء، الشكل، الوزن (بالقيراط). ونظراً الى ندرة الياقوت الكبير نسبياً، ترتفع اسعاره على نحو غير متجانس ووزنه. اي انه اذا بيعت ياقوتة عيار قيراط واحد بسعر يراوح بين ثماني مئة وثلاثة آلاف دولار فقد يصل ثمن القيراط الواحد في ياقوتة مماثلة يبلغ وزنها قيراطين الى ستة آلاف دولار، كما قد يبلغ ثمن القيراط لياقوتة وزنها ثلاثة قراريط عشرين الف دولار او اكثر.

واللون الأحمر النقي الشبيه بلون اشارة السير هو الأغلى ثمناً. وللياقوت في تايلند ألوان اخرى كالأحمر القاتم المشوب بمسحة زهرية اللون، او البرتقالي او الاسود. وتختلف قيمة هذه الحجار الملونة باختلاف جنسيات الشراة. فالشراة اليابانيون والألمان يفضلون عادة الظل الضارب الى اللون الزهري، بينما يفضل الاوستراليون والبريطانيون اللون الأحمر الأدكن الضارب الى السواد.

ونظراً الى اختلاف الأسعار على نحو

كبير، وفقاً للون الياقوت، تُعالج اليوم هذه الجواهر بالحرارة وهي عملية لا تزال موضع نقاش، قادرة على اضفاء المزيد من الجمال عل اللون او النقاوة. ويعرّض تجار الياقوت في بانكوك الحجار لحرارة قد تصل الى ألفي درجة مئوية، وذلك باستعمالهم الفحم الخام او الغاز ذا التكنولوجيا المتطورة أو الافران الكهربائية. فالحرارة تخفف من عتمة اللون وتفتحه. واذا ما تمت العملية كما يجب امكن الحصول على جوهرة أغلى ثمناً. ولا يمكن عادة الا لخبير ان يعرف هل الياقوتة معالجة أم لا.

والمعالجة بالحرارة عملية مقبول بها اليوم تجارياً. ويقول "هنري هو" المدير التنفيذي لـ"المركز العالمي لتجارة المجوهرات" في بانكوك: "في الواقع كل الياقوت التايلندي معالج ويرى المتعاملون بهذه التجارة، ان المعالجة ليست سوى طريقة لتحسين عمل الطبيعة."

ويعرب ريتشارد هيوز النائب التنفيذي لرئيس "المعهد الآسيوي لعلوم الجواهر" في بانكوك عن اعتقاده ان "المعالجة بالحرارة ليست عملية غش، اذا ما قيل للشاري ان ياقوتته معالجة."

الا انه لا احد ينكر ان هذه العملية محفوفة بالخطر. فخطأ واحد وتتحطم الجوهرة او تنفجر فتصبح من دون قيمة. انها مثل الميسر. كذلك الأمر في تجشم الطريق الى كمبوديا في مهمة للتنقيب.

منذ فجر التاريخ والانسان يركب الاخطار للحصول على الياقوت. يقول ريتشارد هيوز: "عندما تعاين ياقوتة جميلة، ينتابك شعور غريب، فاللون مذهل وكأن لا نهاية له. انها اغلى ما في الطبيعة."

جون هوسكين ■



تستير علمي

شرح رجل لطبيبه أنه لم يعد قادراً على تأدية كل المهمات المنزلية التي كان يتولاها من قبل. وبعد الفحص قال للطبيب: "أنا مستعد لسماع رأيك الصريح، فقل لي بلغة بسيطة ما الذي أشكو منه."

- بلغة بسيطة، أنت كسول.

"حسناً، الآن أعطني التعبير العلمي لكي أخبر زوجتي."

هـ.هـ.

إطباق الفم مفيد في حالين: عندما تكون على وشك الكلام ضد شخص ما، وعندما تقدَّم اليك الحلوى.

أ.ب.

مارغريت تاتشر
قائدة معاصرة

ابنة حانوتي اصبحت رئيسة واحدة
من كبرى دول العالم

ليس حكم مارغريت تاتشر ظاهرة بريطانية فحسب، بل هو يتعدى بريطانيا الى العالم الأشمل. ومنذ ونستون تشرشل لم ينل زعيم بريطاني اعجاباً عالمياً كالإعجاب الذي تحاط به السيدة تاتشر في كل انحاء العالم. ففي مجال واحد على الاقل - اي الطريقة التي تعالج بها البلدان الاخرى شؤونها الاقتصادية - كان لها تأثير اكبر مما عرفه تشرشل.

ومنذ تسلمها الحكم عزمت على تقليص التبذير بتشجيع "البادرة الفردية" معيدة الى القطاع الخاص صناعات القطاع العام غير المجدية مثل غاز المنازل والهاتف والخطوط الجوية والصلب والنفط، وهي مصممة على انتهاج السبيل نفسه بالنسبة الى مياه الشفة والكهرباء والفحم الحجري والسكك الحديد.

ونتيجة لذلك لم تعد هذه الصناعات تكلّف دافعي الضرائب شيئاً. فصناعة الصلب البريطانية "بريتش ستيل"، على سبيل المثال، كانت سجلت كمؤسسة تملكها الدولة خسائر هي من افدح الخسائر لشركة في التاريخ، الا انها تصنّف الآن بين الشركات ذات الإنتاج الأدنى كلفة في العالم وهي تغلّ ارباحاً ضخمة. والأهم من ذلك ان عدد الناس العاديين الذين اشتروا اسهماً في الشركات الخاصة قفز من ثلاثة ملايين عام ١٩٧٩ الى تسعة ملايين في هذه الأيام. وهذه الزيادة المضاعفة ثلاث مرات هي خطوة جبارة نحو ما تُطلق عليه رئيسة الوزراء اسم "الرأسمالية الديموقراطية"، وهو مفهوم قد ترغب في محاكاته بلدان اخرى تنوء حكوماتها تحت نفقات عامة ضخمة. ويزور خبراء من انحاء العالم بريطانيا للتعرف الى طريقة أداء المبادرة الخاصة. حتى زعيم الاتحاد السوفييتي ميخائيل غورباتشوف الذي بدأ يجيز للعمال ابتياع اسهم في مؤسسات الدولة الاقتصادية، كان يدرس المناهج البريطانية.

وتسجّل لمارغريت تاتشر مأثرة اخرى في السياسة العالمية. ففي الستينات والسبعينات من هذا القرن، ساد شبه اقتناع بأن الإدارة الإقتصادية السليمة

أمر مستحيل في الدول الديموقراطية بسبب الدورات الانتخابية المنتظمة. فلكي يفوز الزعماء الحكوميون بالإنتخابات كان عليهم التخلّي عن قرارات سياسية غير مستحبّة على الصعيد الشعبي قبل ان يتسنى لها الوقت الكافي لاظهار فاعليتها. فبرهنت رئيسة الوزراء تاتشر خطأ هذه الفرضية.

فعندما تسلمت تاتشر مقاليد السلطة في ١٩٧٩ كانت نقابات العمال القوية قد ادّت الى قيام صناعات هي الاكثر افراطاً في توظيف العمال بين دول البلدان المتقدّمة، مما تسبّب في تضخّم كبير. ولم تبدأ عمليات الصرف القاسية التي نظمتها باظهار نتائج ملموسة قبل النصف الثاني من الثمانينات. وفي اثناء ذلك ارتفعت معدّلات البطالة الى مستويات اسوأ بكثير مما توقعته تاتشر. لكن الخوف لم يساورها مرة، فما وهنت ولا خففت تدابيرها العلاجية المُرّة. ولم تنقلب الامور ضدّها بل على العكس، فازت في انتخابات ١٩٨٣ بغالبية كبيرة وجددت النصر في ١٩٨٧. اما الآن فالبطالة منخفضة والنمو الاقتصادي في بريطانيا هو الاعلى في اوروبا.

ولاحظ رجال الدولة في انحاء العالم ان تصميم تاتشر ومثابرتها اتياها بالمغانم الإنتخابية والإقتصادية على حد سواء، فاستجمعوا شجاعتهم لينسجوا على منوالها. ولعلّ هذه اهمّ امثولة علّمتها تاتشر.

الشخصية القيادية. ما هي الصفات التي اهّلت مارغريت تاتشر للنهوض بوطنها من وهنه وقنوطه لتمثيل دور عالمي؟ فهي شخص عادي من نواح كثيرة، ترعرت، كابنة قوية المراس لصاحب حانوت ثابت الرأي في لينكولنشايري، وعلّمها والداها كما علّما اخواتها العمل المضني ومخافة الرب ومحبة الخير العام. وعندما كانت طالبة كيمياء في جامعة أوكسفورد حصلت على جوائز عدة، توجهت بعد ذلك نحو المحاماة وتخصصت بقانون الضرائب. وفي ١٩٥٩ كان دخولها البرلمان امتحاناً عسيراً آخر نجحت فيه. ثم كان هدفها التالي تسلم حقيبة وزارية، وقد تم لها ذلك في العام ١٩٧٠ عندما عُيّنت وزيرة للتربية، وهو منصب يُعتبر، تقليدياً، قِمة طموحات النساء في الحكم.

ثلاث صفات حملتها الى الدوائر السياسية العليا وهي طاقتها الفائقة وحسّها البسيط بالاستقامة، وأهم من ذلك، شجاعتها النادرة.

ربّما كانت طاقة مارغريت تاتشر في العمل هي اكثر ما يستوقف المراقب. فهي تبدو قادرة على العمل المتواصل لفترات طويلة مكتفية بخمس ساعات من النوم يومياً فقط. وتمضي ساعات يقظتها كلها في العمل الفعلي. وعندما لا تجد ما تعمله تلجأ الى ترتيب رفوف الخزائن - وهو دليل على ولعها بالنظام.

وتدل رغبتها في قراءة كل موجزات ملفاتها بالكامل على امتلاكها معرفة مفصلة لنهج جهاز الحكم، وهو امر نادر للغاية وأحد مصادر سيطرتها على المسرح السياسي البريطاني.

وحدث مرة أنّ اصدقاءها ساورتهم

خشية من ان تصاب بإرهاق. وفي العام ١٩٨١ حثثتها على الاستفادة اكثر من ايام عطلتها. وقلت لها: "عليك ان تتذكري ان ازمة مروّعة قد تنشب على نحو غير متوقّع فتضطرك الى بذل احتياطي الطاقة الي لن يكون متوافراً لديك." فسلمت بمنطقي لكنها قالت: "في الحقيقة لا أحب ايام العطلة، انها تضجرني."

وبالفعل، حصلت الازمة غير المتوقعة في السنة التالية عندما استولى الارجنتينيون على جزر الفوكلاند. ولأسابيع خلال الحملة البحرية والانزالات البريطانية، لم تذق رئيسة الوزراء طعم النوم الحقيقي ولا ريب ان عبْء القلق كان ساحقاً، ومع ذلك تجاوزت هذا الاختبار العنيف بصحة ممتازة ومعنويات مرتفعة. ومنذ ذلك الحين لم يعُدْ أحد يقلق إن هي لم تنعم بالراحة الكاملة.

ومصدر القوة الثاني في شخصية مارغريت تاتشر هو حسها القوّي بالفرق بين الصواب والخطأ. وهي تدرك أهمية تجسيد السياسي بضعة افكار واضحة تضرب على الوتر الخلقي لدى الشعب. وتتمتع تاتشر بالاستقامة وبيقين خلقي محافظ.

تستمد تاتشر هذه السمات من ايمانها الديني ومن والدها. فهو كان ناشطا في السياسة المحلية وعلّمها ان تدخل الى الخدمة العامة مبادىء الاستقامة والصدق.

من هذه الناحية، مارغريت تاتشر هي زعيمة بحسب التقليد السياسي المعاصر: فخلافاً لمعظم السياسيين البريطانيين تراها تساوي بين الحكم الجيد والأخلاق. ولم يمض وقت طويل على فوزها بزعامة حزب المحافظين في العام ١٩٧٥ حتى اسرّت اليّ بالآتي: "انوي مصادرة المبادرة الخلقية من حزب العمل." وهذا ما انجزته بالتأكيد. لكنها في وقت مبكر من ١٩٨٨، وعلى اثر امتلاء الخزينة والتخفيضات الضريبية الداعمة للقوة الشرائية لدى المستهلك، احسّت انها في خطر فقدان موقعها الرفيع، لذا انطلقت فوراً في حملة خطابية ملقية سلسلة من الاحاديث التي تؤكد على الجذور الخلقية لفلسفتها السياسية. وقد حاولت بنوع خاص ان تبرهن ان نظاماً قائماً على العمل الحر، حيث مساعدة المعوز خيار خلقي، يتفوق على اي نظام آخر قائم على فرض ضرائب مرتفعة وحيث الاحسان واجب يفرضه القانون. واستشهدت بجون وسلي: "اربح ما استطعت؛ وفّر ما استطعت؛ اعطِ ما استطعت."

اثارت هذه الخطب بعض الملاحظات الساخرة في وسائل الاعلام. لكن هناك دلائل كثيرة على أن ملايين الناس تفضّل ان تعرض عليها السياسة بتعابير خلقية بسيطة. وفي الواقع، تلتقي مارغريت تاتشر الى حد بعيد ومعظم العائلات البريطانية في نفسيّتها ومشاعرها السياسية. وعندما يتهمها اعداؤها بأنها تدغدغ عواطف العامة تجيبهم: "انا سياسية شعبية. وهذا يريحني."

اما في السياسة المالية فمبادئها هي تلك التي تعمل بها كل ربة بيت فطنة: تبضّع بتأنٍ. لا ترفع قيمة الفاتورة. اذا كان عليك الاستدانة فسارع الى وفاء

دينك. احفظ قرشك الابيض ليومك الاسود. وإذ مارست تاتشر هذه المبادىء الاقتصادية البديهية، تدبّرت امر ايفاء مقادير كبيرة من الديون الخارجية، وحولت بريطانيا ثالث بلد دائن في العالم (بعد اليابان والمانيا الغربية) وتولّت الاشراف على فائض متنامٍ في الميزانية.

واذا ما اتخذت مارغريت تاتشر قرارها واقتنعت بأنه الصحيح فليست هناك قوة على الارض تستطيع دفعها الى تبديله. وهذا ناتج من فضيلتها الثالثة: الشجاعة. وليس بين السياسيين الذين شملتهم بدراستي مَن تحلى بهذا المقدار من الشجاعة، حتى تشرشل نفسه.

كانت الشجاعة ما جعل حزب المحافظين يسلمها زعامته في المقام الاول. ففي نهاية ١٩٧٤ افترض الجميع ان السر كايت جوزف الناصح المخلص لتاتشر وزعيم الجناح الايمن للحزب، سوف يتحدى زعيم الحزب ادوارد هيث على المركز. لكنّ هذا كان رجلاً جهماً رهيباً، وفي الدقيقة الاخيرة استولى الذعر على جوزف وقرر الانسحاب. وإذ كانت تاتشر عازمة على عدم خسارة الانتخابات من دون معركة، سدت بعصبية ثغرة انسحابه. لم يكن احتمال الربح في جانبها، وكان من شأن فشلها ان يقضي على مستقبلها السياسي. لكن اعضاء البرلمان الاصغر سنا استجابوا لبسالتها وانتدبوها للمهمة. فكان ذلك امثولة لتاتشر بأن الشجاعة هي قضية محقة لا بدّ ان تؤتي ثمارها.

لم تنسَ تاتشر هذه الامثولة ابداً، وتذكرتها في حرب الفوكلاند - التحدي الذي ما كان ايُ سياسي من جيلها الا ليرفضه - فجبهته وربحته. كذلك تذكرتها خلال اضراب عمال مناجم الفحم الحجري في ١٩٨٣-١٩٨٤ الذي كان بمثابة محاولة عمالية لاسقاط الحكومة بالقوة. فقد تحدت الاتحاد الوطني القوي لعمال المناجم وهزمته.

شاهدتُ شجاعة مارغريت تاتشر على المحك في مؤتمر حزب المحافظين في برايتون عام ١٩٨٤، بعد ان حاول "الجيش الجمهوري الايرلندي" اغتيالها بتفجير فندق "غراند اوتيل". فقد نجت من موت محتم. وعلى رغم الصدمة والحزن لخسارة اصدقاء لها، اصرّت بتحدٍ على البدء بالمؤتمر وفق البرنامج المقرر لذلك الصباح، وكانت حاضرة لتشهد تنفيذ اوامرها. وافاضت بعد الظهر في الخطاب الاكثر إثارة الذي سمعته منها.

الديك والدجاجة ليست عائلة رئيسة الوزراء مصدراً صغيراً للقوة بالنسبة اليها. فابنها مارك وابنتها كارول غاليان جدا على قلبها وهي تحضنهما بقوة. وهي الزوجة الثانية لرجل يكبرها سنا بكثير، دنيس تاتشر رجل الاعمال الناجح. وهو يفخر بانجازات زوجته ويدافع عنها بانفعال. وخلال انتخابات ١٩٨٣ غالباً ما كان يحضر مؤتمراتها الصحافية اليومية معلقاً بتذمّر على ما يوجه اليها من اسئلة عدائية.

ومارغريت تاتشر هي اكثر تعويلاً على زوجها مما يتخيله الكثيرون. فهي تقدِر نصحه (حتى وان لم تأخذ به) وتشجيعه.

خلف قناع السيدة الحديد تملك مارغريت تاتشر ما يعتبر تقليدياً جانباً انثوياً. فهي شديدة الاهتمام بالملابس والمطبخ والحميات الغذائية والستائر وورق الجدران. ويعني لها مظهرها الشيء الكثير فهي تمتلك موهبة خارقة في الظهور بمنتهى الأناقة ان من حيث تصفيفة شعرها أو من حيث ثيابها التي تبدو كأنها لم تلبس من قبل، حتى وان يكن ذلك في فترات الضغوط المرهقة.

وعلى رغم بذلها جهودا كبيرة لاقناع المجتمع بأن النساء جديرات بالسلطة، فهي ليست من دعاة المساواة المطلقة بين الجنسين. وهي تسأل: "ماذا اعطتني الحركة النسائية؟ لقد وصلت الى ما انا عليه بجهودي الخاصة."

مرة فقط سمعتها تطلق ملاحظة ترجّع صدى الحركة النسائية المناضلة. كان ذلك خلال مأدبة كبيرة حيث كانت الاخيرة في لائحة من الخطباء المملّين، وكلهم من الذكور فقد بدا بوضوح ان حفيظتها اثيرت عندما انهت خطبتها بالقول: "آمل في ان تتذكروا انه اذا كان الديك هو الذي يصيح فان الدجاجة هي التي تبيض."

شجعتها مرة على قراءة سيرة جديدة لحياة اللورد ليفربول رئيس الوزراء في مستهل القرن التاسع عشر. استمتعت بها، لكن اكثر ما لفتها هو ان ليفربول استمر في رئاسة الوزراء خمسة عشر عاما متواصلة. ومارغريت تاتشر تتسنم المركز منذ عقد كامل من السنين، ضاربة كل الارقام القياسية في القرن العشرين. فنموذج ليفربول هو نصب عينيها ولا سبب يمنعها من بلوغ رقمه القياسي. فهي الآن في الثالثة والستين من عمرها ولا تعتبر مسنةً وفق مقاييس رؤساء الوزارات بل تزخر باللياقة البدنية والعزم. يقال ان السلطة تفسد الحكام. وحتى في الدول الديموقراطية عندما يدوم النظام طويلا يعرف الزعماء نهايات غير سعيدة، اذ تلهيهم بهارج السلطة عن الاحتكاك بعامة الشعب. ولكن هذا لا ينطبق على مارغريت تاتشر، فعلى رغم كل شيء، لا تزال اشد نشاطا في احتكاكها بعدد مذهل من افراد الشعب، من يوم تسلمها السلطة للمرة الاولى.

هي تؤمن بأن بريطانيا لا تزال في منتصف الطريق فقط لاستعادة وضعها كقوة اقتصادية من الدرجة الاولى. واذ تتسلح ببرنامج اشتراعي مكتظ مبني على حرية العرض والطلب فهي تؤمن بأن مهمتها تسير حثيثا نحو المستقبل.


بول جونسون ■

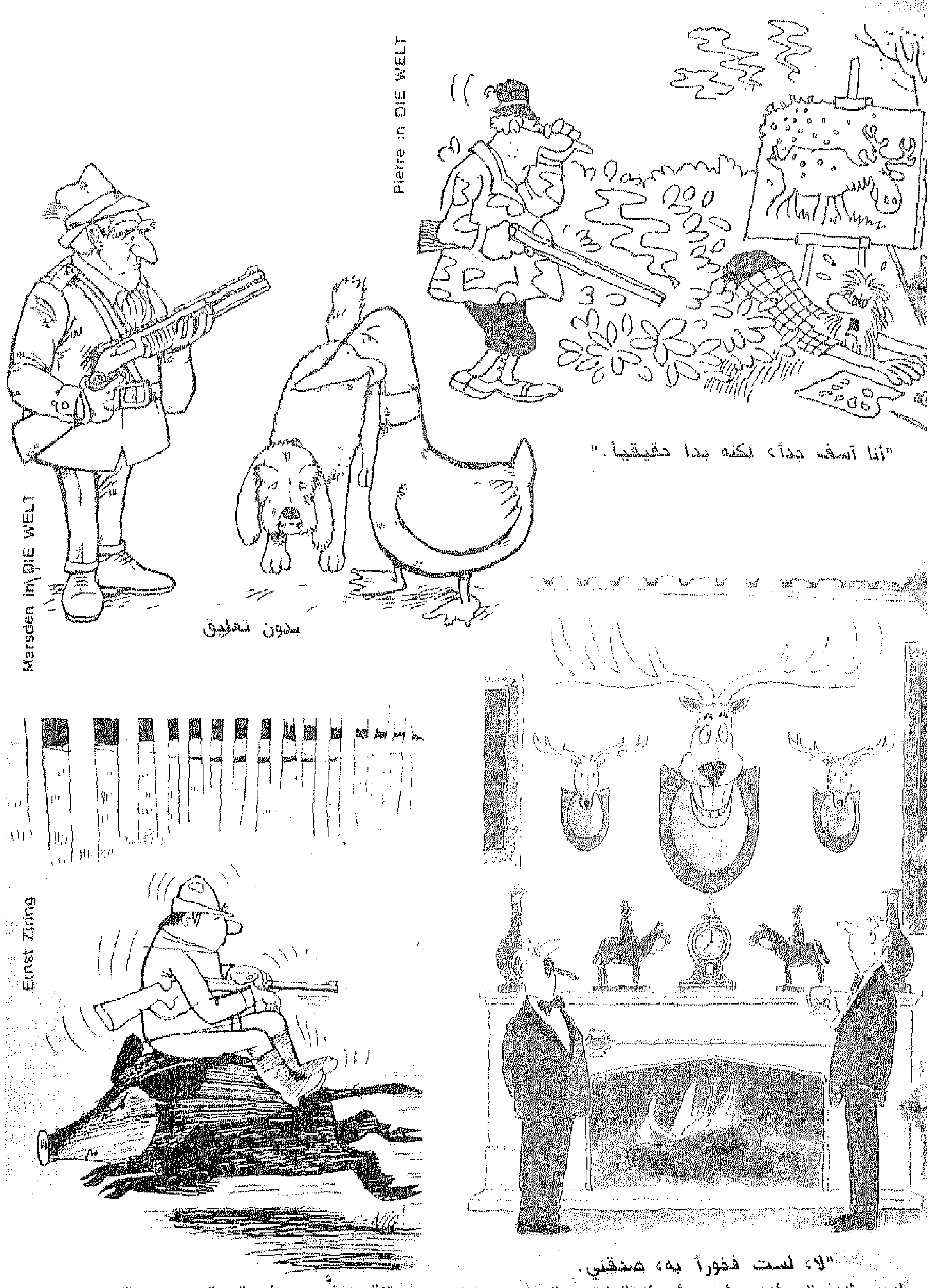
بول جونسون هو مؤلف كتاب "الازمنة الحديثة" الذي يؤرخ نقاط التحوّل في العالم منذ العشرينات وحتى الثمانينات. وقد ظهر له حديثا "المثقفون."



قليل من المعرفة أمر خطير ولكنه بالتأكيد افضل لمباشرة نقاش ما من نظرة لا تعبير فيها.

ب.ب.


"زوجي يتمرن على صيد البط."
in HÖRZU
مدخل
صيّادون

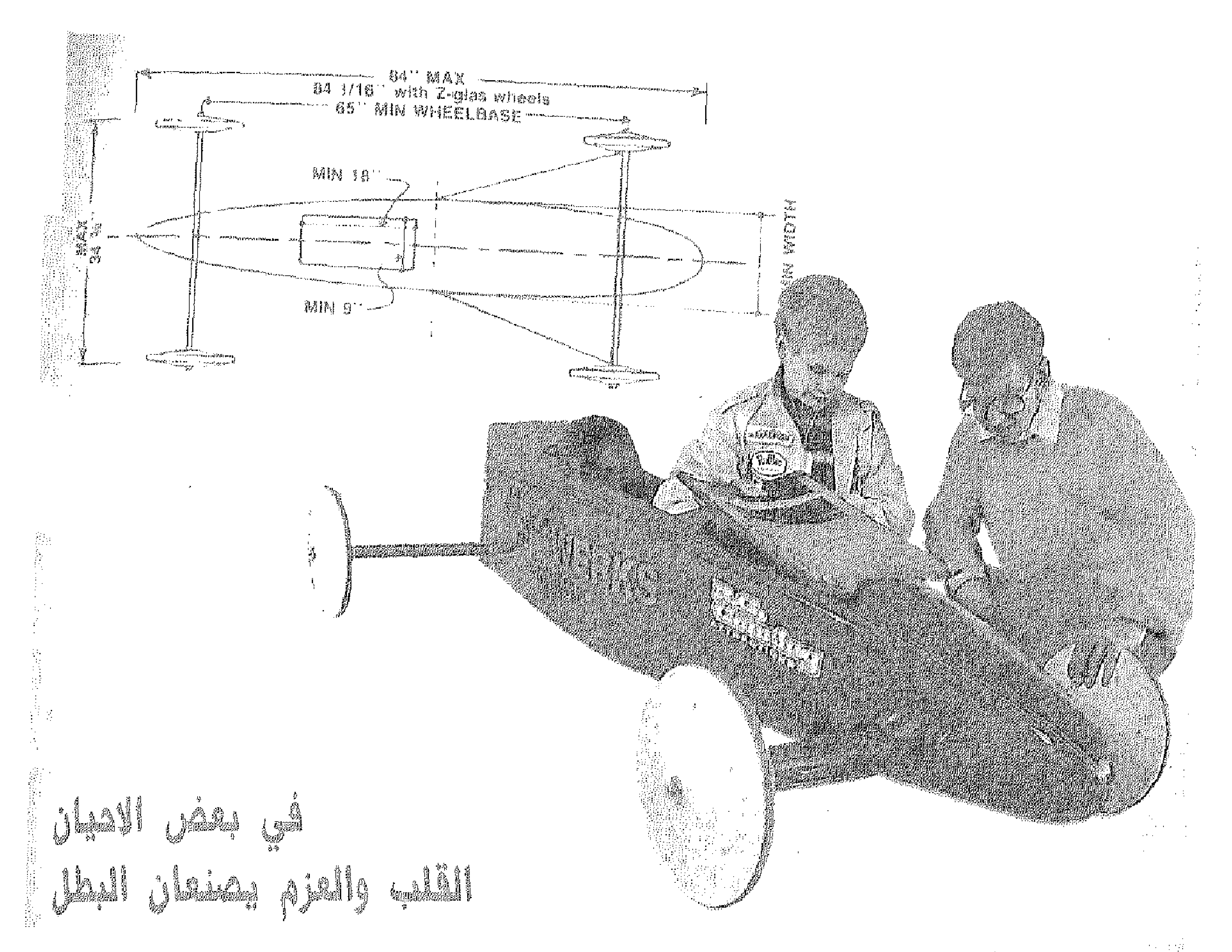


"أنا آسف جداً، لكنه بدا حقيقياً."

بدون تعليق

"لا، لست فخوراً به، صدقني.
لا بد أنه ظن أنني أريد أن ألتقط صورة له."

"لقد وفرت صفيحة وقود الى الآن."



في بعض الاحيان
القلب والعزم يصنعان البطل

البطل الصغير

انحنى ماتيو مارغوليس في سيارته "سوب بوكس دربي" فيما غاب جسمه داخل هيكلها المصنوع من الزجاج الليفي ولم يظهر منه سوى رأسه وخوذته. كان ذلك في أول سباق له في منحدر شارع كاسبر في دنبري بكونتيكت. وحاول ان يتذكر تعليمات والده: اضبط السيارة فوق الخط الوسط ولا تهتم للمتسابق الآخر. انما منذ بدء السباق زادت سرعة سيارته حتى انه كان بالكاد قادراً على رؤية الخط الوسط او السير فوقه. وكان يتمايل من جانب الى آخر فخسر السباق. وحين توقف هرع والداه اليه فطمأنهما: "لا تقلقا، فسأحقق نتيجة افضل في المرة المقبلة."

لكن وندي وريتشارد مارغوليس لم يشعرا بالخيبة، فقالت وندي لابنها: "لقد اكملت السباق وهذا هو المهم."

وصارحه والده ريتشارد، وهو جراح ومتحمس لسباق السيارات: "انك في الحقيقة لم تتمرن كثيراً."

ولم يبوحا بما كان يجول في خاطرهما، وهو داء الصرع الذي اصاب مات. فمن دون انذار قد يغيب الشاب عن الوعي

Diagram: Courtesy of All-American Soop Box Derby.
Photo: © Mario Mercado

ويتوقف عن التنفس ويأخذ جسمه بالتشنج الى الحد الذي يتعذر ضبطه، حتى ان الادوية المضادة للتشنج عجزت عن ضبط نوباته تماما، لذلك فان مجرد وصوله الى خط النهاية كان بالنسبة الى والديه فوزاً له.

المعاناة. بدأت معاناة مات يوم أحد من شهر يوليو (تموز) ١٩٨٢. كان والداه ما زالا نائمين فيما مات (كان عمره آنذاك ٦ اعوام) وشقيقته ستايسي (١٠ سنين) يتناولان قليلا من الكعك المحلى. وفجأة انتصب الولد وتصلب ثم سقط ارضاً، فاندفعت شقيقته الى غرفة نوم والديها وصاحت بهما: "اسرعا، ان مات يختنق ويكاد يموت!"

فركض والده وامسكه من الخلف ولجأ الى طريقة "هَيملخ" لاخراج قطعة الطعام التي اعتقد أنها عالقة في حلقه وكانت تسده ولكن من دون جدوى. ثم حاول عبثا انعاشه بالتنفس من الفم الى الفم. وبحركة يائسة أدخل أصابعه في عمق حلقه وانتزع قطعة صغيرة من الطعام فاستعاد مات لتوه التنفس.

لم يتذكّر الصبي اي شيء عما حدث له، مما أقلق والده. وتساءل: لماذا لم يقدر مات ان يتذكّر انسداد حلقه قبل أن يغمى عليه؟

فأتاه الجواب بعد ستة اسابيع حين تصلّب جسم مات ثانية. ولم تكن هناك اي دلائل على التنفس، ولكن التشنجات بدأت حين عاد اليه تنفسه. في هذه المرة شاهد والداه النوبة التي حدثت له.

قال والده مطمئناً والدته: "انه لا يتألم وكل ما في وسعنا عمله هو ان نرخّي ثيابه ونكفأه على جنبه ونبعد عنه كل ما هو حاد وقاس ونلتزم الهدوء."

لم تكن حالة مات نادرة. فداء الصرع هو اضطراب عصبي يعانيه واحد في المئة من سكان العالم. وهو يتميز بحدوث شرارات كهربائية غير عادية في الدماغ وقد يحدث لأي كان في اي وقت. ومع ان هناك حالات كثيرة جرى تشخيصها ولا يعرف سببها، فان داء الصرع قد ينطلق على اثر حادث او داء في الجهاز العصبي المركزي. وفيما هو لا يحول دون تمتع المصاب بحياة طبيعية فان التكيّف معه غالبا ما يعني التغلب على عدة مشاكل طبية واجتماعية متباينة، مثلما اكتشف ذلك مات في الحال. واقتضى الامر الاطباء عدة اشهر قبل ان يكتشفوا ادوية اختصرت نوبات مات الى واحدة في الشهر. لم يكن ذلك الحل هو الكامل ولكن اتاح للصبي ان يحضر، على الاقل، صفوف السنة الابتدائية.

ولد النوبة. كان مات ولداً أشقر الشعر ذا ابتسامة جذابة لا يجد صعوبة في اكتساب الاصدقاء في المدرسة. انما بعد اصابته بنوبة في مشرب القهوة (الكافتيريا) المزدحم سمع زملاء له يدعونه: "ولد النوبة."

الى ذلك فان مات لم يعد قادراً على التركيز في دروسه لأكثر من بضع دقائق. ولم يكن واضحا اذا كان ذلك دليلا على داء الصرع ام ردة فعل للادوية. وكانت النتيجة تقهقراً في دروسه وهبوطاً في ثقته بنفسه.

وقدرة مات المحدودة على التركيز خلقت له مشاكل في الالعاب الرياضية. وكونه عضواً في فريق كرة القدم، كان يفقد الرغبة في اللعب ويستغرق في احلام اليقظة مما لم يرق زملاءه اللاعبين. ثم ما لبث ان توقف عن اللعب كلياً.

كان ذلك منغّصا لولد يستمتع بالتحدي والمنافسة. لذا اصغى والده باهتمام، حين بلغ مات التاسعة من عمره، لأحد زملائه الذي اخبره عن "جمعية دنبري الكبرى لسوب بوكس دربي". فقد رأى هذا السباق مثالياً للولد الذي شارك والده في اهتمامه بالسيارات. وفي استطاعة الاثنين صنع سيارة سباق "سوب بوكس" لا تزيد مدة التركيز فيها على دقيقة. فصمّم مات على ان يقوم بالمحاولة.

وفي الطبقة السفلى من المنزل جمع مات ووالده سيارة سباق من دون محرك اشتريا اجزاءها من مركز "سوب بوكس دربي" الرئيسي في اكرون بأوهايو. وكانت السيارة جاهزة لوقت طويل قبل ان يصبح مات مؤهلا لقيادتها. فبعد عدة اسابيع من التمرّن استمر الصبي عاجزاً عن السير بها في خط مستقيم حتى انه ذات مرة انحرف واندفع بالسيارة في احدى الجنبات. فالتفت الى والده وقال: "لا بأس، فلنحاول مرة ثانية". سحب مات من اول سباق رسمي يخوضه. وفي السباقات التالية لم يكن حظه اوفر من الأول. ولكن والديه هلّلا في كل مرة قطع خط النهاية معتبرين ذلك نصراً له.

ولكن مات تابع التمرّن، وفي المدد الفاصلة بين السباقات كان يفكك السيارة بمعاونة والده ويعيدان توزيع الثقل وتعديل النوابض وصقل النتوءات السطحية التي قد تسبب ابطاء للسرعة.

ولم يلبث جهد مات الاستثنائي ان اثمر في النهاية قرابة نهاية الفصل الثاني. فلم يعد يتمايل بالسيارة الى الوراء والأمام وفاز بالمرتبة الرابعة في احد السباقات الاقليمية المهمة. وربما كان كل ما يحتاج اليه الآن هو سيارة اكثر سرعة.

في ذلك الشتاء رمى فريق سباق "مارغوليس" جانباً هيكل السيارة المصنوع من الزجاج الليفي وأحل مكانه هيكلا جديداً من الخشب. ووزع الثقل في هذا الجسم الجديد بطريقة اكثر تساوياً مما حسّن المتانة والقيادة. وعلى مدى اربعة اشهر كان رينشارد يقطع ويصمم ويغرّي الاجزاء فيما كان مات يحفّها ويصقلها. وتوجّاها في النهاية باسم "توب غان" وهو اسم الفيلم المفضّل لدى مات.

الخطر يكبر. في يوم مشمس من فبراير (شباط) ١٩٨٧ اخرجت السيارة للتمرّن فسارت، كما قدّر لها، في اتجاه مستقيم وصحيح. فقال مات لوالده وهو يرفع قبضته علامة النصر: "اعتقد ان لدينا سيارة مؤهلة للفوز."

غير ان هناك ادلة في المدرسة والبيت على ان ادوية مات كانت تفقد فاعليتها. وفي مارس (آذار) انطلق مع والده للاشتراك في "سباق غروتون" في كونتيكت، وفي احدى محطات الوقود في الطريق في بريدجبورت، سقط مات على الارض وهو يعاني آلام نوبة قويّة. وكان



ذلك اول حادث وقع له قبل موعد السباق بوقت قريب جداً. وتساءل والده عما ستكون آثار هذا الحادث في اليوم التالي.

أثناء الفطور، في الصباح التالي، راح مات يحدّق في الفضاء، وكان في حينه يعاني نوبة خفيفة أولى وهي كناية عن غشية وجيزة يفقد فيها المصاب الاتصال بالحقيقة.

ومنذ بدأ مات الاشتراك في السباق والخوف يسيطر على والديه خشية اصابته بنوبة اثناء القيادة. ويزداد الخطر المحدق به وهو في مستهل اصاباته بالغشية، فاذا حدث واصيب مات بغشية اثناء القيادة فسيكون محمياً من الضرر الى حد كبير، بالخوذة وحشو المطاط الاسفنجي في قمرة القيادة وحواجز تخفيف الصدمات في طريق السباق، انما سيكون ألم مات الداخلي كبيراً ومضنياً.

وحين اقترح والده العودة الى البيت، الح مات قائلا: "انني بخير ولن تطول مدة السباق." لم يكن والده واثقاً بالمقدار ذاته ولكنه ذكّر نفسه بنصيحة طبيب الامراض العصبية الذي يعالج مات: "ليس في امكانك التنبؤ متى تحدث

النوبة التالية إنما على ابنك ان يتابع مسيرة حياته كما قدّر له."

اشترك مات في السباق بسيارته، "توب غان" بحسب البرنامج المقرر ولكنه احتل المرتبة الوسطى اذ كان يتمايل بالسيارة اثناء الانحدار نزولا.

أثر تكرر النوبات اخذ ريتشارد ابنه مات الى عيادة الدكتور ج. كيفن بنري استاذ طب الاعصاب في مدرسة الطب بجامعة وايك فورَست في ونستون - سالم، بكارولينا الشمالية، واحد ثقات العالم البارزين في نوبات الصرع. فأبدل بنري ادوية مات واعطاه الضوء الأخضر للاشتراك في سباق "سوب بوكس." وقال لوالده: "عامله تماماً كولد نشيط، ذكي، في صحة تامة لأن هذه هي، في الحقيقة، حاله."

ست مفاجآت. اما ما تلا ذلك فلم يكن سوى مفاجآت مدهشة. ففي سباق اقليمي كبير في دنبري فاز مات في الدورة الاولى وسط دهشة الجميع. وكرر فوزه في الدورة الثانية وفي اربع دورات بعدها. وقد اهله فوزه في ست دورات للاشتراك في سباق "سوب بوكس دربي الامريكي" لبطولة العالم في اكرون. ورد مات على هتافات التهليل بفوزه بقوله: "كنت اعرف أن في امكاني الفوز."

وكان الوالدان يعلمان جيداً ان السباق الاقليمي لا يقاس بالاثارة والشدة اللتين ترافقان سباق البطولات في اكرون. فهناك سيتبارى مات ضد اولاد فائزين في السباقات لسنين عدة في انحاء الولايات المتحدة، لذا بدت فرص نجاحه ضئيلة. وسيكون هناك غياب إلزامي عن المنزل للمشتركين يدوم اسبوعا قبل السباق في مخيم للاولاد حيث تجري مراقبة نشاطاتهم نهاراً. وذلك يعني لمات أول ابتعاد طويل عن والديه منذ تشخيص اصابته بداء الصرع.

بعد استشارة الدكتور بنري قرر الوالدان ان يدعا مات يخوض السباق ولفتا انتباه المسؤولين في المخيم الى وضعه والى حاجته الى كفاية من النوم. وكان على والدته ان تصطحب شقيقته ستايسي الى مباراة للجياد في القفز فتوجه مات ووالده لوحدهما الى اكرون.

في زيارته الاولى لموقع السباق، رأى ريتشارد ان حلبة "سوب بوكس" الامريكية في حال مخيفة، وهي كناية عن طريق طولها ٢٩١ متراً ودرجة انحدار اول ٦٠ متراً منها كافية لتدفع بالسيارة في ثوانٍ الى سرعتها القصوى اي الى حوالى ٥٠ كيلومتراً في الساعة.

وفي خلال انسكاب المطر لاحظ ايضاً ان جداول الماء تجري في اتجاهات متباينة. كان ذلك تقويماً حاسما اذ ان متسابقي "سوب بوكس" يعرفون ان الاشارات وسط كل خط لا ترسم بالضرورة الطريق الاسرع. فالشذوذيات او النتوءات في الحلبة قد تؤثر في مجرى السباق. ونصح ريتشارد ابنه قائلا: "إذا جاء ترتيبك في الخط الايسر او الوسط فالزم اليمين قليلا من خط الإشارة الوسط وإذا تعين عليك أن تكون في الخط الأيمن فالزم ناحية اليسار من الخط الوسط."

وما يزيد في الأهمية البالغة لتلك النصيحة هو انه في سباقات "سوب

بوكس دربي" الامريكية يحق للفائزين الأوائل في الدورة الأولى ان يشتركوا في مسابقات الـدورة الثانيـة. ويقتضي للمتسابق ان يفوز مرتين على الاقل ليصبح مؤهلا لنيل مدالية. وباشتراك ٨٦ ولداً (اعمارهم ما بين ٩ اعوام و١٢ عاماً) في المباريات النهائية لفئة الصغار، يتحتم الفوز اربع مرات متعاقبة في المرتبة الاولى ليصبح الفائز بطلا عالمياً.

شيء لا يصدق. اقيم السباق يوم السبت في ١٥ أغسطس (آب) وكان النهار مشمساً وحاراً. وما ان ازفت الساعة التاسعة صباحاً حتى كانت المقاعد امتلأت بـ ١٤ ألف مشاهد جاؤوا ليحضروا العرض التقليدي ويروا الفرق الموسيقية والمشـاهيـر والفـائـزين السابقين في سباق الدربي والمتنافسين الحاليين. وحين مر مات تفحّص والده وجهه ليتبين اذا كانت عليه اي علامات تعب ولكنه رأى ابتسامة عريضة تعلو وجهه فيما كان يلوح له محيياً بعزم.

في دورتها الاولى كان موقع "توب غان" في الممر الوسط. وتركّز تحديق المتبارين الثلاثة على الممرات فيما هم يصغون الى متولي اشارة الانطلاق والعد العكسي وسمعوه يقول: "والآن انتبهوا ايها السائقون" لديكم ثلاث ثوان... ثانيتان... ثانية واحدة... انطلقوا!"

درجت السيارات برفق الى الأمام ثم انحدرت نزولا على التلة وراحت تزداد سرعة حتى بلغت ٤٠ كيلومترا في الساعة في منتصف الحلبة.

وما ان مرت ٢٨ ثانية حتى كان المتسابقون قطعوا خط النهاية. واعلنت ساعة السباق والكاميرا النبأ المهم: "فازت السيارة الرقم ١٢٠ التي يقودها مات مارغوليس متقدمة بربع طول."

وحين رأى مات والده وسط حشد المشاهدين رفع يديه عاليـا وهتف منتشيا بفوزه.

بعد هذا السباق سيشترك مات في مباراة الدورة الثانية التي تؤهله، في حال فوزه، لنيل مدالية فضية رائعة. وخطر له في ومضة خاطفة ان يريها لاصدقائه وزملائه في الصف.

في الدورة الثانية اصطفّت سيارة "توب غان" واثنتان اخريان وانطلقت في الحلبة لا يفصل بينها سوى متر واحد تقريباً. واجتازت "توب غان" خط النهاية متجاوزة السيارتين الاخريين. وفاز مات بالمدالية.

اصبح مات في منتصف الطريق الى تحقيق اربعة انتصارات متتالية يحتاج إليها لنيل البطولة. وسيكون عليه بعد الآن أن يجري ضد أفضل المنافسين الذين بدوا له فجأة اكبر جسماً وعمراً وأكثر قوة.

في الدورة الثالثة كان نصيب مات الخط الأيمن وعندما نزلت بوابة الانطلاق مال الى اليسار متذكراً نموذج مجرى ماء المطر. وكان الفوز حليفه كما في الدورات السابقة، ولم يبق له الا الفوز مرة اخرى ليحرز بطولة العالم.

وفيما كان مات ينتظر، وقف والده متكئاً على حاجز الحلبة متوتر الاعصاب. وكلاهما لم يصدق ان ما حدث حقيقي فعلا.

في الساعة الرابعة بعد الظهر اعلن مكبر الصوت أسماء المتبارين الثلاثة في قسم الصغار الذين تأهلوا للاشتراك في المباراة النهائية. وكان الخط الوسط من نصيب مات فتذكر قول والده: انحرف الى الجانب الأيمن من خط الإشارة الوسط.

اصغى مات الى العد العكسي وشعر بتحرك السيارة الى الامام حين انزلت البوابات. فلزم بعجلاته يمين الخط الوسط تماماً.

اجتاز المتبارون الثلاثة المتقدمون خط النهاية بسرعة خاطفة واذا بمتطوع في الحلبة يشير بلا تردد الى احد السائقين الاخرين على انه الفائز. فطفرت عينا مات بالدموع خيبة وأسىً. لكن احدهم صاح: "توقفوا انها ليست النتيجة الرسمية."

همد صوت الجمهور فجأة ثم دوّى مكبر الصوت معلنا فوز السائق نفسه الذي فاز في الدورة السابقة، فساد المكان جو من اللغط والفوضى.

وخرج الصغار من سياراتهم وانتظروا صدور توضيح للاعلان. واخيراً دوّت تلك الكلمات السحرية: "إن الفائز في قسم الصغار هو سائق السيارة الرقم ١٤٠ ماثيو مارغوليس وعمره ١١ عاماً من دنبري، كونتيكت."

فور سماعه النبأ اندفع رينشارد نحو ابنه مات وحمله بين ذراعيه وضمه ضمة قوية. ثم جاء المسؤولون عن السباق وقادوا الصبي الى حيث تسلم المدالية جائزة لانتصاره الرائع وألبس السترة الذهبية التي كتب عليها شعار "بطل العالم في سباق سوب بوكس دربي الامريكي لقسم الصغار ١٩٨٧."

ارتدى مات سترة الفوز الى المدرسة، وكان هناك تلاميذ يشيرون اليه انه "ولد النوبة"، ولكن باحترام واعجاب. ومهما يكن من امر فان ماثيو مارغوليس بطل وقد اظهر بروحه وشجاعته كيف يكون فائزاً حقا.

ستانلي ل. انغلبارت ■



صيد موفق!

كان صديقي وزوجته عائدين في قاربهما بعد رحلة صيد خائبة. فلمحا صندوقاً برتقالياً طافياً على وجه الماء. فتفحصاه عن قرب ووجدا أنه علبة تبريد ربما سقطت من مؤخر أحد القوارب. فرفعاه الى قاربهما ووجدا داخله ثماني سمكات من السلمون يزن كل منها نحو كيلوغرامين، وهي منظفة تماماً. انها الكمية القصوى التي يسمح بها قانون الصيد في المنطقة.

ج.د.

من لا يشكر على القليل لا يشكر على الكثير.

مثل استوني

روائع الفن السابع

عشر روائع سينمائية تزداد جمالا مع مرور الزمن

عندما شاهدت فيلم "كازابلانكا" للمرة الاولى امسكت بيد زوجتي الشابة وبكينا معا وقد غمرنا الحنان نحو بعضنا بعضا ونحو انغريد برغمان وهامفري بوغارت. ومنذ ذلك الوقت شاهدت هذا الفيلم عشرات المرات وما زال قلبي يطفح حنانا كلما رأيت إلسا (برغمان) تهمس مغمغمة في اذن دولي ويلسون، عازف البيانو: "اعزفها يا سام." وما زلت راغباً في ان اغنّي بصوتي الأجش: "عليك ان تتذكر هذا/ القبلة ما زالت قبلة/ والتنهدة هي مجرد تنهدة/ والاشياء الجوهرية تستمر مع مرور الزمن..."

انني احسد كل شخص لم يتسنّ له بعد مشاهدة "كازابلانكا" والروائع الاخرى للتراث السينمائي. فنحن اليوم نستطيع مشاهدتها بفضلَ اجهزة الفيديو.

سألتني صديقة شابة وقد اقتنت حديثا جهاز فيديو: "ما هي افضل عشرة افلام سينمائية؟ فاني اود ان ابدأ مجموعتي الخاصة بها."

اعتقد انها طرحت علي هذا السؤال لأنها كانت تعلم انني من مهووسي السينما منذ السن الثامنة. وككاتب، اجريت مقابلات مع اكثر الممثلين والمخرجين اثارة في هوليوود. وبعد ان حصرت اختياراتي بالافلام الامريكية اعطيت صديقي اللائحة الآتية:

□□ كازابلانكا



كلود رينز وبول هانريد وهامفري بوغارت وانغريد برغمان في "كازابلانكا".

يقول فيه (١) جورج كيرغو رئيس "رابطة كتاب امريكا" انه "اضخم ميلودراما رومانسية عرفتها صناعة السينما." عند مشاهدتك له تنسى ذاتك ومكان وجودك، وهذه احدى السمات المميزة للروائع السينمائية. وتجد نفسك منغمساً كلياً في قصة حب جميلة تدور احداثها في احدى مدن مستعمرة فرنسية في شمال افريقيا خلال الحرب العالمية الثانية.

وكلما شاهدت "كازابلانكا" أنغمس فيه الى درجة نسيان كيف ستكون نهايته. واتمنى في كل مرة ان تتمكن برغمان، باعجوبة سينمائية، من الهروب من كازابلانكا برفقة بوغارت، الشاب الذي تحب.

واخبرني الكاتب جوليوس ابشتاين انه قبل الاسبوع الذي سبق تصوير المشهد النهائي لم يكن اي من العاملين في الفيلم يعلم كيف ستكون نهايته. وفي صبيحة احد الايام وعلى الطريق المؤدية الى الاستوديو برفقة توأمه وشريكه في الكتابة فيليب، قال الاثنان في وقت واحد: "حاصروا المشبوهين المعتادين". وهي العبارة التي اصبحت مشهورة في الفيلم. اما الباقي فكان محتوما: تطلق النار على النازي في المطار وتتم محاصرة المشبوهين المعتادين وترحل برغمان مع بول هانريد فتتحطم ملايين القلوب.

□□ الغناء تحت المطر

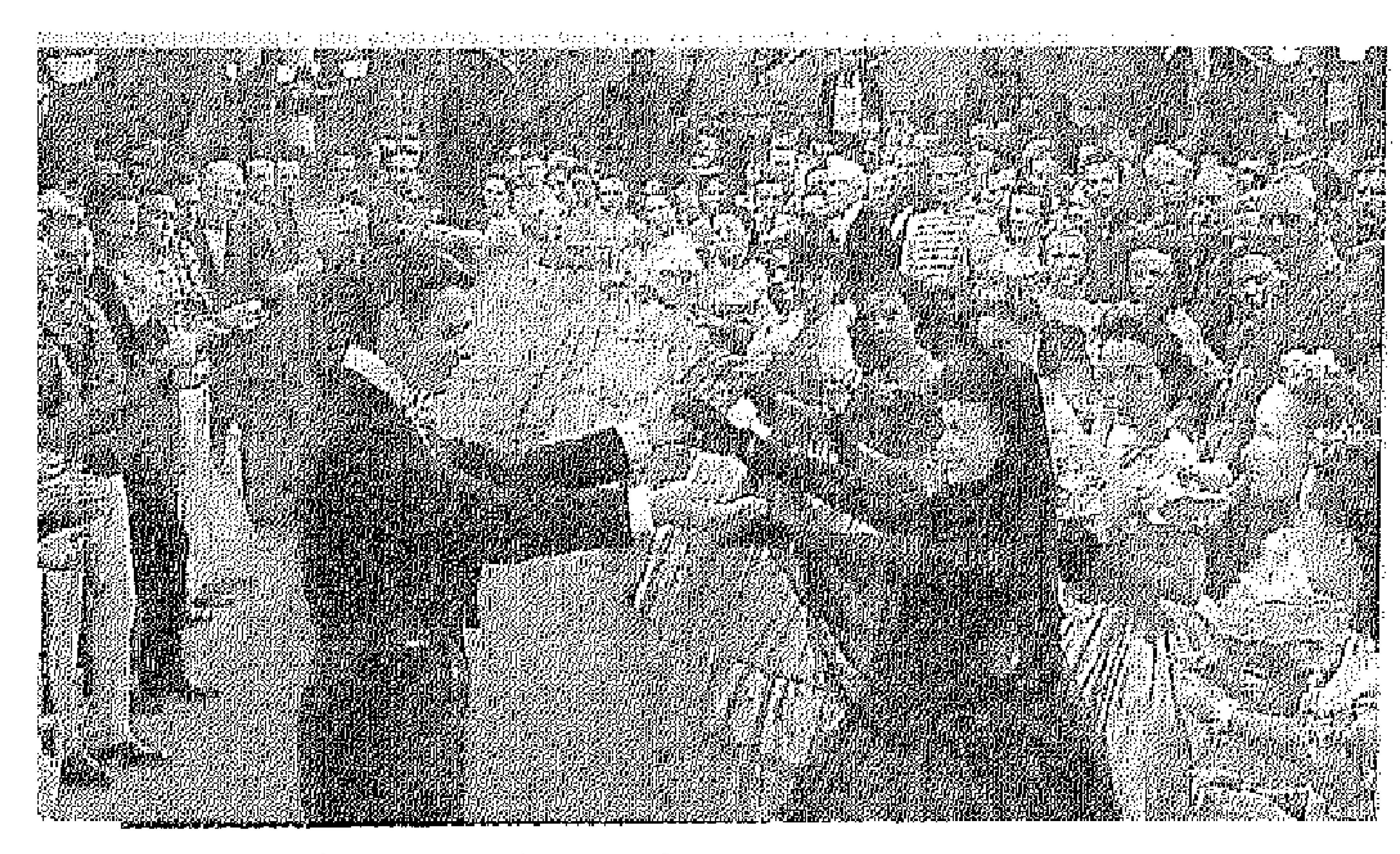


جين كيلي في "الغناء تحت المطر".

هو احد أبرع افلام(٢) هوليوود الموسيقية. بدأ تصويره في العام ١٩٥٢ واشترك في

(١) Casablanca

(٢) Singing in the Rain

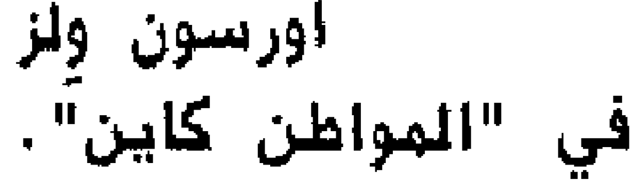


كلارك غيبل وفيفيان لي
في "ذهب مع الريح".

إخراجه كل من الراقص ومصمم الرقص جين كيلي، والمخرج الدرامي ستانلي دونن. وهذا الفيلم متعة خالصة للعين والاذن.

قدم لنا هذا الفيلم لقطتين لا تنسيان. الاولى اغنية كيلي الشهيرة ورقصته تحت المطر المتدفق بعد لحظة دافئة يقضيها مع النجمة ديبي رينولدز التي يقع في حبها حتى الجنون. وعلى رغم انه كان يرقص حاملا مظلته، وهو يشق طريقه في برك الماء ناثراً الماء في كل اتجاه مترجحاً حول اعمدة المصابيح، كانت النتيجة حماسة يتعذر كبتها كما لو كان فريد استير يرقص مع جينجر روجرز.

واللقطة الثانية هي العرض المنفرد الضخم لدونالد اوكونر في مشهد البهلوانيات الحماسي "اجعلهم يضحكون." كان يقفز فوق الارائك ويركض على الجدران ويتشقلب فوق خشبة المسرح من دون اي خطأ، مما حول هذا العرض العفوي الرشيق الذي دام خمس دقائق و١٥ ثانية سعادة خالصة.



اورسون ولز
في "المواطن كاين".



▫▫ ذهب مع الريح

فيلم (٣) "تصدر لائحتي". انه احد الافلام التي تستحق أن تدعى "ضخمة" كما تصفها هوليوود. ويقال انه اثناء عرضه الاول في اتلانتا عام ١٩٣٩ همس جون مارش زوج كاتبة قصة الفيلم مارغريت متشل، في اذنها معلقاً على احد المشاهد البالغة الأهمية: "لو كان لدينا نحن الجنوبيين مثل هذا العدد الغفير من الجنود لكنا ربحنا الحرب."

استغرق عرض هذا الفيلم مدة غير عادية بلغت ثلاث ساعات واربعين دقيقة، اعادت إحياء الحرب الأهلية على نحو شامل، وصورت الحب الجارف بين

(٣) Gone With the Wind


همفري بوغارت وبيترلور وماري استور وسدني غرينستريت في "صقر مالطة".

ريت باتلر (كلارك غيبل) المتبجح وسكارليت اوهارا (فيفيان لي) العنيدة.

وبلغت تكاليف الفيلم آنذاك ٤،٥ ملايين دولار، وهو مبلغ لم يسبق له مثيل (لو انتج اليوم لتجاوزت تكاليفه ٥٠ مليون دولار).

كيف تمكنت تلك الفنانة البريطانية الناحلة فيفيان لي من أداء دور الفاتنة الجنوبية؟ سألتها ذلك مرة في العام ١٩٦٠، فأجابت باسمة: "لم امثل دور سيدة جنوبية بل دور فتاة ايرلندية خشنة. فهكذا كنت اراها في "مخيلتي."

اما اسناد هذا الدور اليها فكان اعجوبة. لقد استغرق بحث المنتج دايفد سلزنيك عبر امريكا عن ممثلة تؤدي هذا الدور عدة سنين. واختبر عشرات الممثلات بمن فيهن بيتي دايفيس وكارول لومبارد ولانا ترنر ولوسيل بول. ولكن عندما بدأ التصوير عام ١٩٣٩ لم يكن وجد بعد من يؤدي دور سكارليت.

احد المشاهد من سلسلة اللقطات المتعاقبة كان احتراق اتلانتا. لقد تم بناء شوارع ومنازل وحوانيت على قطعة من الارض تابعة لـ"استوديوهات سلزنيك العالمية" في كالفر (سيتي) بكاليفورنيا واشعل فيها التقنيون اللهب. وعندما بدأت اتلانتا الاصطناعية بالاحتراق اتى مايرون سلزنيك وهو شقيق ديفيد وأحد الوكلاء، بإحدى موكلاته وتدعى لي، وقدمها الى ديفيد: "هذه هي سكارليت التي تريد." وفي غضون ايام قليلة اختيرت لي لأداء هذا الدور.

لم يشأ كلارك غيبل ابداً أن يقوم بدور ريت، ولم يرغب حتى في قراءة قصة الفيلم. ولكن سلزنيك كان مصمماً على الفوز به، وكان غيبل في تلك الاثناء مرتبطاً بعقد عمل مع شركة "مترو غولدوني ماير"، فلم يستطع سلزنيك الحصول على ريت باتلر الا بعد أن وعد شركة مترو بـ٥٠٪ من ارباح توزيع الفيلم.

اما عملية توزيع الادوار الباقية فتمت على اكمل وجه ايضا. ويبقى فيلم "ذهب مع الريح" ممتعاً اليوم كما كان عندما شاهدته للمرة الاولى قبل ٥٠ عاماً.

▫▫ المواطن كاين

كثير من الذين يدرسون تاريخ السينما بجدية يعتبر هذا الفيلم(٤) مثالا يحتذى

(٤) Citizen Kane

للحكم على الافلام الاخرى كان اورسون ولز عام ١٩٤٠ في الخامسة والعشرين من عمره عندما انتج واخرج ومثل واشترك في كتابة رائعته هذه. وكان ولز بصوته الجهوري وخياله المحلق احد عباقرة السينما الخلاقين. ويعتبر هذا الفيلم بتصويره الآسر لمهووس يحب تدمير ذاته، عملا فنيا رائعاً.

ومنذ بداية الفيلم، حين ينطلق احد المراسلين الصحافيين لمعرفة اسرار احد اصحاب الصحف النافذين الذي نطق لحظة وفاته بكلمة السر "برعم الورد"، وحتى نهايته عندما يكشف المراسل عن معنى هذه الكلمة، يأسرك هذا الفيلم ويجذبك نحو الرؤيا الساحرة لصانعه. وفي العام ١٩٨٧ اطلقت دراسة اجراها نقاد ومثقفون ومؤرخون سينمائيون لقب "افضل فيلم امريكي على الاطلاق" على "المواطن كاين."



هنري فوندا
في "عناقيد الغضب".

□□ عناقيد الغضب

هو(٥) استغاثة مؤثرة لضحايا الركود الاقتصادي الكبير الذي ضرب الولايات المتحدة في الثلاثينات ويروي قصة هجرة عائلة جود من أوكلاهوما الى كاليفورنيا. والفيلم مقتبس عن قصة الكاتب جون شتاينبك الذي حاز جائزة نوبل للآداب. وفي تلك الايام كانت الروايات الادبية العظيمة تحول نصوصاً سينمائية غنية وعميقة. فهل نعجب اذا كانت تلك الافلام مثيرة الى هذا الحد؟

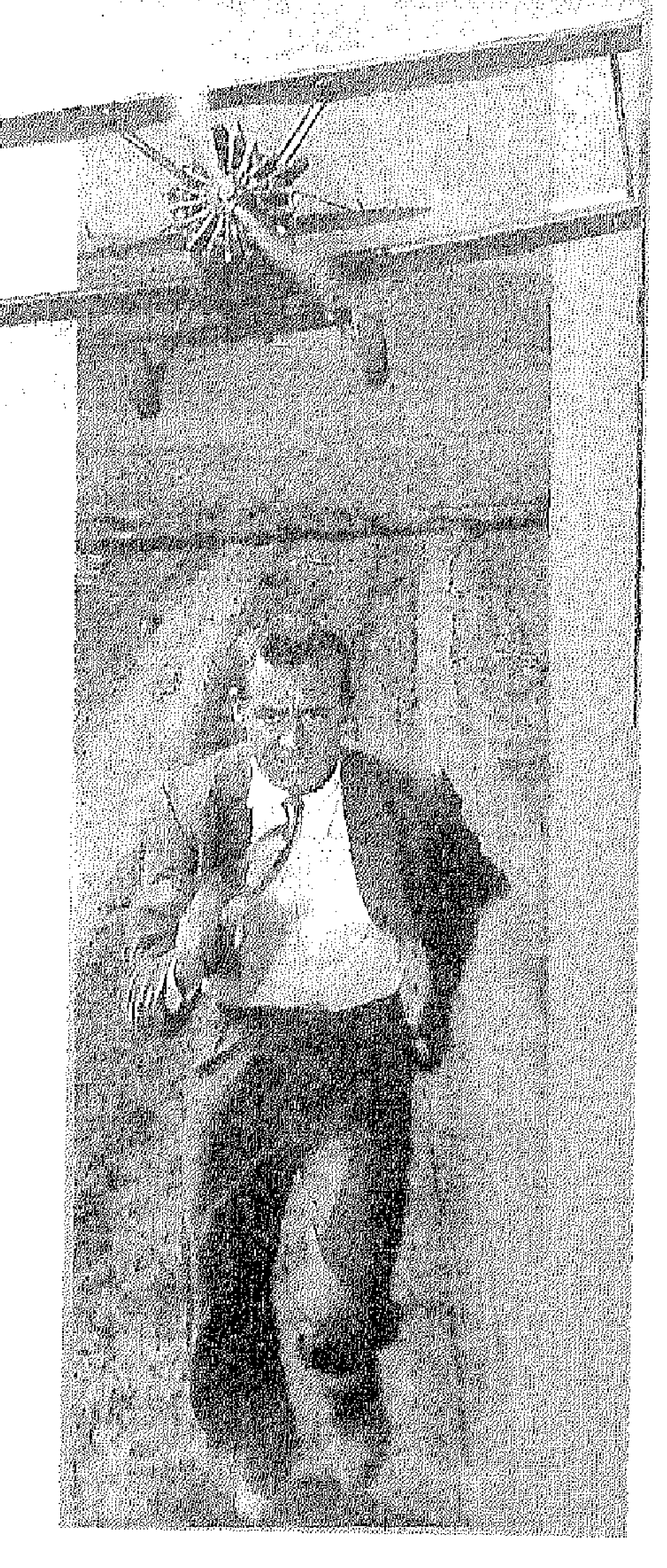
وعلى رغم ان هنري فوندا ادى دوره ففرض ذاته، لم يكن هذا الفيلم حكراً على نجم واحد بل كان عملا جماعياً بفضل مخرجه القدير جون فورد. شاهده الآن لقوة شخصياته وحواره.

كلودبت كولبرت
وكلارك عيبل
في "حدث ذات ليلة".



---

(٥) *The Grapes of Wrath*



كاري غرانت في "الشمال نحو الشمال الغربي".

□□ حدث ذات ليلة

كان(٦) اول وربما اكثر الافلام الكوميدية الهزلية إنسانية، وهذا النوع من الافلام كان رائجاً في الثلاثينات والاربعينات. بدأ تصويره في العام ١٩٣٤ وقام بالادوار الرئيسية فيه كل من النجمين كلوديت كولبرت وكلارك غيبل واخرجه فرنك كابرا الذي كان في اوج تألقه. هذا الفيلم نسخة من الثلاثينات عن "الحرب بين الجنسين" التي لا تنتهي ابداً، وقد قدم هذا الفيلم صورة جديدة للمرأة ـ الداهية الذكية التي لا يضاهيها اي رجل.

تقفز الوارثة كولبرت التي افسدتها حياة الترف وجعلت منها فتاة طائشة، من يخت والدها وتحاول الهرب متسترة تحت اسم مستعار فتصادف غيبل وهو صحافي لاذع ساخر وظريف. ويقوم الاثنان معاً برحلة مرحة من فلوريدا الى نيويورك.

وعلى رغم ان البطلين يشعران بارتباط جسدي وعاطفي قوي، تبقى علاقتهما الحميمة مقتصرة على إمساك اليدين وطبع القبلات البريئة على الخدين. وعندما يضطران الى المبيت لليلة واحدة في غرفة فندق يمد غيبل شرشفاً عبر الغرفة فاصلا بين السريرين التوأمين ويسمي هذا الفاصل "جدار جيريكو." صدقوني إذا قلت لكم ان هذا الفاصل ما أزيل الا بعد زواجهما.

□□ صقر مالطة

من تأليف جون هيوستن واخراجه، وهو(٧) مقتبس عن قصة داشيل هامتس المشوقة والتي تحمل الاسم نفسه. قام بدور البطولة في هذا الفيلم الذي صور في العام ١٩٤١ "المشبوهون المعتادون" في "كازابلانكا"، هؤلاء الاوغاد المحببون الذين مثلوا في

---

(٦) *It Happened One Night*

(٧) *The Maltese Falcon*

الكثير من افلام شركة "ورنر براذرز" على مدى سنوات. عاد سيدني غرينستريت ليمثل دور "الرجل السمين" الذي ينضح بالخيانة والخداع. وادى بيتر لور اهم دور في حياته كمجرم تافه، اما هامفري بوغارت فقام بدور سام سبايد التحري الخاص العملي الخشن. وكانت بريجيت اوشوغنيسي الشريرة التي احبها المشاهدون. كانوا جميعهم يحاولون سرقة تمثال صغير لطائر اسود مليء بالجواهر الثمينة.


جون واين في "عربة السفر".

□□ عُربة السفر

احدث الفيلم(٨) تغييراً في مفهوم هوليوود لافلام رعاة البقر والهنود. ولسنوات عدة كان صانعو السينما يزدرون هذا النوع من افلام "الوسترن" معتبرين انها من الدرجة الثانية ولا تناسب سوى العروض النهارية المخصصة للاولاد. ثم الهمت قصة قصيرة جون فورد فاشترك مع دادلي نيكولز في كتابة "عربة السفر."

ومن بين المسافرين عبر الاراضي الهندية كانت غانية، قامت كلير تريفور بتمثيل دورها، ومقاتل بارع يلقب "رينغو كيد" وقد ادى دوره جون واين. وبين ليلة وضحاها جعل هذا الفيلم من جون واين نجماً ساطعاً في عالم السينما.

"عربة السفر" مشهور بسلسلتين من اللقطات المتعاقبة احداهما الهجوم الذي قام به الهنود على العربة، ويعتبرها مؤرخو السينما اكثر الاعمال صدقاً ومخاطرة واثارة. اما الاخرى فتظهر "رينغو كيد" الخجول الذي يدرك الخير المتأصل في الغانية فيعبر لها عن مشاعره.


طوني كورتيس ومارلين مونرو وجاك ليمون في "البعض يحبه ساخناً".

□□ البعض يحبه ساخناً

هو(٩) كوميديا طائشة وساخطة لا تتخللها لحظة واحدة من الملل، وفي احد المشاهد الرائعة تغني مارلين مونرو التي تؤدي دور مغنية بسيطة وطيبة في

---

(٨) *Stagecoach*
(٩) *Some Like It Hot*

أواخر العشرينات، وهي تترنح: "اريدك ان تحبني." وعلى خط آخر يلوذ كل من جاك ليمون وتوني كورتيس (الذي يقوم بتقليد مضحك لكاري غرانت) بالفرار من وجه عصابة في شيكاغو، متخفيين بأزياء نسائية، لانهما كانا شاهدين على مذبحة اقترفتها العصابة. اما تهريجهما وهما متنكران يحاولان مناورة الاشرار - فيما كورتيس يغازل مارلين - فيجعل من هذا الفيلم احد افضل الافلام الكوميدية.

□□ الشمال نحو الشمال الغربي

افضل افلام(١٠) هيتشكوك. في هذه المغامرة الاخاذة يطارد جواسيس غرباء كاري غرانت عبر البلاد ظناً منهم انه عميل امريكي، بينما هو في الواقع مدير في شركة اعلانات. وفي احد المشاهد المثيرة يظهر كاري غرانت هارباً من وجه طائرة ترش السم في حقل. اما المطاردة الاخيرة فتجري بين الوجوه الضخمة لرؤساء الولايات المتحدة المحفورة في جبل راشمور بولاية ساوث داكوتا. قال ارنيست لاهمان كاتب سيناريو الفيلم لهيتشكوك انه يستحيل تصوير الممثلين في جبل راشمور نظراً الى انعدام المسطحات فيه. فكان على هيتشكوك وبمساعدة فريق من التقنيين بناء جبل راشمور في استوديوهات شركة "مترو".

ولماذا التعجب؟ فجين كيلي غنى ورقص تحت المطر على مسرح "مترو" واشعل شيرمان اتلانتا في مدينة كالفر على مقربة من جبل راشمور الاصطناعي.

ان السحر السينمائي الناجم عن هذه الاعمال سيدوم الى الابد.

موريس زولوتو ■

(١٠) North by Northwest



الدفع أبو الاختراع

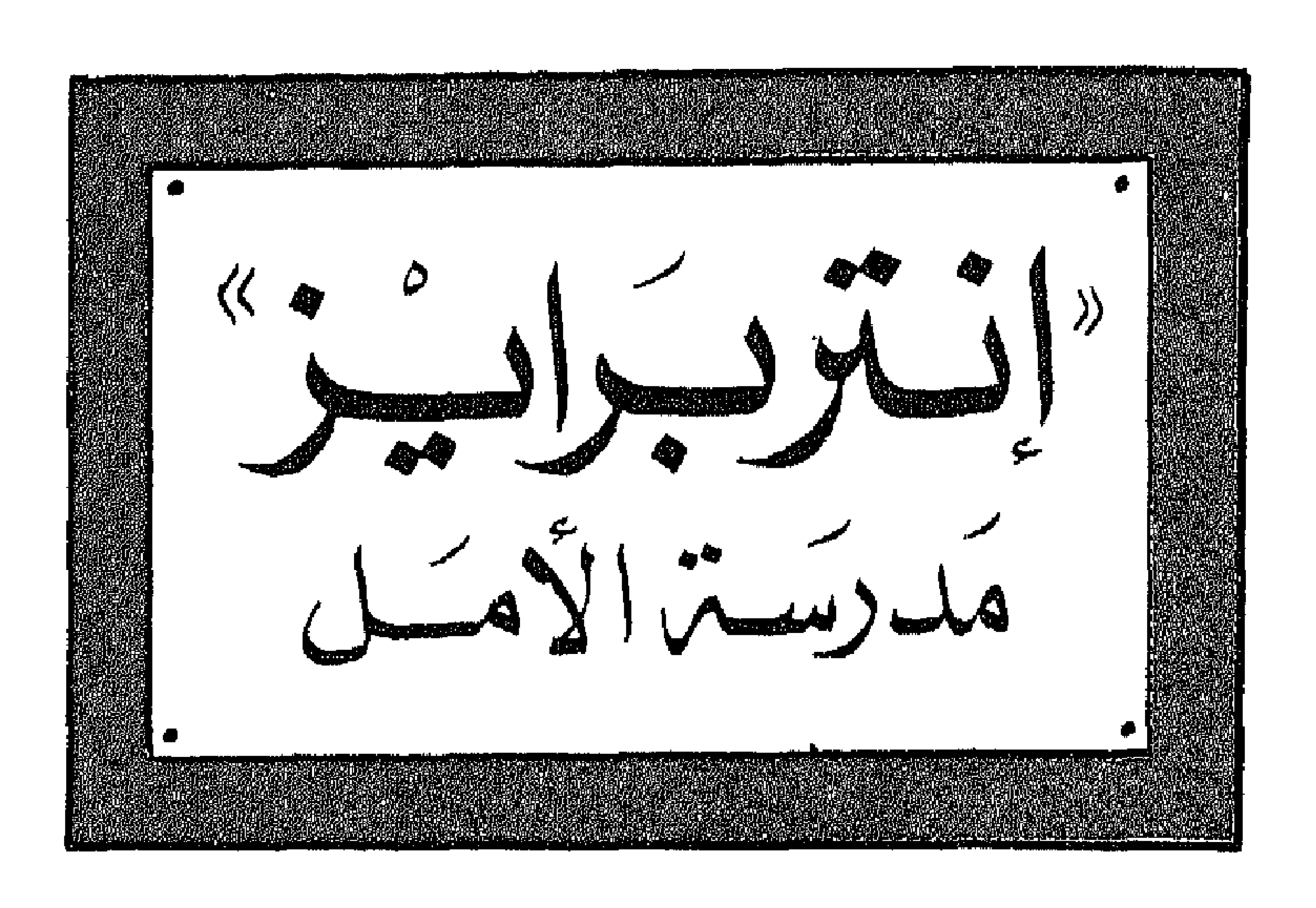
أنا محاسب في مركز طبي وأعرف كل أنواع الأعذار التي يقدمها المرضى المتأخرون عن الدفع، وأفضلها أتاني من سيدة قالت: "أنا آسفة لتأخري، ولكن كل ما لدينا تلف في الاعصار الأخير." فسألتها عما اذا كان الرقم الذي أكلمها عليه هو رقم هاتف منزلها. وبعد لحظة تردد أجابت: "نعم، والهاتف هو كل ما بقي لنا."

ت.م.

مرح صباحي

أخي سائق شاحنة، وكثيراً ما يواجه ازدحام سير خانقاً. وذات صباح توقف السير كلياً، فجلس أخي في المقعد المرتفع لشاحنته الكبيرة وهو يغني ويصفر. فصرخ به أحد السائقين وقد ضايقه تأخره عن موعد عمله: "ما الذي يفرحك هكذا؟" فأجابه أخي بمرح: "لقد بدأت عملي!"

ب.ل.



هنا تسنح فرصة ثانية، ربما اخيرة، للطلاب ذوي المشاكل الذين يتخلون عن الدراسة قبل التخرج

بدت كارول صورة ناطقة لليأس بكتفيها المرتخيتين وعينيها المنخفضتين، وهي داخلة مدرسة "انتربرايز" الثانوية في بوتيكا بولاية ميشيفن. وتساءلت لماذا العناء.

فقبل سنتين تخلت هذه الصبية ابنة التاسعة عشرة عن الدراسة وهي في الصف الثانوي الاخير. وكانت "انتربرايز" بالنسبة اليها فرصتها الثانية. ومع ذلك خامرها شك في مقدرتها على القيام بالعمل المطلوب. وللمرة الثانية في ذلك اليوم من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٨٦ تساءلت كيف يمكن لهذه المدرسة ان تساعدها. نظرت حولها، باضطراب وقلق وقالت في سريرتها: انني اعرض نفسي لسقوط آخر.

لم تكن مدرّسة الفنون جولي وليمس غريبة عن تلك النظرة التي تميز الطلاب في يومهم الاول في المدرسة والتي قرأتها الآن في وجه كارول، فقالت لها وهي تبتسم: "مرحبا. انني مدرّسة هذا الصف، ويسعدني حقا ان تكوني بيننا اليوم."

فردت عليها كارول بهزة من كتفيها وتمتمت: "انني لا احب المدرسة كثيرا."

فأجابتها جولي: "لكن هذه المدرسة

مختلفة وسوف تفيدين منها كثيرا."

فردت كارول وهي تشيح بوجهها: "ربما، سنرى."

خسارة وطنية. تواجه التربية في أمريكا اليوم مشكلة كبرى تتمثل في توقف الطلاب عن الدراسة قبل التخرج. فنحو مليون طالب - أي واحد من كل أربعة - يتوقفون عن الدراسة كل سنة. ومن يجد منهم عملاً فإنه يكون عادة عملاً ضئيل الأجر لا يتطلب أي مهارة. أما الباقون فإنهم عملياً غير مؤهلين لأي عمل وغير صالحين للاستخدام، فيتجهون الى الإجرام. وان قرابة ٦٠ أو ٧٠ في المئة من نزلاء السجون هم من الذين عجزوا عن انهاء دراستهم الثانوية.

والثمن الذي تدفعه البلاد من جراء هذا الوضع مذهل. ولقد أجرى مركز الأبحاث التربوي في جامعة ستانفورد في كاليفورنيا حسابا للخسارة التي سببها طلاب العام ١٩٨١ الذين انقطعوا عن المدارس قبل انهاء دراستهم. وتبيّن بنتيجة الحساب أنهم أضاعوا فرص كسب ٢٢٨ مليار دولار خلال حياتهم وفوتوا على الدولة عائدات ضريبية تبلغ ٦٨ مليار دولار، عدا الامكانات البشرية المهدورة التي لا تقدّر قيمتها بثمن. مدرسة "انتربرايز" الثانوية كانت الحل الذي قدّمه رينشارد بنديكت للمشكلة. فبعد ثلاث سنوات من تدريس مادة "مهارات حياتية" في مدرسة في بنتون هاربر بولاية ميشيغن تقع في حيّ داخلي مكتظ بالناس ويسوده الفساد، أدرك أن التلاميذ الذين يحتاجون فعلاً الى تلك المادّة لم يكونوا بين الطلاب، فهم تخلوا عن الدراسة وغادروا المدرسة.

وبتمويل من الحكومة الاتحادية ومن الولايات فتحت قبل ست سنوات أول مدرسة ثانوية في مشروع "انتربرايز" في مبنى مدرسة ابتدائية مهجورة في ماكومب شمال مدينة ديترويت. وفي بداية ١٩٨٩ بات هناك ٦٠٠ طالب مسجلون في عشر من مدارس "انتربرايز" في ولاية ميشيغن وفي كليفلاند وشيكاغو. ويسمع الطلاب بالبرنامج إما من المرشدين وإما من أناس يتناقلون أخباره.

تغيير جذري. في كل يوم من أيام الدراسة يخصص وقت لتدريس اللغة الانكليزية والرياضيات والعلوم وسواها من المواد الاساسية. أما في ما تبقى من وقت فيعمل الطلاب في مشاريع تعهدات ومقاولات تجارية ويتقاسمون الأرباح. فهم يديرون المطاعم ويصلحون السيارات والادمغة الألكترونية ويطبعون بطاقات دعوات الى الأعراس. وهناك مجموعة منهم أسس أفرادها شركة تعاونية ساهم كل منهم في تمويل صندوقها المشترك، وهي تمنح قروضا بفائدة متدنية.

لمعظم هؤلاء الطلاب تاريخ طويل حافل بالمشاكل. نصف المتقدمين الى البرنامج من متعاطي المخدرات، وثلثهم أصحاب مشاكل مع الشرطة، وأكثر من ثلثهم أبناء عائلات فقيرة تتلقى اعانات مالية من صندوق الدولة. أما بنديكت فيقول لهم: "لا أحد يولد فاشلاً. انكم هنا لكي تحققوا طاقاتكم الكامنة."

ومعظمهم ينجح فعلاً بفضل جهود بنديكت. فنحو ٧٠ في المئة منهم ينهون البرنامج ويتخرجون. وثلثا المتخرجين يجدون عملاً أو ينطلقون بأعمال تجارية حرة. و"انتربرايز" هي بالنسبة الى عدد كبير منهم الحافز لتغيير جذري في حياتهم. ويقول بنديكت في هذا الصدد: "إننا نعلّمهم أن العمل مهمّ وأن لحياتهم قيمة وأن ما يفعلونه مُجدٍ. و"انتربرايز" تتيح لهم فرصة للنجاح. وهم يعرفون أنهم مسؤولون عن اخفاقهم فلا يلومون أحداً سواهم."

مايكل، مثلاً، تحوّل الى المخدرات والكحول وهو في الثالثة عشرة من عمره، فتخلى عن الدراسة ولم يستطع الثبات في أي عمل. ثم سمع بمدرسة "انتربرايز" من أحد أصدقائه، فانتسب اليها وكان في التاسعة عشرة. لم يكن يتوقّع الكثير، لكنّه قبل انقضاء سنة قطع عهداً لنفسه بالابتعاد عن الكحول والمخدرات ونال الشهادة الثانوية. مايكل اليوم في السادسة والعشرين، ويعمل في تركيب اجهزة منبّهة ضد السرقة في المنازل. حلمه أن يصبح مهندساً. وهو تخرّج حديثاً بعدما درس علم الالكترونيات في معهد ليلي.

طوال ثماني سنوات منذ تخلّت سو عن الدراسة وهي في السادسة عشرة من عمرها، عاشت مع طفلتها الصغيرة في حال من الفقر المدقع واليأس بلغت ذات مرّة حدّ التشرد. وكانت في حاجة الى ٧٠٠ دولار يومياً لسد حاجتها الى الكوكايين الذي ادمنته. وفي السن الرابعة والعشرين قررت أنها اكتفت من تلك الحياة، فانتسبت الى برنامج للمعالجة والتأهيل ثم تسجّلت في مدرسة "انتربرايز" حيث نالت أعلى المعدّلات. ومن كانت بالأمس أماً تعيش على الصدقة وإعانات الدولة أصبحت اليوم مشرفة في مأوى للنساء العجائز.

"ليس في استطاعتي..." أما كارول، الشابة المضطربة التي وقفت في قاعة الصف ذاك اليوم من شهر سبتمبر (أيلول)، فلقد كانت هي الأخرى ذات ماضٍ محزن. فهي كبرت في بيت يعوزه المالُ والحب.

كانت كارول في الخامسة عشرة من عمرها عدائية المزاج نزّاعة الى الجدل. وبدأت تتغيب عن المدرسة، وما لبثت أن تخلت عنها نهائياً. وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٥، في السنة التي كان مفروضا أن تتخرّج، طردتها أمها من البيت. وبعد أسابيع تعرّضت لحادث اصطدام خرجت منه بإصابة بالغة في ساقها اليمنى أقعدتها في المستشفى أسبوعين، فاضطرت الى التخلي عن عملها الوضيع في مصنع للبلاستيك. ومع أنها أملت أن يسمح لها أبواها بالعودة الى المنزل إلا أنهما خيّباها.

أقامت كارول في البدء مع عائلة احدى صديقاتها ثم مع صديقة عاطلة عن العمل. ونظراً الى انكماشها وقلّة ثقتها بالغرباء أقامت جداراً حولها وكبتت عواطفها وراءه.

ومع أن ذلك لم يكن جديداً على المعلمة جولي وليمس، إلا أن منظر الشبان والشابات - أمثال كارول - المصدومين

والفاقدي الأمل، ما فتىء يهزها وكان عليها أن تعمل جاهدة لكي تكسب ثقتهم وتصبح موضع ائتمانهم. وفي ذلك اليوم خاطبت جولي مجموعة الطلاب أمامها: "ان انتربرايز هي فرصتكم الثانية لمتابعة دراستكم الثانوية. انها فرصتكم لتعملوا أو لتكونوا ما شئتم. الأمر متوقف عليكم، وأنا هنا لأبذل قصارى جهدي لمساعدتكم."

فرماها الطلاب بنظرات مرتابة عدائية.

نظرت جولي الى كارول الجالسة بصمت وإكتئاب، وشعرت للحال أن العمل معها سيكون بمثابة تحد.

تابعت جولي: "هذه المدرسة مبنيّة من أجل الاعمال والمشاريع التي تحمل معنى المغامرة والتحدي. مشروعنا لهذا الصف هو الانتاج الفني. سوف تنتجون أشياء ثم تبيعونها ولدينا مخزن لهذا الغرض هنا في المدرسة."

عبست كارول وقالت: "لا أحد يشتري أي شيء من إنتاجي."

فوجّهت جولي إجابتها الى الصف كلّه: "ليس في هذه القاعة من لا يجيد عملاً ما. أنا نفسي تعلّمت وحدي كل ما أعرفه عن الفن. والناس يدفعون لي ثمن ما أنتجه. ان في وسعكم جميعكم أن تفعلوا الأمر نفسه في المستقبل. وفي استطاعتي أن أريكم كيف تفعلون ذلك إذا ما لاقيتموني في منتصف الطريق."

ثم نظرت الى كارول وسألتها: "لو كان لك أن تختاري أي عمل فني، فماذا يكون؟"

تخلّت كارول لبرهة وجيزة عن حذرها وقالت: "الرسم الزيتي." ثم نظرت حولها بخجل وارتباك واضافت: "لكن ليس في استطاعتي..."

فوعدتها جولي: "بل في استطاعتك!"

ألوان قاتمة. عدد كبير من الشباب في مدارس "انتربرايز" ظلّوا سنوات يسمعون من ذويهم ومدرسيهم أنهم لن ينجحوا في أي شيء. ودأبت جولي كل يوم على اقتطاع جزء صغير من المشاعر السلبية التي تراكمت داخلهم، مرددة عليهم رسالتها المتفائلة من دون كلل. إلا أن كارول كانت تتجنب الإتصال برفقائها الطلاب. ونادراً ما ساهمت في مناقشات الصف. فهي كانت قليلة الكلام وذات مزاج متقلب.

عندما بدأت كارول العمل على مشروعها الفني - وهو رسم عنقود عنب بالحبر والريشة - أمطرتها جولي بعبارات الاستحسان والمديح، وكانت تردد "رائع... جميل..." ممّا شجع الفتاة فانتقلت الى صنع دمية من الخزف.

"التفاصيل جيّدة، هكذا كان تعليق جولي عندما رأت اللعبة، مع أنها لاحظت اللون الازرق الكئيب الذي اختارته كارول. وقالت في نفسها: لا بد من أن الدمية بلونها القاتم تعكس مشاعر الوحدة واليأس عند كارول. لكنها سوف تتخلص منها، أنا متأكدة من ذلك.

مع مرور الاسابيع نمت ثقة كارول بنفسها وما لبثت أن تحوّلت الى صنع أطر للصور وقمصان قطن مصبوغة وفق الزي الشائع. ولم يكن بين القمصان واحد مثل الآخر. ولكي تعتاد كارول التفكير العملي،

كما الغنيّ، كان عليها أن تحدد بنفسها سعر البيع لكل قطعة تنتجها، آخذة في الاعتبار كلفة المواد المستخدمة وربحها المنشود. وفي النهاية تحوّلت كارول الى صناعة الزينة المنزلية لان ذلك يدرّ عليها مالاً أوفر كما قالت.

ظهر كل يوم كانت كارول تغادر غرفة الفنون وتتوجه عبر الرواق الى صف يعلّم "الادارة العملية". وهي سلّمت في ذلك الصف دفتر شيكات صوريّة وكان عليها أن تسدد بموجبه فواتير خيالية. وهكذا تعلّمت أن توازن بين الدخل والمصروف وأن تحسب قيمة الضرائب.

ولم يكن ما تعلمته كارول ليقتصر على ذلك، بل انها بدأت تكتشف الكثير عن نفسها. وذات يوم أسرّت الى جولي بصوت لم يخلُ من الدهشة: "أتعلمين؟ انني أحب هذا المكان وأعتقد أنني تعلمت الكثير."

لكن حضور كارول لم يكن منتظماً. ولما استوضحتها جولي عن السبب قالت: "صديقتي تنقلني بالسيارة الى المدرسة، وأحياناً لا نملك ثمن الوقود."

عندما لاحظت جولي في منتصف شهر أكتوبر (تشرين الاول) أن كارول تعاني سعالاً شديداً، سألتها إن كان هناك من خطب. فأخبرتها كارول أنها وصديقتها تعيشان في بيت متنقل صغير قائم على عجلات وهو كناية عن شاحنة مفتوحة، وأن عليهما كلما أرادتا الذهاب الى الحمّام أن تسيرا مسافة ثلاثة أرباع كيلومتر.

سألتها جولي: "وأين تأكلان؟"

فأجابت بإصرار: "إننا بخير."

ذلك المساء طرقت جولي باب الشاحنة ومعها ثلاثة اكياس من الطعام. كانت الحال في الداخل أسوأ مما توقعت، ولم يكن في الشاحنة من أسباب التدفئة سوى موقد صغير يحدث شعلة زرقاء. أما كارول فقبعت في الزاوية وهي ترتجف كطفل ضائع وقد لفّت نفسها بحرام. ضمّتها جولي الى صدرها وقالت برقة: "كارول، لا يمكنك أن تعيشي هكذا. يجب أن نعيدك الى البيت."

جبال الاحلام. في الاسابيع التالية ظلّت جولي تمدّ كارول بالطعام والفيتامينات. واتصلت بوالدتها وحضتها على المصالحة. وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني)، على أبواب موسم شتاء قاس، لانت الوالدة وعادت كارول الى المنزل.

في تلك الاثناء بدأت كارول تلين وتتصل بالآخرين وتشارك في مناقشات الصف عارضة مشاكلها ومساهمة في تقديم الحلول للطلاب ذوي المشاكل. ورداً على زميلة لها كانت تقيم مع صديقة تسيء معاملتها نصحتها كارول بالعودة الى ذويها قائلة: "كان ذلك حلاً ناجماً بالنسبة الي."

بدأت كارول تبرز كقائدة في الصف. وأصبحت مديرة مخزن المدرسة. وساهمت في اقامة معرض حرفي خيري درّ على الصف نحو ٧٠٠ دولار.

وفي الفصل الدراسي الثاني سنحت لكارول فرصة للعمل على اللوحة الزيتية التي طالما حلمت بها. وهي قالت لجولي: "أريد جبالاً في لوحتي، كي أتخيّل نفسي جالسة فوق قممها حيث الهدوء والسكينة."

رسمت كارول صورة تخطيطية على

القماش ظهرت فيها قمم وبحيرة جبلية. وكانت تجلس ساعات طويلة يومياً أمام المحمل تعمل على لوحتها بتفصيل مفرط. وأخيراً، بعد ثلاثة أشهر، انتهى العمل وامتلكت كارول جبالها بألوانها المشرقة المفعمة بالحياة. وعندما قدّمتها الى الصف علا الهتاف.

في شهر يونيو (حزيران) ١٩٨٧ أتمت كارول وثمانية تلاميذ آخرون البرنامج المقرر لنيل الشهادة الثانوية. ولشد ما فرحت جولي عندما علمت أن الفتاة المنطوية في الماضي تطوعت لالقاء كلمة المتخرجين.

وبثقة عارمة وابتسامة مشرقة تقدمت كارول من المقرأ وتلت الخطاب الذي استهلته بقولها: "كنت مقتنعة بأنني لن احوز شهادة أبداً. لكننا هنا في انتربرايز عملنا معاً كعائلة واحدة."

وكوالدة فخورة جلست جولي وليمس في الصف الامامي، واغرورقت عيناها وهي تتابع خطاب كارول التي وقفت مرفوعة الرأس تقول: "لقد اتاحت لي هذه المدرسة فرصة لأحقق شيئاً مهماً في حياتي. يمكنني الآن أن أحقق أي شيء أعقد العزم عليه."

باتريشيا سكالكا ■



برمجة منزلية

استيقظت ذات صباح لأجد أن الكهرباء انقطعت لساعات خلال الليل. وبينما كنت أعيد ضبط المنبّه اتصلت بي جارتي التي يزخر منزلها بأحدث الادوات الرقمية وسألتني: "هل انقطعت عنا الكهرباء؟"

- نعم لمدة ثلاث ساعات تقريباً.

فتذمرت قائلة: "كانت لدي مخططات كثيرة لهذا اليوم، والآن سأضطر الى صرف الصباح في اعادة برمجة المطبخ."

ك.ل.ب.

بين المهنة والزواج

بدا صراع الأجيال واضحاً عندما حاولت مناقشة موضوع الزواج مع ابنتي ذات التطلعات المهنية. فأشرت عليها بالآتي: "قد لا يتحمل زوجك طموحك الى ما لا نهاية، فيقلقه ألا يتلاءم الولاء الكلي للوظيفة مع علاقة زوجية ناجحة." فأجابت: "أنت لا تفهمني يا أبي، فالذي سيحدث هو عملية دمج وليس عملية استيلاء."

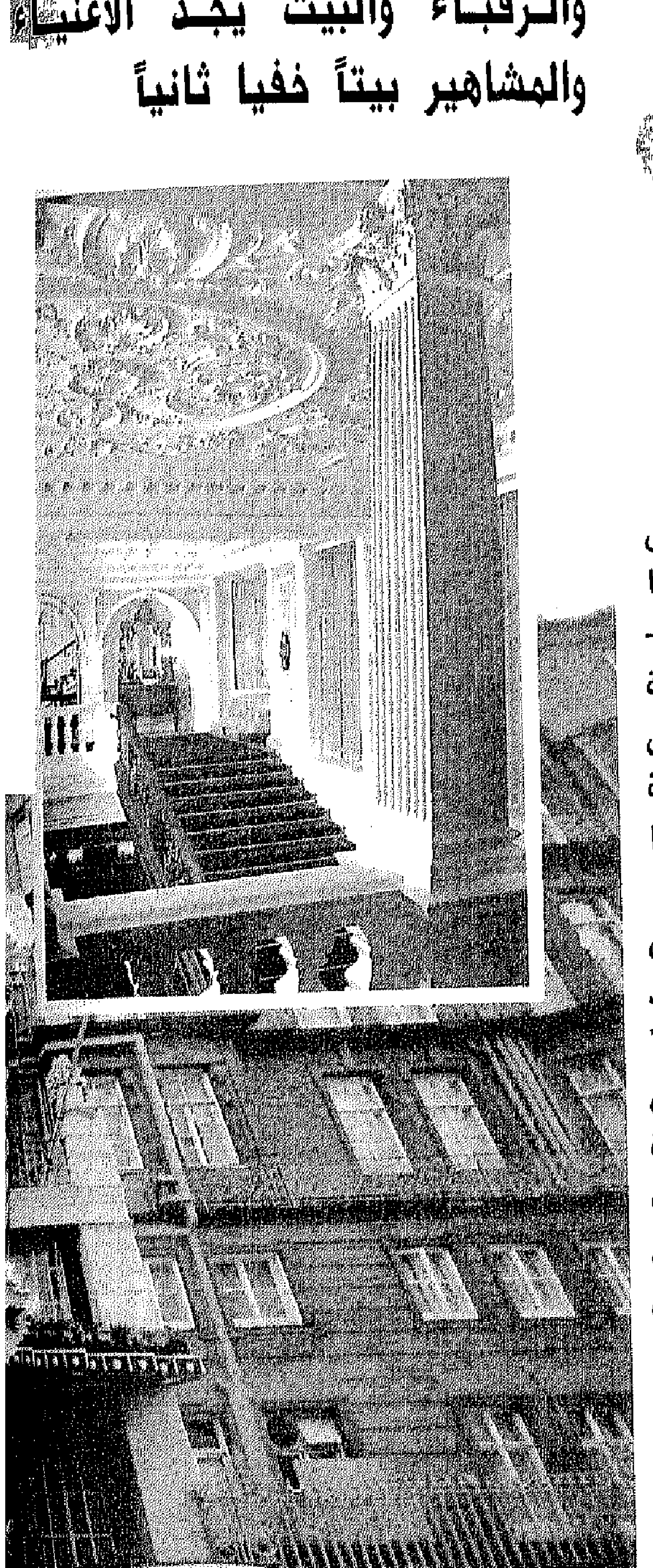
ل.س.أ.

عندما يقع فيل في مأزق، حتى الضفدع يستطيع أن يرفسه.

مثل هندي



في فندق لندن الفخم بعيداً عن العيون والرقباء والبيت يجد الأغنياء والمشاهير بيتاً خفيا ثانياً

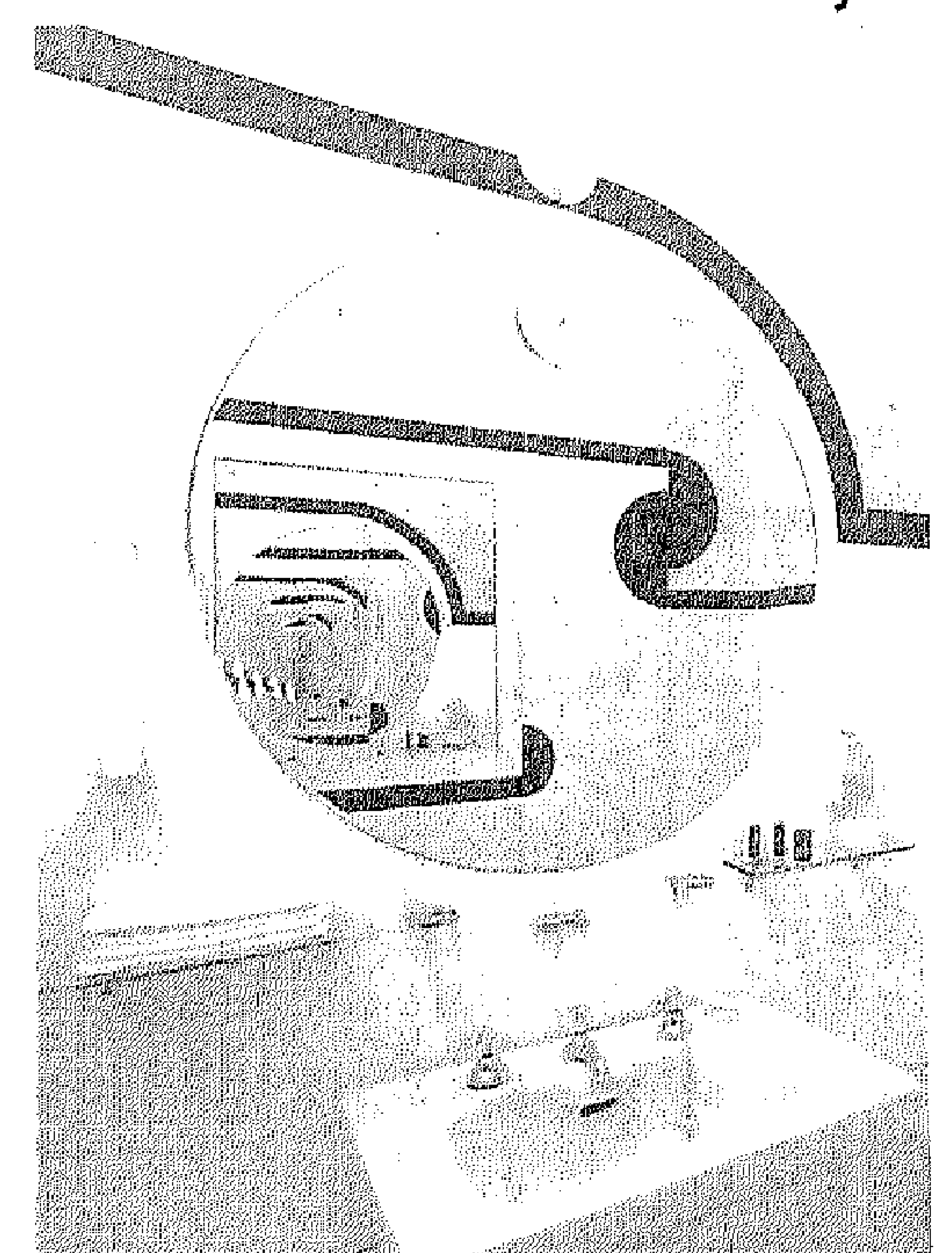


في أصيل احد ايام الصيف في فندق كلاريدج في لندن سمعت انشادا إيقاعيا آتيا من الشارع: "ما - كار - يوس! ما - كار - يوس!" فخرجت الى الشرفة وشاهدت جمعا من القبارصة يهتفون معلنين تأييدهم لرئيس الاساقفة مكاريوس الذي هرب من الجزيرة بعدما اطاحه انقلاب، ولجأ الى الفندق.

وفي الشرفة الواقعة تحت شرفتي وقفت فتاة جميلة سمراء تراقب المشهد الى ان خرجت خادمة واسرت اليها شيئاً فاختفت في الداخل. وفي وقت مبكر من الصباح التالي رأيتها تصعد الى سيارة فخمة وتنطلق بسرعة. فسألت الحاجب عمّن تكون. فتوقف لحظة متحفظاً ثم اجاب: "إنها ملكة اليونان المنفية، وهي والملك قسطنطين نزيلان دائمان هنا."

وكنت قرأت ان التغيّرات السياسية قد تعني عودة الملك القريبة الى عرشه. وقد فتنني وجوده في الفندق فبحت بذلك الى أحد الاجانب الذي بدا متميزا وكان معي في المصعد

(فوق من اليمين) السلم الرئيسية، جناح خاص، حمّام غرفة "آرت ديكو." (أسفل اليسار) خدمة الغرف.





فسألته: "هل انت ايضا من اليونان؟"
– انا من باكستان.
"وماذا تعمل هناك؟"
– انا رئيس الدولة.

يفد الى فندق كلاريدج بفخامته المميزة، الملوك والملكات ورؤساء الدول والجميلات ورؤساء الشركات واصحاب الملايين والسياح الاثرياء من اوستراليا والشرق الاوسط. وخلف واجهته الفيكتورية المبنية بالقرميد الاحمر يقوم عالم مصغّر من الثراء والشهرة والعلاقات المشبوبة.

في صميم التقاليد البريطانية، يحتل الفندق الذي يضم ١٨٩ غرفة مكانا فريدا كبناء اضافي ملحق بقصر باكينغهام. فيتبع الملكوك والرؤساء الذين يقومون بزيارات رسمية للملكة، نظاما روتينيا دقيقاً غير مكتوب. فبعد اقامة ٣ ايام في القصر ينتقلون الى فندق كلاريدج حيث يقيمون للملكة مأدبة عشاء رسمية تتعهدها مطابخ الفندق السحرية التي تتحقق من الا تقدم قائمتا طعام بالانواع ذاتها.

حين استضاف الملك الحسن الثاني ملك المغرب الملكة عام ١٩٨٧ كانت هناك حاجة الى كميات كبيرة من الدجاج ولحم الضأن والحمام والرز والتوابل. ولخدمة هذه الوليمة العربية زيد عدد نُدل فندق كلاريدج بآخرين من حاشية الملك، بملابسهم الزاهية: الجلّابيات البيض والطرابيش الحمر والاحذية الصفر.

طابع الفندق المميز. مهما تكن رغبة النزيل او نزوته، فان هيئة ادارة كلاريدج تضم ٥٠٠ مستخدم مدربين لتلبيتها في الحال بكفاية وثقة. وكل ما يحب النزيل ويكره مدوّن بدقة في الفندق. وذُكر ان رئيس الاساقفة القبرصي الراحل مكاريوس بعد هربه من الجزيرة، دوّن طعامه المفضّل: "فاصولياء هاينز، محمصة ومشيّطة." وطوال اقامته في الفندق كانوا يمطرونه بالفاصولياء (مشيّطة قليلا ويحبها كذلك).

فالمقيمون الدائمون يواجهون دقة في انتقاء الغرف، فلأولئك الذين يحنّون الى الثلاثينات من هذا القرن هناك أجنحة "آرت ديكو" الأنيقة فيما يفضل آخرون رفاهية بيت "كوتسولد" الريفي المزّين بالقماش المطبّع والبعيد عن الرسميات. وكان ج. بول غيتي الذي كان يعتبر اغنى رجل في العالم، يستأجر غرفة فردية في أحدى الطبقات العليا.

بدأ تاريخ كلاريدج عام ١٨١٢ عندما استأجر اللورد وليم بوكليرك منزلا في شارع بروك مصحوبا بتفويض لتشغيله فندقا. وعيّن مسؤولا عن الفندق يدعى جيمس مايفارت. ويحكى ان الوصي على العرش كان وراء "مايفارت" الاسم الاول للفندق، واحتفظ لنفسه فيه بشقة خاصة.

وما لبث مايفارت ان اشترى خمسة منازل أخر في شارع بروك ضمّها الى بعضها وتخصص باستضافة الاشراف في رفاهية وسرية. ولدى تقاعد مايفارت في اواسط العام ١٨٥٠ تملك الفندق وليم كلاريدج وزوجته الجميلة ماريان اللذان كانا يديران فندقا خاصا صغيراً وغيرا اسمه لاحقا الى فندق "كلاريدج".

في العام ١٨٦٠ ذاعت شهرة الفندق

حين حضرت اليه الملكة فيكتوريا لزيارة الامبراطورة اوجيني الفرنسية. وتلت ذلك عشر سنين كان الفندق خلالها محجة العظماء. غير انه في العام ١٨٨١ انتكست احواله المالية فبيع من احدى الشركات. وكان بات يعتبر فندقاً من الطراز القديم، وهجره زبائنه المخلصون للاقامة في فنادق جديدة اكثر فخامة. وفي ١٨٩٤ اضطرت الشركة الى بيع الفندق لتسديد ديونها.

مكافأة الصبر. انتقلت ملكية فندق كلاريدج الى شركة يرئسها ريتشارد دويل كارث، مدير "اوبرات غيلبرت وسوليفان" وباني فندق "سافوي" في ستراند. فهُدمت الابنية القديمة وصمم الفندق الجديد بطبقاته السبع، س. و. ستيفنس المهندس المعماري الذي بنى "هارودز." وافتتح في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٩٨.

ولم يلبث ان عاد كلاريدج بيتا ثانيا بعيدا من البيت للملوك والاثرياء.

في الحرب العالمية الاولى كان الضباط المجازون من الجبهة، يغازلون الفتيات الجميلات خلال حفلات الشاي الكثيرة التي كانت تقام في الفندق وفي السنوات التي تلت الحرب اكتشف الامريكيون الاثرياء سحر الفندق. وفيما كانوا يتدفقون من البواخر عابرة الاطلسي، كان مفوّضو كلاريدج في انتظارهم على الارصفة ليساعدوهم في معاملاتهم الجمركية وليتلفنوا بغية التأكد من كون اجنحتهم جاهزة، ولطلب اشعال المدافىء في ايام الشتاء الباردة.

في الحرب العالمية الثانية وفّر الفندق مسكنا لملوك اليونان ويوغوسلافيا وهولندا كما استضاف جمعا من الملوك ورؤساء الدول. وخلال الغارات الجوية كان هؤلاء يقضون الليالي في الملجأ الواقع في اسفل البناء اتقاء للقنابل. وكانت لملكة هولندا زاويتها الخاصة المحجوبة بالستائر.

وما ان انتهت الحرب حتى عاد لكلاريدج بريقه وتألقه واخذ الزائرون من وراء البحار يتوافدون اليه وعادت الاريستوقراطية البريطانية تقيم طقوسها فيه. وفي بداية موسم سباق الجياد الطلِق كانت الملكة تتناول الغداء في الجناح الملوكي في ضيافة اللورد هاليفاكس. وقبل الحفلات في الحدائق الملكية كانت النساء بقبعاتهن يحتشدن في "الكوزيري" اي المطعم الصغير الى جوار القاعة الكبرى والمكان المفضل الذي تتردد اليه دوقة يورك. وتظهر الفتيات للمرة الاولى في الحفلات الاجتماعية في قاعة الرقص ورؤساء الدول الزائرون يقيمون فيه ولائمهم.

وتقام فيه حفلات ابعد قليلا عن الرسميات للشخصيات الملكية، كتلك التي حضرها الملكة والامير فيليب بعد زواج ولي العهد ودوق يورك.

والى الغرف الخاصة الخمس المتصلة ببعضها حيث في الامكان تقديم وجبة لألف شخص مرة واحدة، يضم فندق كلاريدج مطعما رئيسيا يقدم فيه الشراب ندل مرتدين "الفراك" والسراويل القصيرة حتى الركبتين وتعزف اوركسترا مجرية موسيقى الكوميديات الاسطورية.

وفي المطعم حيث تقوم بوابة على مدخله يضبط المدير برونو (طوله ١،٩٢ متر) بعينه الثاقبة الجلوس على افضل الطاولات. واصول "الأتيكيت" في الفندق هي في غاية الشدة حتى انه في الايام التي كان يُفترض في النساء ارتداء التنورة وقت العشاء، منعت كاثرين هيبورن من الدخول لارتدائها السروال.

ولعل في كل الاحداث التي شهدها كلاريدج على مرّ السنين – من استضافة بولغانين وخروتشيف، واحتشاد الملوك خلال مأتم الملك جورج السادس، والاحتفال باليوبيل الفضي للملكة – ليس هناك ما يوحي ويبعث على التأثر اكثر من خروج السير ونستون تشرشل من مبنى ١٠ داوننغ ستريت، مقر رئاسة الوزارة البريطانية في لندن بعد خسارته في الانتخابات عام ١٩٤٥ (بعدما كان قاد بريطانيا الى النصر)، واكتشافه انه لا يملك منزلا في لندن يقيم فيه. ولم يطل الامر حتى جاءه الحل السريع من اصحاب فندق كلاريدج.

قال له السير هيو وونتنر رئيس "مجموعة سافوي" مالكة كلاريدج آنذاك: "ستقيم عندنا بكل تأكيد، وسنكون مبتهجين اذا اقمت في شقتنا الاضافية للمبنى كضيف."

في تلك الليلة خرج تشرشل، وحنكه مطبق على السيجار، الى شرفة الشقة وجال ببصره فوق سقوف الابنية فشاهد ساعة "بيغ بن" الشهيرة تتوهج فوق مباني البرلمان فقال: "أعتقد انني سأكون سعيدا هنا. لقد كنت دائماً عضوا في مجلس العموم وأرغب في ان تظل عيني عليه وأوليه اهتمامي." ثم دخل وتناول شرابا معتقاً ممتازاً خاصا بكلاريدج، مع السير هيو.

جيمس ستيوارت غوردن ■



لغة ميكانيكي

خلال رحلة طويلة في السيارة وصلت الى قرية صغيرة. وكان عطل بسيط طرأ على سيارتي، فبحثت عن مرأب. وهناك دار الحديث التقليدي الآتي بيني وبين الميكانيكي:

"لقد طرأ عطل بسيط على سيارتي."

– آسف، فأنا هنا وحدي ولدي اعمال كثيرة متأخرة.

فرفعت غطاء المحرك قائلا: "ربما أمكنك القاء نظرة خاطفةعلى المحرك."

وعندما انحنى لالقاء نظرة أردفت. "ربما استطعت اصلاحه بنفسي؟"

– لا، لا. أترك هذا العمل لخبير. خذ، احمل لي هذه.

وأصلح العطل مجاناً.

ك.م.

لا تؤدى الاعمال العظيمة بالقوة بل بالمثابرة.

صاموبل جونسون، كاتب وناقد ومعجمي بريطاني (١٧٠٩ – ١٧٨٤)



عيد طائرات الورق


يحلق الشعر معلّقاً بطرف خيط وترفرف طائرات الورق حاملة رسائل من سكان الارض الى السماء

على مدى تسعة ايام من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٨٨، رقصت السماء فوق بلدة دياب على الشاطئ الفرنسي بشتى الالوان. وكانت المناسبة تنافس الف جسم محلّق في المهرجان الدولي الخامس لطائرات الورق، وهو حدث يجري مرة كل سنتين وقد اطلقه ماكس جيلار مدير المركز الثقافي في دياب. اشترك في المهرجان ٣٧٠ شخصا جاؤوا من ١٨ بلداً (★) بعضها بعيد مثل سنغافورة وكولومبيا، فتعرّفوا الى تقاليد وتقنيات بعضهم بعضاً، بينما كان آلاف الناس يشاهدون العرض باعجاب كبير.

انتشر المطيّرون على طول الشاطئ مسلّمين مبتكراتهم للريح وحلقت


(★) اليابان، الصين، تايلند، ماليزيا، سنغافورة، الهند، نيوزيلندا، كولومبيا، الولايات المتحدة، كندا، اسبانيا، المجر، ايطاليا، بلجيكا، هولندا، المانيا الغربية، بريطانيا، فرنسا.

Photos: N'Diaye / Imapress



من الصين الشعبية.

فرنسية.



فرنسية على شكل قرص عسل.

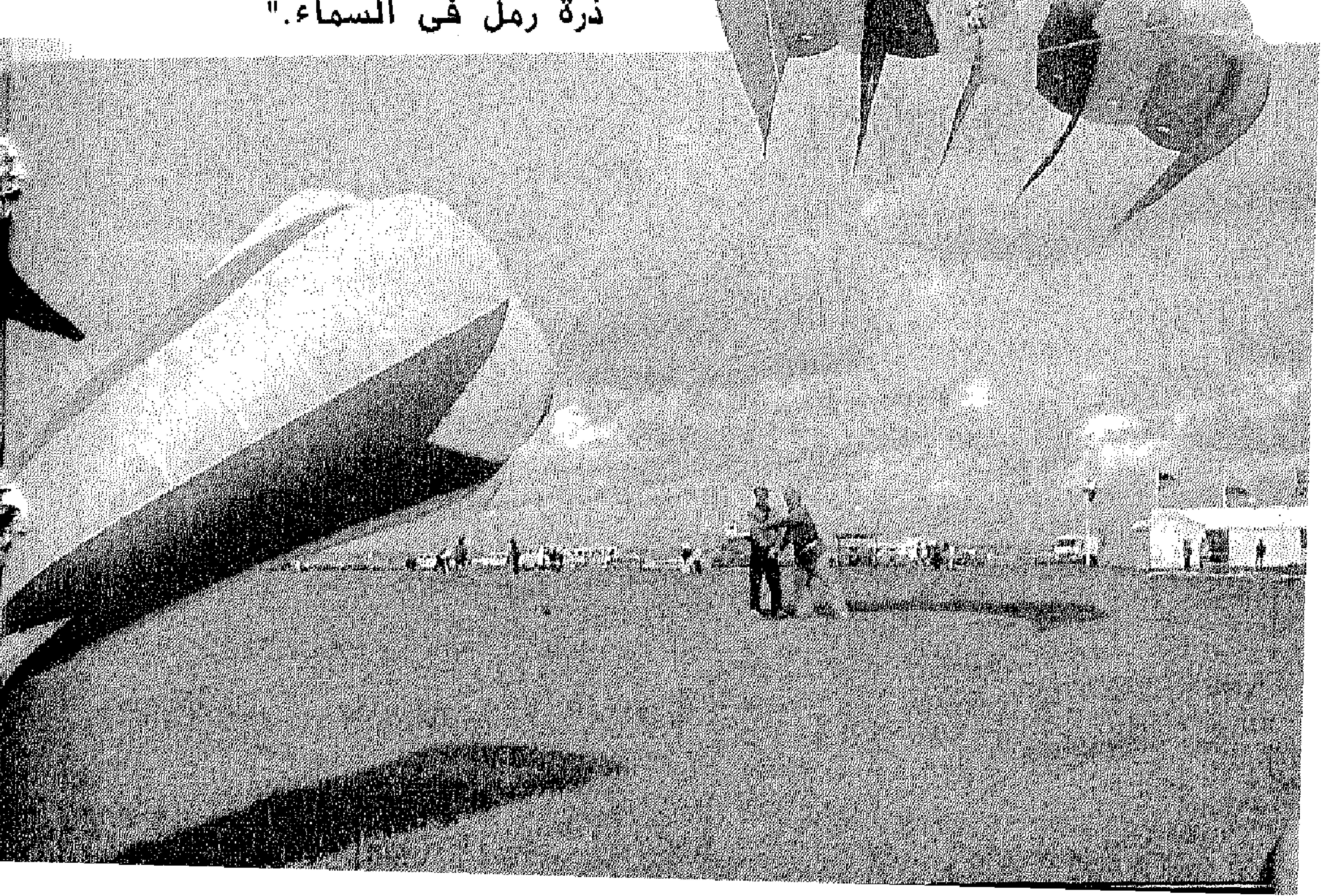
فراشة من تايلند.

▶ طائرات الورق التايلندية التي صنعت على شكل يعاسيب والفرنسية التي اتخذت شكل اقراص العسل، على اجنحة ريح البحر العاصفة. كما شقّ طائر صيني الفضاء على اجنحة خضراء ضاربة الى الصفرة متخطياً محارباً يابانياً كان يزدريه، بينما كان انبوب مصنوع من النايلون شبيه بعيدان الحلوى المخططة على نحو لولبي، يدوّم مع النسيم. بعض الطائرات كان يتمايل بجلال ورشاقة بينما كان بعضها الآخر يئز ويطن منطلقاً بسرعة تضاهي سرعة الصقور.

وكانت الطائرات الورقية الغربية الانيقة المصنوعة من مواد عصرية تتنافس مع المبتكرات الفخمة الآتية من الشرق المصنوعة من الخيزرا والورق وهي سليلة الطائرات الورقية الاولى التي حلقت حتى الغيوم قبل نحو ألفي سنة.

قالت مارتين شاتيل وهي فرنسية متحمّسة لطائرات الورق اشتركت بمهرجانات دياب الخمسة كلها: "هناك طائرات ورقية من كل شكل وحجم." وكانت هي وزوجها جويل تيزيه يحاولان بصبر تطيير آخر مبتكراتهما، وهو طائرة ورقية "طليقة الشكل" مصنوعة من النايلون تبلغ مساحتها اربعين متراً مربعاً. ولم يكن لها إطار خارجي، مما جعل تطييرها يتطلب حنكة ودهاء. وهي اهتزت وارتجفت، ثم ما لبثت ان انتفخت مرتفعة بجلال.

قال تيزيه: "حتى كبرى الطائرات الورقية تبقى صغيرة، فكلّما كبر حجم الطائرة، ارتفعت اكثر في الجو وهي اذ ترتفع تبدو اصغر حجماً حتى تغدو كأنها ذرة رمل في السماء."



ومن اليابان جاءت طائرة ماساكي مودجي الهائلة الحجم والمصنوعة من ورق الخيزران والرزّ، حاملةً وجه محارب يعود الى الازمنة الغابرة مرسوماً بألوان زاهية. ويشرح مودجي فكرة الطائرة: "نضع الصور على طائراتنا الورقية لنعبر عن أمانينا. فالحيوان المزمجر يرمز الى تمني القوة لمولود جديد." ولاضفاء مزيد من الشراسة، ربط مودجي خيطاً عبر دعائم الطائرة حتى تئز اثناء تحليقها.

وبمقدار ما كان الياباني مودجي تقليدياً، كان الامريكي الجسور بيتر دلفين عصرياً. فهياكل طائراته كانت من الـ"غرافيت" والـ"إبوكسي" وهو مزيج يستعمل في صنع ريش مراوح الطوافات، أما الخيوط فكانت من "السبكترا" الخفيفة الشديدة المتانة، في حين صنعت الاجسام من النايلون الفائق الخفة. وفي احدى مراحل العرض ـ الشد ضد قوة الريح ـ حرك دلفين طائرته المتعددة الالوان والمثلثة الشكل على ايقاع الموسيقى بمهارة فائقة فبدت كأنها نفاثة بهلوانية تنقلب وتدور في طيرانها. وعندما انزلها اخيراً كانت يداه، على رغم القفازين الثخينين، ارجوانيتي اللون ومنتفختين من شد الخيوط المزدوجة التي بلغ طولها ٤٦ متراً.

فن قديم. التنافس بين طائرات الورق قديم قدم الفن ذاته. وفي دياب، اعاد الفريق التايلندي المؤلف من خمسة رجال تمثيل المعركة بين الانثى المغناج "باكبوا" الالماسية الشكل، والذكر المطارد "تشولا" وهو نجمة مخمّسة.

وكان الذكر يحاول ان يجعل فريسته تعلق بنصال الخيزران، أما هي فكانت تطير بعيداً، واحياناً تدور لتمق عدوها



(فوق): بطاريق جون فرهاي الهولندية وهي تحلق.
(الى اليمين): طائرة كندية.

بذنبها الطويل. وعلى الارض كان الرجال التايلنديون الخمسة الذين يرتدون الثياب البيضاء يشدون الخيوط ويفتلونها حانين طائراتهم للحصول على دفع كامل من الريح.

قال رون سبولدينغ وهو موظف اداري امريكي يعيش في بانكوك احضر الفريق التايلندي الى دياب للمساعدة على ابقاء التقليد حياً: "ان هذا الفن هو على طريق الاندثار في تايلند. فقد كان المزارعون يتبارون بتطيير طائرات الورق على ارض البلاط الملكي خلال الفترات التي تفصل مواسم الحصاد. أما اليوم فلم يعد هناك متسع من الوقت لمثل هذه النشاطات وقد شغلت اساليب الزراعة الحديثة المزارعين على مدار ايام السنة ونشطت الاعمال مبدّلة طرق عيش التايلنديين."

ارقام واحجام. هنالك ارقام قياسية عالمية لأطول طائرة ورقية (٧١٤ متراً) ولعدد الحركات البهلوانية المتتالية التي تقوم بها طائرة ورقية على شكل 8 خلال ساعة واحدة (٢٩١١) ولأسرع انطلاق في الهواء (١٧٤ كيلومتراً في الساعة). وأصغر الطائرات الورقية لا يتجاوز حجم كف اليد، أما اكبرها حجماً فيملكه الفريق الهولندي لطائرات الورق الذي ارسل اربعة مشاركين الى دياب. وقال أحدهم ويدعى جون فرهاي: "لم نجلبها معنا. فمساحتها ٥٥٠ متراً مربّعاً، ويتطلب اطلاقها مئة رجل!" أما مساهمة فرهاي فكانت سلسلة يبلغ طولها ١٨٠ متراً مؤلفة من ستين بَطريقاً اسود وبرتقاليا أرسلها لتتراقص عبر السماء.

أما كلاوديو كابلّي، مؤسس سيرفيا فولانتي، وهو اقدم نادٍ لطائرات الورق في ايطاليا، فإن ما جذبه الى دياب لم يكن التباري ولا التقاليد، بل الشعر. إنه من المتحمسين لطائرات الورق منذ ١٢ سنة، وقد اطلق هذا الفنان ابن التاسعة والثلاثين طائرته بينما كانت ١٤٠ طائرة زاهية اخرى بألوان قوس قزح تنطلق مع الريح وترتفع في السماء. وقال بكل بساطة: "احب ان اجعل الريح ظاهرة للعيان."

وهنالك آخرون يسافرون على متن مبتكراتهم. فقد استعمل المهندس البريطاني غريغ لوك طائرة ورقية تبلغ مساحتها ثمانية عشر متراً مربعاً، موصولة بسلك يبلغ طوله ثلاثمئة متر، ليجر طوفه الذي يزن ٢٨٠ كيلوغراما ويبلغ طوله خمسة امتار ونصف متر، عبر الشاطىء البريطاني وهو يقول: "طالما كان هدفي عبور القناة بقوة الطائرات الورقية. بعد ذلك سنعبر المحيط الاطلسي!"

في اليوم الاخير من المهرجان منحت الجوائز والمداليات للطائرات الست عشرة الاكثر فناً وظرفاً وابداعاً تقنياً، ولكن ذلك لم يؤثر في المشاركين، اذ ظلوا منتشرين على الشاطىء وهم يتصارعون مع خيوطهم وقطع النايلون والورق الملونة في السماء، وكانت كل واحدة من طائراتهم تجسد خيالاً لا يعرف حدوداً. ولما تفرقوا اخيراً، تواعدوا على الالتقاء مجدداً بعد سنتين تحت سماء النورماندي الفرنسية.

سوزان ساخس ■

الحديد يدفئ النساء

النساء اللواتي يشكين غالبا شعورا بالبرد ربما لا يتناولن ما يكفي من الحديد. هذا ما اكده العلماء في جامعة ولاية بنسلفانيا ووزارة الزراعة الامريكية في غراند فوركس بولاية داكوتا الشمالية.

فقد اجرى كل من هنري لوكاسكي العالم الفيزيولوجي في وزارة الزراعة الامريكية، وجون ل. برد العالم الغذائي في جامعة بنسلفانيا، دراستين منفصلتين عن نساء مرتديات ثوب السباحة ارتعشن في غرفة وبركة باردتين. فوجدا ان اولئك اللواتي احسسن غالبا بارتعاش يشكين نقصا في الحديد وانخفاضا في مستوى هورمونات الغدة الدرقية في المصل. ويقول لوكاسكي ان عددا قليلا من الرجال قد يعاني ايضا هذه الحالة، لكن معظمهم يحصل على حديد اكثر لانه يأكل اكثر. والنساء يخسرن الحديد خلال الطمث.

وعلى النساء اللواتي يشعرن بالبرد في استمرار ان يسألن الطبيب ان يقيس مستوى "الفرّيتين" في دمهن. و"الفرّيتين" هو بروتيين ناقل للحديد، لذا كان قياسه مؤشرا افضل الى نقص الحديد من قياس اليحمور (الهيموغلوبين) الذي هو بروتيين حاو للحديد يضفي على الدم لونه الاحمر. ويقترح لوكاسكي لمعالجة هذه المشكلة تناول اطعمة غنية بالحديد مثل اللحم الهبر الاحمر والسمك والطيور والفاصوليا والشمندر والنباتات ذات الاوراق الخضر. فهذه افضل من جرعات الحديد على شكل ادوية التي ينبغي ان تؤخذ لفترات طويلة باشراف طبيب.

وكالة "اسوشييتدبرس"

ابتسامة الخزف الصيني

سيسهل افترار البسمة على شفاه الاف الناس قريبا بفضل قشور مصفحة من الخزف الصيني (البورسلين)، وهي اخر المستجدات في طب الاسنان التجميلي.

من اجل وضع القشرة ينزع اطباء الاسنان حوالى نصف مليمتر من المينا عن مساحة السن ثم يصنعون قالبا لصنع قشرة مصفحة توازي ما ازاحوه. ويحفر كل من السن وقشرة التلبيس بحمض لطيف جدا لاحداث سطحين مساميين يتشابكان اذا طليا بلصاق الراتنج وضغطا.

تفضل التقنية الجديدة على التلبيس او الترصيص بالنسبة الى بعض مشاكل تلطخ الاسنان او تشظيها. وتدوم الكسوة الخزفية من خمس سنوات الى عشر سنين. وتكلف من ٣٠٠ الى ٦٠٠ دولار للسن الواحدة. وهي اكثر فاعلية عندما تكون الاسنان متباعدة او مكسرة او مبقعة بسبب التتراسيكلين.



أصوات

عندما تكون مستوحشاً في الغربة

كان الجو في مدينة براندون - ميسيسيبي دافئاً على غير عادته في مايو (ايار) فجلست مع زوجتي بات نحتسي قهوة صباح الاحد على شرفتنا الخلفية ونراقب السحب تتسارع متلبّدة في الافق الجنوبي. ندر النسيم في ذلك الصباح وكانت الرطوبة كثيفة بحيث تستطيع طيّها بين راحتين!

ما كدنا ننهي كوبنا الثاني حتى اسودّت السماء وأومَض البرق عبر الافق يرافقه هزيم رعد منخفض. وما أن دفعَنا رذاذ المطر الى داخل المنزل، حتى رن جرس الهاتف، فرفعت بات السماعة وأشرق وجهها مشعاً في ذلك اليوم المظلم.

انه ولدنا ديڤيد، وهو قائد مروحية عسكرية، استحق قبل ثلاثة اشهر شارة الجناحين الفضيين لاعتماده قائد طائرة ثمّ عين في مهمة لمدة سنة في كوريا الجنوبية قرب المنطقة المنزوعة السلاح.

جهد ديڤيد لكي يبدو فرحاً، ولكن رنّة صوته اظهرت العكس. فأنا قضيت زمناً اثناء الحرب العالمية الثانية في جزيرة صغيرة جنوب المحيط الهادىء ولذلك استطعت تبيان علامات الحنين الحاد الى الوطن.

شفَتنا المحادثة الهاتفية تدريجاً من قنوطنا، لكن رعداً مدوّياً هزّ النوافذ التي تبعد سنتيمترات فقط عن جهاز الهاتف الذي كنا نستعمله. فسألنا ديڤيد: "ما

Illustration: David Olsson



يشفيك سوى صوت من الوطن

هذا؟ انه يشبه صوت انفجار." فأجابت بات: "انه رعد فحسب فالمطر يهطل هنا منذ اسبوع."

ورانت ثوان عدة من السكوت ثم سألت: "ديڤيد اما تزال على الخط؟" فأجاب: "كنت افكر في عبارة أمي: "رعد فحسب." أتعلم ما الذي افتقده اكثر من اي شيء آخر باستثنائكما انتما الاثنين، وهو ما يفتقده كثير من الرجال هنا؟ إنه الرعد. فهناك مطر وريح وثلج وبعض العواصف الهوج، لكنها لا ترعد أبداً."

اضاف: "أتتذكّر يا أبي عندما كنتُ صبياً صغيراً كيف كنا نحن الاثنين نتمدد على الارض ونصغي الى الرعد؟ وكيف كنت انت تضحك لكي لا تدعني اخاف؟"

فأجبته محاولاً اخفاء الغصة في حلقي: "نعم أتذكر."

وسمعت صوته الرقيق: "اتمنى لو اني هناك لأصغي معك."

عندما اقفلت الخط اخذت آلة التسجيل ومظلة كبيرة وكرسيا خشبيا وقلت لبات: "سوف اسجل لابننا بعض الرعد."

– يا بوب، سيظن الجيران انك مخبول.

جلست تحت مظلتي فيما المطر ينهمر بغزارة والبرق يومض كأسهم نارية في الفضاء، وسجلت في نصف ساعة اروعَ ما يمكن ان يود سماعه مستوحش في الغربة من رعد الميسيسيبي. وفي اليوم التالي ارسلت التسجيل الى ديڤيد بالبريد مع عبارة واحدة: "هدية مميزة."

حفلة رعد. بعد ثلاثةاسابيع اتصل بنا ديڤيد ثانية. وهذه المرة كان في افضل احواله. قال: "يا ابت، لن تصدق ما فعلت البارحة. دعوت بعض اصدقائي الى مسكني لحضور حفلة رعد. وأتت ردات فعلنا متشابهة عندما سمعنا التسجيل: لحظة صمت ثم بضع دقائق من الحزن. ولكن حين ادركنا اننا نصغي الى صوت من الوطن شعرنا بتحسن واستمتعنا بحفلة رائعة كما لو ان حملاً ثقيلاً رفع عنا. لا استطيع ان اصف لك ما عناه لي هذا الشريط." واضاف: "بات في امكاني اجتياز هذه المرحلة. شكراً، يا ابت، انها حقاً هدية مميزة."

وبات الشريط هدية مميزة لي ولزوجتي كذلك. فطوال الاشهر الثمانية التالية التي قضاها ديڤيد في كوريا، الفينا انفسنا نتطلّع بشوق الى العواصف الرعديّة. وبدلا من ان نشعر بالكآبة في الأيام المظلمة صارت العواصف عزيزة علينا، وكل هزيم كان يشدنا اكثر الى ابننا البعيد عن الوطن.

وعلى رغم أنها ترعد في مينيسوتا حيث يعلّم ديڤيد الآن طياري الجيش، اصبحت هدية الرعد تقليداً لدينا. فهي تجعلنا ندرك اننا حيثما تفرقنا في العالم نبقى عائلة واحدة.

بوب ف. مولدر ■



عقول الصغار

كان ابني الصغير يأكل تفاحة في المقعد الخلفي من السيارة عندما سألني: "بابا، لماذا تفاحتي آخذة في الاسمرار؟" فشرحت وأفضت: "لانك أكلت القشرة الخارجية فتعرض لب التفاحة للهواء الذي أكسده فغيّر بنيته الجزيئية وحوّله الى لون آخر."

فران صمت طويل سألني ابني بعده بنعومة: "بابا، هل كنت تكلمني؟"

س. ك.

موظفات وأمهات

قبل مغادرتي المنزل في اول يوم عمل بعد سنوات من ملازمتي البيت، حضّرت ستة أكياس غذاء. وكتبت لكل من أولادي الخمسة اسمه على كيس، ثم كتبت "ماما" على السادس. وفي المكتب، فتحت الثلاجة المخصصة لطعام الموظفين فوجدت الرف الأعلى مليئاً أكياساً وعلى كل منها كلمة "ماما."

م.ف.

لا تقل ان الحياة سيئة اذا فشلت بل قل انها "حياتي". فهناك فرق كبير بين الاثنين.

ل.ف.

اخيراً عرفت لماذا قست علي امي وتشددت معي معلمتي



كِفاح امـرأة

كانت امي تناديني وهي تشد ذقني بقوة مما يعني انها تريد لفت انتباهي. فاستيقظت بسرعة مدركة ان الوقت يجب ان يكون قرابة منتصف الليل. كان تعبيرها قاسيا حين قالت: "يا ماري، اين فروضك المنزلية؟"

عندئذ تذكرت انني لم انهِ فروضي. ولم اترك اوراقي المنجزة على طاولة المطبخ حيث تستطيع ان تراها ساعة تعود الى المنزل من آخر اعمالها. قلت لها بوهن: "آه، يا اماه، لقد غلبني النعاس."

فقالت، وهي ترخي ذقني: "حسناً، الافضل لك ان تنهضي الآن وتنهي عملك. دروسك تأتي اولا."

قفزت من سريري وتناولت كتبي واوراقي وجلست لانجز فروضي. واذ فعلت هذا تملكني شعور بما لحق بي من اجحاف مؤلم. فتساءلت: لماذا انا؟ ولماذا تبدو امي دائماً انها تختارني وتخصني بمثل هذه المعاملة القاسية.

Illustration: Christopher Calle

هذه المشاعر ليست بجديدة ولكنني لم انبس ببنت شفة. فلا جدل مع امي، واطاعتها امر واجب.

انهيت فروضي واعطيتها اياها لمراجعتها والموافقة عليها. في هذا الوقت كانت غافية على كرسي هزاز منهكة القوى نتيجة عمل يومي بدأ قبل شروق الشمس.

والدتي، جوزفين هاتوود، ارادت ان تكون ممرضة ولكنّ والديها توفيا وهي طفلة، فتركت المدرسة من الصف الابتدائي السادس وانطلقت الى العمل.

ذكرياتي الاولى كانت عن البيت الذي كنا نمتلكه في التافستا بفرجينيا. كان جذابا، من طبقة واحدة مع حديقة صغيرة. وكان ابي يعمل في البناء. وكانت تلك الايام اياما سعيدة. اتذكر شقيقتي الكبرى تأخذني الى المدرسة وانا لمّا ابلغ بعد الثالثة من العمر، مما يتيح الفرصة لامي للعمل في بيوت الآخرين. وعندما مرض والدي، بعد ذلك، تعين عليه دخول المستشفى في لينشبرغ الذي يبعد عنا قرابة اربعين كيلومتراً.

اعتدنا ركوب القطار الى لينشبرغ، مع امي، لزيارة ابي. كانت امي تحضر له ثياب نوم مغسولة ومكوية وازهاراً من حديقتنا وكنا نحمل اليه الصور التي التقطناها في المدرسة. اخذت حاله تسوء شيئاً فشيئاً، وفي طريق العودة رأينا امنا تغالب دموعها.

قصة الحذائين. توفي والدي ولم يكن ثمة من تأمين لدفع الفواتير الطبية المتراكمة كجبل، ولم يكن لوالدتي من دخل بعد والدي سوى مبلغ ثمانية عشر دولاراً شهريا تقبضه من الحكومة معاشا تقاعديا لها كأرملة. خسرنا منزلنا وانتقلنا الى لينشبرغ حيث كانت والدتي تعمل في خدمة ثلاث عائلات اضافة الى تنظيف بعض المكاتب وذلك لتأمين الغذاء والكساء لنا. ولم يكن في حسبانها العيش على الصدقات.

اذكر حين سرنا انّا وانا الى المدرسة حافيتين في يوم جميل من ايام سبتمبر (ايلول)، لان حذائيّا كانا ممزقين ولم يكن لدى والدتنا من المال ما يكفي لشراء حذائين جديدين – اذكر كيف نظر الينا مدير المدرسة ورفع حاجبيه ولكنه لم يقل شيئاً. في اليوم التالي فكرنا في انه سيتكلم ولكنه لم يفعل. اما في اليوم الثالث فوافانا الى الباب سائلا: "لماذا لا تنتعلان حذاءيكما؟" فشرحنا له ان امنا عاجزة عن شراء حذاءين لنا.

قال: "حسنا، عليكما ان تعودا الى المنزل فليس في امكاننا قبولكما في المدرسة حافيتين. ارجعا وأخبرا والدتكما بالامر."

امسكت انّا يدي وقفلنا راجعتين. ولما كنت انا اخبث من شقيقتي فقد اقترحت عليها ان نقضي النهار في حقل ذرة مجاور. وفي موعد انتهاء الدراسة توجهنا الى البيت. كانت امنا تنتظرنا على غير عادة منها فخط الثرثرة في بلدة مثل لينشبرغ اسرع من خط البرق.

كانت متجهمة ومنتصبة كعمود خيمة. سألتنا أين كنا. فلفقت قصة بدلا من ان ازعجها. فلم تصدقنا واخذت تصرخ: "انتما لم تكونا اليوم في المدرسة." من

الواضح انها عرفت كل شيء، وراحت تشرح لنا "كم مهم تحصيل العلم." وقالت انه يجب الاّ نخجل ابداً من كوننا فقراء: "لستما ما ترتديان وانما ما انتما، وذلك هو المهم."

بعد ايام قليلة، عندما قبضت اجرها انفقت منه مبلغا لشراء حذاءين جديدين لنا.



الغيرة والقساوة. كانت لوالدتي لحظات قليلة خاصة تقضيها معنا وتدللنا، خصوصاً في تلك الاويقات التي نقرأ فيها بصوت عال. اصعد انا الى سريرها وانتظر دوري في القراءة. ثم اجلس الى جانب امي حتى يأتي دور اختي الاخرى.

ولكن مع كل الدفء الذي كنت اشعر به تركتني قساوة امي معي اشعر دائماً بأنني ارضيها اقل مما ترضيها ابنتاها الاخريان وبأنني لن استطيع ابداً اكتساب تمنياتها الجيدة. ان اختي ماريان التي تبنتها امي بعد وفاة والدتها تبدو ان لها افضلية لم اتمتع انا بها ابداً. اذكر كم كنت غيورة عندما اشترت امي لماريان سترة اضافية بينما كان علي انا ان اتدبر امري بسترتي القديمة. لم استطع استيعاب ذلك، ولكن امي ادركت ان حاجات ماريان اعظم من حاجاتي نظراً الى خسارتها المبكرة لامها.

الآنسة جوردان. مهما يكن من امر، فوالدتي منحتني هدية احلتني في مكان جيد. انا مرحة، في طبعي، حتى اذا لم يكن عالمي الصغير كله مشمساً فلا يكون حزينا. وكنت احب ان اتحدث الى الآخرين، وهذه خلة لم تقدرها دائماً الآنسة جوردان معلمة القواعد والانشاء والادب في الصف الثانوي.

معلمة لا احد يريدها لانها صارمة جداً، طول قامتها قرابة ١٦٥ سنتيمتراً، ناحلة الجسم جداً، تصفف شعرها الى الوراء باسلوب ذنب "فرس." تضع على عينيها نظارتين نصفيتين للقراءة. وعندما تكون منزعجة تخفض رأسها وترمقك من فوق نظارتيها. ومتى ركزت قسمات وجهها هكذا احسست بهبوط الحرارة لديها.

ذات يوم كنت في صفها منشغلة

بالتحدث ولم ادرك انها اوقفت القاء الدرس ونظرت الي عابسة وهي تقول: "ايتها الفتاة، اريد ان اراك بعد انتهاء الدوام."

بعدئذ شرحت لي الآنسة جوردان، بصوت منخفض ولكن حازم، انها تأمل ان تراني مصغية وهي تتكلم، وقالت: "قصاصا لك اريدك ان تكتبي بحثاً من الف كلمة عن التعليم وتأثيره على الاقتصاد، وتسلميني اياه الاربعاء."

حسناً، وفيت بالموعد المحدد وكنت واثقة بنفسي. انه بحث جيد، وتوقعت اشارة استحسان منها. في اليوم التالي في الصف اخذت ترمقني من فوق نظارتيها. دعتني اليها واعادت اليّ البحث وقالت: "اعيدي كتابته وتذكري ان كل مقطع يفترض في ان يبدأ بجملة محورية. وحين اعادت إليّ بحثي في المرة الثانية كانت صححت الاخطاء الصرفية. وفي المرة الثالثة صححت التهجئة. وفي الرابعة صححت وضع علامات الوقف عند مقاطع الكلام. وفي الخامسة لم تكن الورقة نظيفة. اما انا فغدوت مريضة.

في المرة السادسة اعدت بتأن كتابة البحث كاملا بحبر تاركة هوامش فسيحة. وعندما شاهدتها ازاحت نظارتيها وتبسمت. اخيراً قبلت البحث ونزعت انا الامر كله من ذهني.

بعد شهرين او ثلاثة عدت اتحدث ثانية في غرفة الصف. قالت رفيقاتي الصغيرات: "توقفي يا ماري! الآنسة جوردان تحدق اليك." نظرت الى فوق فاذا بوجهها يوحي المنظر ذاته. قالت: "يا ماري، هل سمعت ما قلت؟"

اجبت: "انا آسفة، لم اسمع". وتلفتُّ الى من حولي لعلّي اجد صديقة تهمس لي الجواب ولكن ما من واحدة منهن فعلت.

اما الآنسة جوردان فاكملت: "كنت اتكلّم عن اجراء مباراة انشائية في المدينة. وقد اعلن الفائزون." ثم توقفت. اما انا فارتبكت تماماً. اضافت: "ايتها الطالبات، يسرني ان اخبركنّ ان ماري فازت بالجائزة الثالثة في المباراة الانشائية: "تأثير التعليم على الاقتصاد."

دهشت وارتعشت. انها المرة الاولى افوز فيها بجائزة. بعد سنوات رويت تلك القصة لمخبر صحافي فنشر شرحي في صحيفة مفصلا وصفي غير المداجي لمظهر الآنسة جوردان. لم اكن اعلم ان الآنسة جوردان لا تزال على قيد الحياة. ولكنني وجدت انها لا تزال حية فهي كتبت الي ان مظهرها لم يكن مهما بل المهم هو الامثولة التي تلقنتها.

تأثرت بكتابها. بقيت امي المرأة التي اريد، اكثر ما اريد، ارضاءها في العالم.

في نهاية الصف الثانوي العاشر أجري للصف كله امتحان شامل حول تحصيله المدرسي فحللت في المرتبة الخامسة. وفجأت بدأت جميع المعلمات يحضضنني لانظر في امر الدخول الى الجامعة. ولكن ذلك ظل املا بعيداً، فلا استطيع إطلاقا الذهاب الى الجامعة. على كل حال قدمت طلبا وقبلت في جامعة فرجينيا في بيترسبرغ.

الى الجامعة. ليلة التخرج كانت امي هناك. وكانت فخورة بي خصوصا لاني

العضوة الاولى في العائلة التي تنهي دراستها الثانوية. (بعد سنة تبعتني شقيقتي انا) جلست امي قرب الصف الامامي فرأيت عينيها تلمعان وانا اتسلم شهادتي. لقد كانت تبتسم من خلال الدموع.

حتى تلك اللحظة لم يكن هذا هو النقطة السامية في تلك الامسية، فما اثار دهشتي هو انهم نادوا اسمي وظلوا ينادون. كل مرة اعلان آخر عن منحة دراسية اخرى لدخول الجامعة. واما المنح فجاءت واحدة تلو الاخرى من نوادي جامعات، ومن مؤسسات تجارية، ومن كنائس. بلغ المجموع ١٥٠٠ دولار في حين كان ثمن السيارة ٣٠٠٠ دولار. بعد كل ذلك استطعت دخول الجامعة.

انهم لم يخبروني ولم يخبروا امي شيئاً. ولكنني اظن ان معلمتي المفضلة الآنسة جوردان قد عرفت لانها كانت تبتسم وتهز برأسها كأنها تقول: "انظري الآن، ماذا تستطيعين ان تفعلي في ظل النظام."

اخترت علم التجارة موضوعا رئيسا في دراستي وظللت اكسب منحا واعمل طوال فصول الصيف. حتى في الجامعة كنت اسمع ملاحظات عن ثيابي البسيطة التي اعطتني امي معظمها او خاطتها لي. ولكني بقيت اتذكر كلماتها: "ليس المهم ما ترتدين بل المهم من انت". مع ذلك كنت ابكي كثيراً عندما لا يستطيع احد ان يراني.

حينذاك عرفت ان لا شيء يقارن بالالم والعذاب اللذين مرت بهما امي من اجلي.

بعض صديقاتي في الجامعة اصبح ساخطا عندما بدأ يدرك اي اجيال من التمييز العنصري قد عانى. ولكن عظات الآنسة جوردان عن التنظيم الذاتي عززت تركيزي على دروسي. ومثال امي وكلماتها حصنتني ضد الغضب والاحباط. كانت تقول لي: "ماري أليس، اذا كنت غير سعيدة بامور معينة حاولي ان تغيريها، واذا كنت منهارة انهضي وانطلقي ثانية."

منذ ذلك الحين عملت القوى والمهارات التي اكتسبتها من والدتي ومن الآنسة جوردان كمشعلين توأمين ارشداني سنوات عدة كمعلمة في الاسكندرية، واخيراً كرئيسة لجمعية التربية الوطنية. وفي كفاحي ضد التمييز العنصري، اصالة عن نفسي ونيابة عن المعلمين، اصبحت اقدر قيمة مطالب والدتي اللاطوعية. ولكن سؤالا واحداً لا يزال ينخرني اكثر من ثلاثين سنة.

بعد ذلك جاءت امي لزيارتي. وبينما كنا واقفتين جنبا الى جنب نغسل بعض الصحون والحلل، اثر تجمع عائلي، اخذت نفسا طويلا وقلت: "يا اماه، لماذا كنت دائماً معي اشد صرامة مما كنت مع اي واحدة غيري؟"

وَضعت منشفة الصحون جانباً ونظرت الي ولم تقل شيئاً وهي تبدو غارقة في التفكير.

وبينما انا انتظر جوابها شعرت بان امي تصارع مشاعر قوية محاولة العثور على جواب. ولكن لم يكن ثمة من جواب ذلك النهار.

في اليوم التالي جلسنا امي وانا حول مائدة الافطار ننظر الى الحديقة في

الخارج. لم نتكلم عن شيء خاص، ثم سكبت لكل منها كوبا ثانيا من القهوة ولم تمض لحظة على جلوسنا صامتتين حتى امسكت امي ذقني بحزم هادىء، وشخصت الي ببصرها وقالت: "طرحت علي امس سؤالا، يا ماري اليس، وكنت افكر في جواب. كانت لديك قوة ولكنك كنت قوية الارادة جداً، فوجب علي ان اكون اقسى عليك لان لك من المواهب اكثر من سواك، وعندك الكثير لتعطي، وكان الاهم لك تحصيل كل العلوم التي تستطيعين لاني ادركت حقا ان الآخرين سيعتمدون عليك لتفعلي كل ما في وسعك. هذا جوابي عن سؤالك يا ماري اليس."

كانت لا تزال تمسك ذقني وانا اسمع دقات ساعة جدي ذات الرقاص في العلبة الطويلة الضيقة في المكتبة. اومأت بهز رأسي وارخت هي قبضتها عن ذقني وقلت: "فهمت يا اماه."

اجل اخيراً فهمت.

ماري هاتوود فوترل ■



حلول نظرية

كان السبت "يوم التنظيف" في منزل الأسرة القديم. وما زالت أمي تحترم هذا التقليد بعد مغادرة أولادها العشر العش العائلي. وذات سبت مررت لزيارتها، فعجبت اذ وجدتها ترتاح في كرسيها المفضل. فسألتها: "أتشعرين بتوعك؟"

– لا، أنا على خير ما يرام.

"لكنك لا تنظفين المنزل."

– بعد كل هذه السنوات وجدت طريقة لانجاز العمل كله في نصف الوقت. وهي، ببساطة، أن أنزع نظارتي.

ب.م.

حلاوة أم

أحبّ صنع الحلوى وأتقاسم عادة ما لذّ منها مع ابنتي المتزوجة. اتصلت بها يوماً وقلت لها ان لدي فائضاً من البيض اذا احتاجت اليه. فقبلت عرضي. وقلت لها انني سآتي اليها حالاً. فأجابت: "مهلا! هل يزعجك وضعها في قالب حلوى أولا؟"

أ.م.

يعلّمك الزواج الاخلاص والصبر والوداعة وضبط النفس وأشياء أخرى كثيرة ما كنت لتحتاج اليها ان بقيت عازباً.

ج.ت.

الاوزّة المعجزة

كان جين فلمينغ متوجهاً مع زوجة أخيه الى سيارته عندما ابدى لها الملاحظة الآتية: "يبدو ان لديك إوزة مريضة." وكان جين فلمينغ توقف في مزرعة بيلي شاكس في هارفارد، بنبراسكا، لينتقي بطتين صغيرتين لبركته، فلفت نظره ذكر اوز يسقط كلما حاول السير.

أما بيلي فلم تهتم كثيراً، وأجابت لامبالية: "لا، هذا اندي، لقد ولد من دون قدمين."

وبعد ان وضع البطتين الصغيرتين في سيارته، تقدم فلمينغ ليتفحص ذكر الاوز المعاق. وعندما صفّق اندي بجناحيه محاولا الهرب قال فلمينغ: "انك لمخلوق شجاع." فقد بدا ذكر الاوز مثل ولد صغير يحاول الوقوف على ركائزه الخشبية للمرة الاولى. وكانت ساقاه رفيعتين كغصنين، وتنتهيان بعقدتين صلبتين (عاريتين من الريش) يبلغ عرض الواحدة منهما خمسة سنتيمترات. اما الطريقة الوحيدة ليبقى اندي منتصباً فكان الركض بمنتهى السرعة الى ان يقع على صدره. وفي تلك



ماذا عساك تفعل باوزة من دون قدمين؟

Illustrations: Lynn Renee Cutler

اللحظة وقع، فاقترب جين منه ومرر يده على ريشه. ولان الاوز مشاكس بطبعه توقع منه جين ان ينقده، ولكن اندي هدأ بتأثير لمسة يده.

تابع جين التفكير بذكر الاوز الكسيح وهو في طريقه الى منزله في مزرعة مساحتها ٣٧ هكتاراً في هايستنغز. لقد شعر باستغاثة عيني اندي اللامعتين المستديرتين عندما وقع على الارض بائساً وممرغاً صدره بالوحل. وفكر جين بفريق الخدمات الذي ينتمي اليه وتفانيه في خدمة الاولاد الكسيحين. فقال لنفسه: "ذلك الحيوان بائس مثل ولد صغير وعلي ان افعل شيئاً لاجله."

فور وصوله الى المزرعة اتصل جين بزوجة اخيه قائلا: "بيلي، ما رايك لو اخذت ذكر الاوز الكسيح ذاك؟ سيكون افضل حالا وهو يسبح في بركتي من ان يحاول السير على هذين العودين."

رفضت بيلي العرض وقالت: "على رغم انه غير قادر على التزاوج لانه لا يستطيع الوقوف منتصباً، فبولي هي زوجته، وانا لن افرق بينهما."

فاقترح عليها جين اخذ بولي ايضاً. ولكن بيلي اصرت على الرفض. فعرض عليها عندئذ مقايضة زوج من الإوزّ البوميراني الأزرق العينين باندي وزوجته. فلانت بيلي واصفة اياه بالمجنون لمقايضة الاوزتين القيمتين بذكر اوز رمادي من غير قدمين.

احضر جين اندي وبولي الى مزرعته وانزلهما الى بركته. سبحت بولي برشاقة، اما اندي فحرك ركيزتيه المبتورتي القدمين بسرعة كخفاقة البيض ولكنه نجح في ازباد الطمي. رفعه جين خارج البركة قائلا له: "حسناً يا صاح، لنرَ ماذا يمكننا ان نفعل لك."

وبينما كان جين يتفحص ركيزتي اندي لم يلاحظ بولي وهي تخرج من البركة. كانت مصممة على الدفاع عن صديقها فامسكت بسروال جين وسحبته بعنف. فرد عليها: "سأحكم عليك بالنفي،" وراح يهتف ليروعها محاولا ادخالها الى الخمّ. ثم أضاف: "وإن خدمني الحظ قليلا فسأتدبّر لك زوجاً ملائماً."

قرّ رأي جين على ان اندي في حاجة الى حذاء ما. فاشترى لها اصغر الاحذية الجلدية البيضاء المخصصة للاطفال.

بقي اندي هادئاً عندما ألبسه جين الحذاء وشدّ رباطه. ثم انحنى وفكّ الربطتين وسحب ساقيه من الحذاء. عندئذ غرّى جين الربطتين والصقهما بالحذاء. سقط اندي في البركة وقذف احدى فردتي الحذاء من رجله واخذ يسبح دائرياً وهو يجذّف بالفردة الاخرى الى أن التقطه جين من جديد.

بداية النجاح. بدأ جين اختباراته، فوضع مطاطاً اسفنجياً داخل الحذاء مما سمح للنعلين بان ينبسطا. كذلك قطع مؤخر الحذاء الايمن لترتاح ساق الطائر اليمنى الملتوية في داخله. واحدث بعد ذلك ثقوباً صغيرة في النعل لتصريف الماء من الحذاء.

وبينما كان جين منشغلا في مكان آخر، تحوّلت حياة اندي بائسة بسبب زوج إوز صيني ابيض اللون عمد الى نقر ساقيه وجناحيه وتركه يرتعد خوفاً. فاسرع اليه

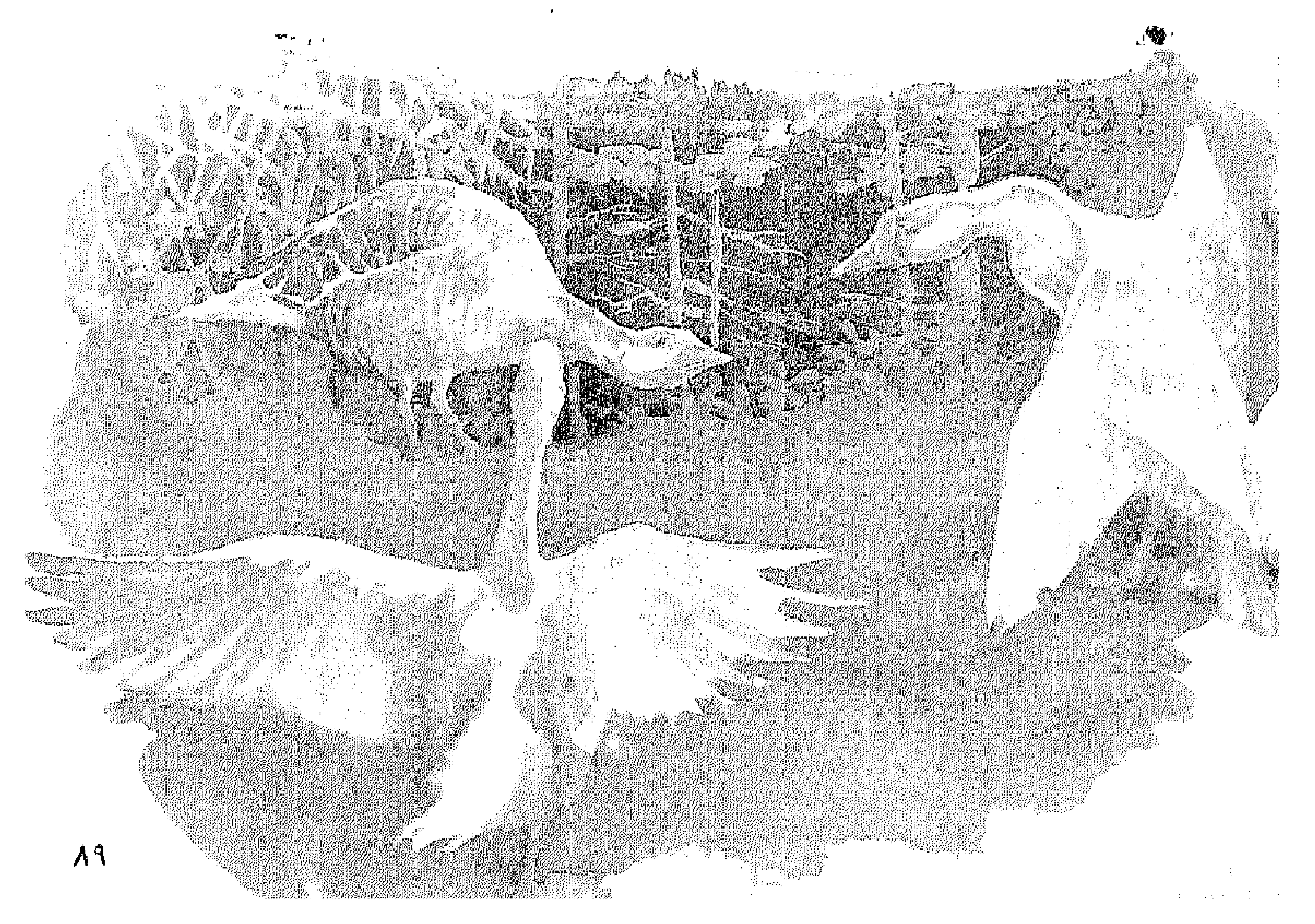
جين مواسياً: "لا تبالِ يا اندي، فستنال منهما في يوم ما."

عندما اصبح الحذاء جاهزاً كسا جين عقدتي اندي بجوربين ابيضين صغيرين وشدّ الحذاء باحكام حول كاحليه وغرى الربطتين ثم اوقف اندي على قدميه، فسقط ذكر الاوز على الارض. ولما عجز عن التخلص من حذائه، ألقى بصدره الى الارض محاولا الزحف مستعيناً برؤوس اطرافه. فكر جين باستخدام مزلاج ولكنه تخلى عن الفكرة. ثم عمد الى تطويق جسد اندي بنير للكلاب وجعله يتدلى مثل الدمى المتحركة. وقال له: "إنك تملك الآن اصابع لقدميك. اتكىء عليهما واخطُ خطوة." ظل جين يؤرجح اندي على قدميه الجديدتين مدة ثلاث ساعات قائلا له: "هيا يا اندي. يمكنك ان تسير إذا آمنت بقدرتك على السير. وكل ما عليك فعله هو ان تصدق انك تستطيع ذلك."

خطا اندي خطوة قصيرة لم تتعدّ عشرة سنتيمترات ولكنها كانت خطوة حقاً. فصرخ به جين: "حسناً يا اندي. لقد نجحت."

مشى اندي متمايلا كطفل سمين "محفّض" وتحرك بحذر حول الفناء. فك جين الرسن فترنح اندي ولكنه بقي منتصباً. مدّ عنقه ورفع رأسه عالياً ثم اخذ يصيح مبتهجاً. انه الآن اطول مما كان بـ١٥ سنتيمتراً.

وبما انه لم يستعمل كاحليه من قبل فقد كانا قاسيين. ولكنه بقي واقفاً على قدميه. وبعد عدة ايام من التمرين بدأ اندي يختال في الفناء. عندئذ اطلق جين بولي من الخمّ فتوجهت للتو نحو اندي وجعلت تحدق الى قدميه الجديدتين، فسألها جين: "ما رأيك فيهما يا بولي؟"



هزت بولي رأسها وابتعدت مسرعة كأنها تقول: "انه أخرق" وفجأة تعالى صياح مخيف. كان زوج الاوز الصيني يقترب من بولي فينبري له اندي مهدداً. هربت بولي الى داخل الحوض ولكن اندي رفض التسليم، فوقف على اطراف قدميه وصفّق بجناحيه مجبراً زوج الاوز على التراجع. وما لبث اندي ان مشى نحو الحوض ورمى بنفسه فيه ثم مدّ ساقيه وراءه واخذ يخبط الماء بقدميه المنسجمتين بحركة تشبه دولاب التغديف لمركب بخاري؛ وبسرعة فائقة تجاوز بولي واخذ يتبختر سابحاً حولها.

لقد نجح مبدأ الحذاء ولكن الحذاء اهترأ خلال شهر. وبما ان كلفته كانت ١٤،٩٩ دولاراً ومتوسط العمر المتوقع لذكر الاوز هو ٣٠ سنة، فقد تبين لجين ان كلفة الابقاء على "قدمي" اندي ستبلغ ٤٦٨٠ دولاراً تقريباً.

ذهب اندي الى المدينة وعاد هذه المرة بخفين رياضيين مصنوعين من القماش، فاحلّهما مكان الحذاء فاديا عملهما بنجاح تام واثبتا انهما اكثر متانة.

التلميذ اندي. انتشر خبر شراء جين فلمينغ حذاء لذكر الاوز في ارجاء هايستنغز. فنشرت الجريدة المحلية صورة لاندي وهو يقف منتصباً وينتعل حذاء للاطفال. وطلبت احدى المعلمات في مدرسة محلية من جين ان يحضر اندي الى المدرسة لكي يتسنى للاطفال مشاهدته، "الا إذا كنت تعتقد انه سيعضهم." فرد جين بثقة: "كلا، اندي لا يفعل ذلك. انه يحب الناس."

شرع جين يصمّم حاملة لاندي، واشترى له نيراً احمر جديداً ورسناً وسجل شريطاً بصوت بولي وهي تصيح، ثم قصد المدرسة.

تبختر اندي امام التلاميذ مظهراً لهم حسن سيره. وعندما ادار جين شريط التسجيل علا صوت بولي فرفع اندي رأسه وهتف فرحاً. لقد احبه الاطفال، اما هو فلم يظهر اي امتعاض عندما تحلقوا حوله يلاطفونه.

اصطحب جين اندي الى مدرستين ابتدائيتين اخريين في هايستنغز وهو لا يزال يتلقى الدعوات من المدن المجاورة. ويقول جين للاولاد: "نادراً ما نحظى بفرصة للقيام بعمل عظيم لمصلحة اصدقائنا المخلوقات، بشراً كانوا ام حيوانات. ابقوا متيقظين لتروا الاشياء الصغيرة التي يمكنكم القيام بها لأنها ذات تأثير كبير شبيه بتأثير الحذاء على اندي."

الغمزة بغمزة. الرسائل التي يتلقاها جين بعد كل زيارة مدرسية مع اندي تظهر مدى تفهم الاولاد لوضع هذا الطائر. وكتب له احد الصبية: "إذا وقعت على شيء مصاب بأذى فسأحاول ان اعالجه كما عالجت انت اندي." اما اكثر ما يحبه جين فهو بطاقة ارسلتها له احدى الفتيات من الصف الابتدائي الثاني وفيها: "انا احب السيد فلمينغ لانه مكّن اندي من المشي."

وبينما كان جين عائداً بسيارته الى المنزل يرافقه اندي، حدث نفسه: "انه لامر مضحك كيف تحل النعم مقنعة. أليس



كذلك يا اندي؟ فما بدا كأنه اسوأ شيء - اي انك ولدت من غير قدمين - اصبح افضل شيء. فأي ذكر اوز غيرك ينتعل خفين الى المدرسة ويعيّن عضو شرف في سلك العلاقات العامة التابع لغرفة التجارة؟"

مدّ جين يده ليمررها على ريش اندي الذي كان منفوشاً بسبب جلوسه في الحمالة فما كان من الطائر الا ان التقط كم جين بلطف بمنقاده.

هل كانت تلك غمزة ام طرفة من عيني اندي الصغيرتين؟ ايا يكن قصد اندي فان جين يرد دائماً الغمزة بغمزة مماثلة.

جو كودرت ■



الارض المتواضعة

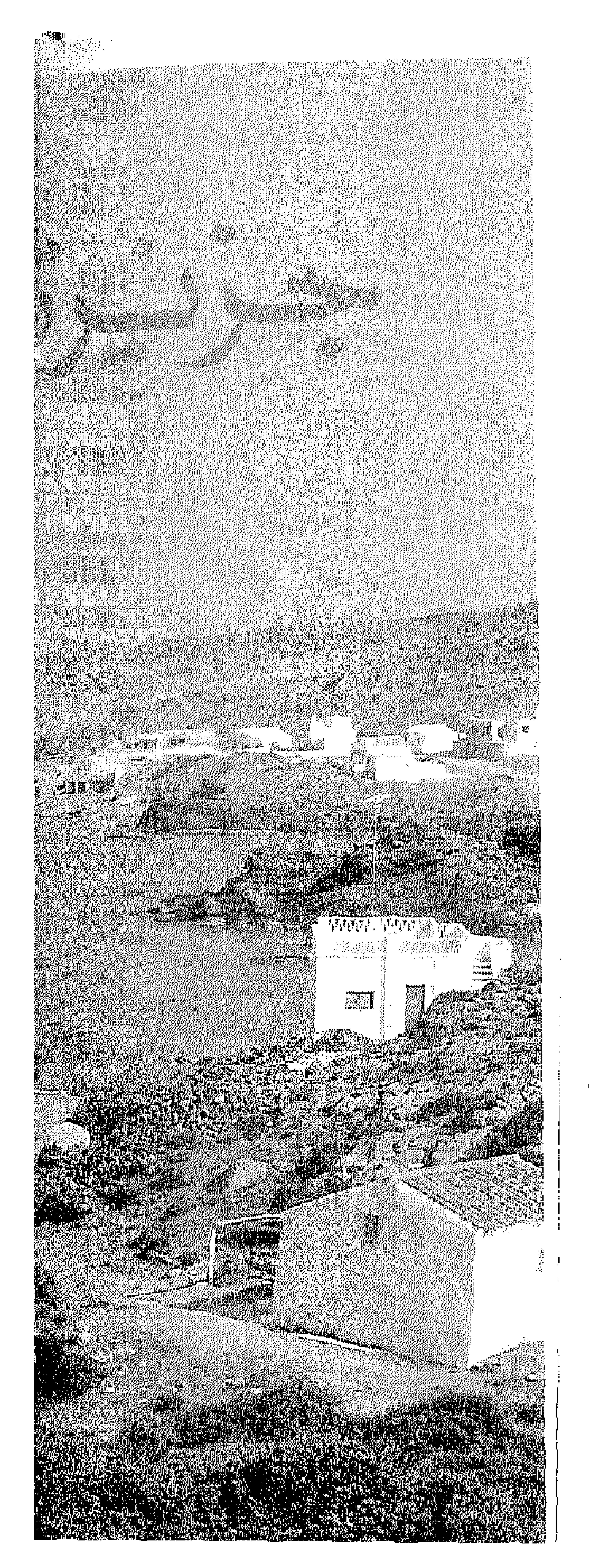
لو كانت لك روح المزارع لما قبلت بأي ثمن أن تعمل وأنت لابس قفازين. فملمس الارض الدافئة المعتدلة الرطوبة والجفاف شعور لا يستطيع أحد أن يصفه لك ما لم تختبره بنفسك. وتملاك رائحة الارض وروعة تواضعها المنتج بايمان مميز. قد لا يراودك التفكير في الأمر، ولكن إن فعلت فالأرجح أنك تصل الى الاستنتاج الآتي: اذا أستطاعت الارض البسيطة المتواضعة أن تفعل هذا كله، فان هناك رجاء للانسان مهما صمم على تدمير نفسه.

ر.س.

معنى الحياة

كان لي أم وأب يحبّان بعضهما بعضاً حباً حقيقياً، ولذلك أعرف ما هو الحب. وقد عملت بكد لكي أرى ولدي يجتازان بأمان سنوات المراهقة الصعبة، ولذلك أعرف معنى الرضا. لقد صليت واستجيبت صلواتي، ولذا اعرف معنى الايمان. عشت الى جانب شريك عمر لطيف ويراعي شعور الآخرين، ولذا اعرف ما هي السعادة. ولأنني أعرف كل هذه الاشياء، اعرف معنى الثراء.

أ.ب.



K. Scholz . Zeta

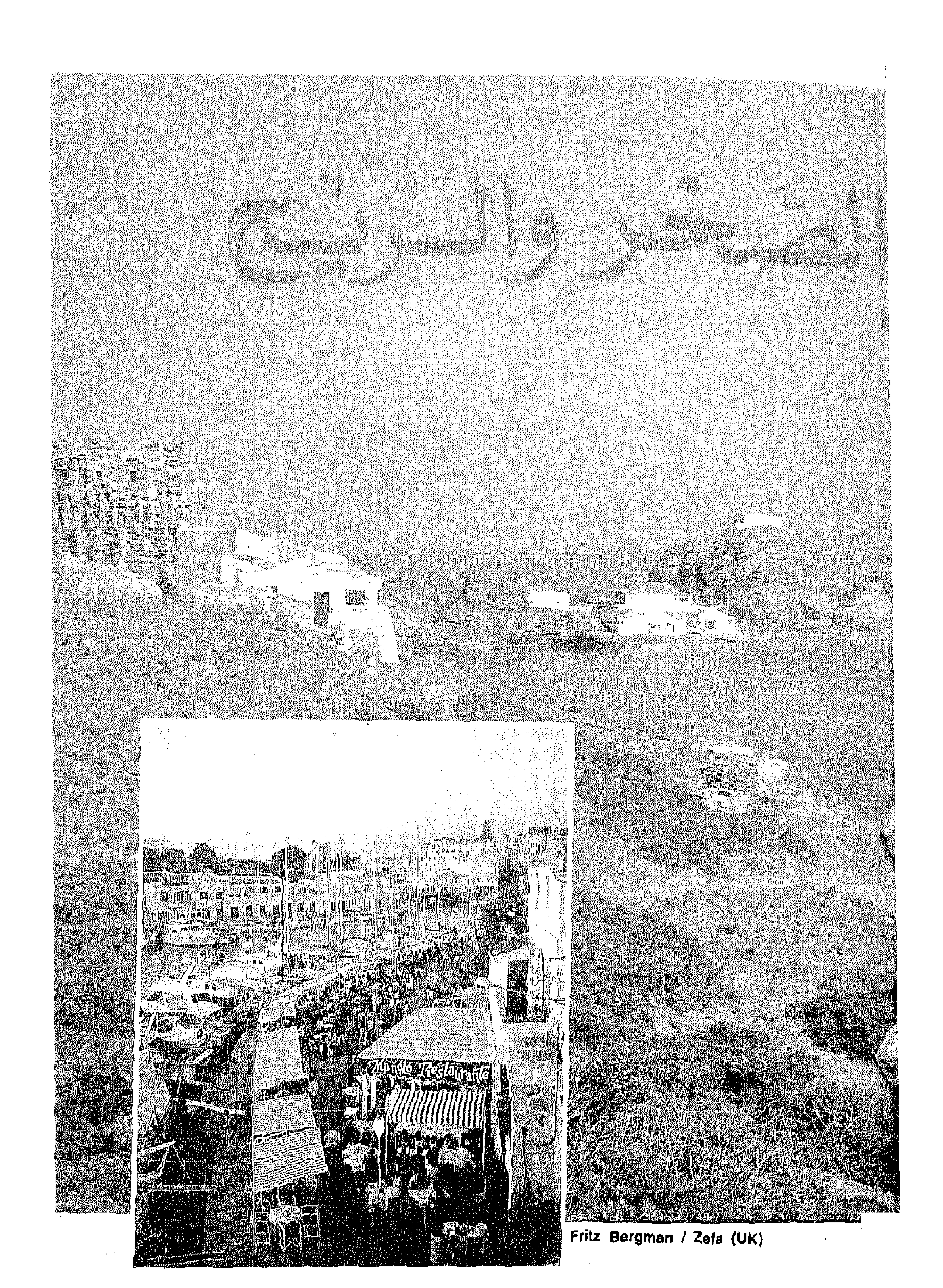
مينوركا التي دكّت بالحديد والنار هي الان واحة من البهجة والراحة

نحن في جزيرة صغيرة مستكينة في وهج الشمس يحوطنا بحر ساكن يعج بالحياة كأنه شعلة غاز زرقاء ملتهبة. انها جزيرة شهد سكانها من حوادث التاريخ فوق ما قدروا ان يستوعبوا، وما لبثوا في النهاية ان زالوا هم من ذاكرة التاريخ.

جزيرة صغيرة لا احداث تذكر تمرّ بها. جزيرة خلجان وشواطىء صغيرة... تلك هي مينوركا.

جلست في الأمسيات الدافئة في ماهون شاخصاً الى الميناء العميقة الرائعة والأجمل في البحر المتوسط، وهي في الحقيقة بحيرة ضحلة مقفلة بمهارة طبيعية، يحوطها جرف من التلال الكلسية والشجيرات الخفيضة. في الخريف والشتاء تتعرض الجزيرة للرياح التي تهب عليها عاصفة عبر جبال الالب فتلوي اشجارها وتكسرها وتبدو صخرية في اكثر من نصفها ولكن مورقة موشحة

مجموعة من الفيلات البيضاء حول احد الخلجان في يوم قائظ.
أسفل الصورة: غياب الشمس في شودأديلا.



الصخر والريح

Fritz Bergman / Zefa (UK)

بالاخضرار. اما ماهون العاصمة فملتفّة على بعضها وهي محمية على رغم كونها شديدة الانحدار.

وتشابك التلال المرصوفة بالحصى والشوارع الضيقة تبرز عظمة الابنية العامة مثل بناية "كازا دو كولتورا" البديعة وقنطرة "سان روك" الضخمة بالقرب من احدى الساحات الكثيرة الحميمة الطابع.

هدوء بعد صخب. تنعم مينوركا اليوم بالهدوء بعد تاريخها الحافل بالضربات العنيفة. وكان قدر جزر البحر المتوسط غزو القراصنة والفتوحات. واول من اجتاح سكان جزر الباليار (يعتقد ان الاسم مشتق من "بالين" اي الرمي بالمقلاع) في العصر البرونزي كان اليونانيون والفينيقيون وجماعة قرطاجة.

والرومان الذين قدموا اليها قرابة العام ١٢٥ ق.م. شقوا مسافات كبيرة من الطرق وجعلوا من الجزيرة متحفا للآثار الرومانية بما فيها الفسيفساء جنوب غرب العاصمة ماهون وعلى "إيسلا دل راي" في الميناء. ثم قدم الفاندال عام ٤٢٦ م. وتبعهم البيزنطيون والمغاربة. وبعد استكمال مراحل الفتح الاسباني عام ١٢٨٧، وكانت الجزيرة اتحدت مع مملكة أراغون، استوطن مينوركا القطالونيون النشيطون الذين أدخلوا اليها صناعة احذية مزدهرة. وقد وضعوا ميثاقا للحقوق، وهو وثيقة مقدّسة يتحدث عنها المينوركيون بفخر واعتزاز.

في مطلع القرن الثامن عشر وجدت الجزيرة نفسها في خضم حرب الوراثة الاسبانية، بين بريطانيا العظمى والنمسا ضد فرنسا واسبانيا. فاستولى الاسطول البريطاني على ماهون واصبح جزء من المدينة مشابها لميناء بليموث الانكليزي، بمنازل منضدة صفوفا فوق بعضها البعض ونوافذ مؤطرة وابواب ومصاريع ذات لون اخضر فاتح وشوارع مرصوفة جيدا. وعقب ذلك استيلاء الفرنسيين على الجزيرة عام ١٧٥٦ الذين بنوا ضاحية "سان لوي" الجميلة خارج ماهون. وكان الانكليز فيها قبل الحروب النابوليونية وبعدها. وفي ١٨٠٢ تخلّوا عنها لاسبانيا.

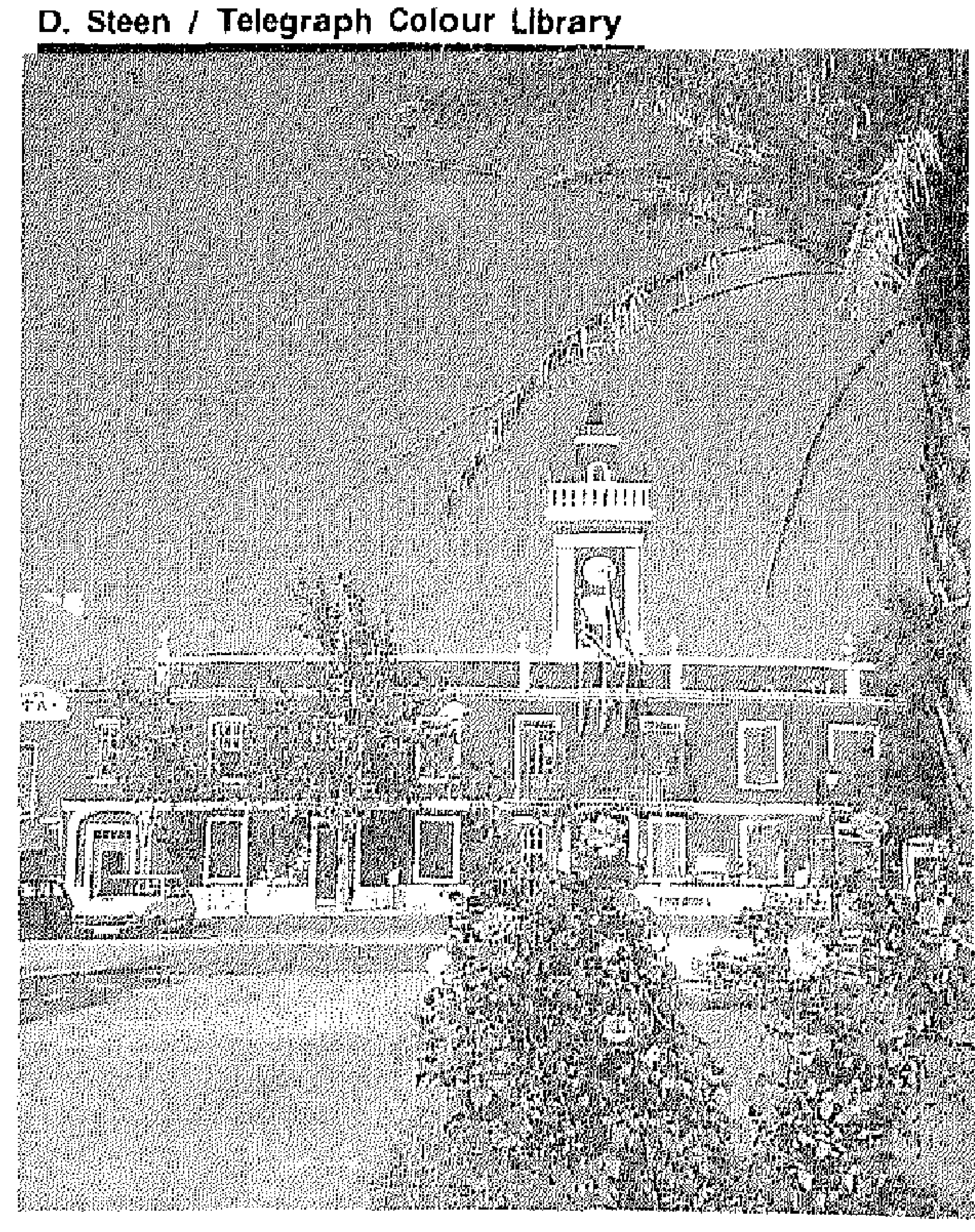
في عهدهم كان الاسبان، بعد الرومان، البنائين الاكثر ثقة وعظمة في فن العمارة. وهم يتبعون العرف في بناء جدران عالية بسيطة تمتد الشارع بطوله لكي تمتص حرارة الشمس وتحفظ البرودة في الداخل. وقد تبعوا الهندسة المدينية على نطاق واسع. وتنتشر حاليا الفيلات في الضواحي حول الميناء وهي مطليّة باللون الابيض بحسب القانون، ويخطط لها ان تكون في مربعات متقاطعة تعكس الضوء القوي والظل الكثيف.

تقول الكتب ان المينوركيين متكاسلون ويُعنى بذلك انهم ليسوا انفعاليين بل يعملون بجد وهدوء. انهم مطمئنون، متحفظون، لطفاء وربما مشدوهون كما يكون عادة سكان الجزر، واذا صح ذلك القول، فلان الريح تدندن في اذانهم طوال قسم من السنة.

يبلغ طول جزيرة مينوركا الصغيرة ٤٨ كيلومترا وعرضها ١٤ كيلومترا. وتثير الدهشة التغيرات المفاجئة بمناظرها

D. Steen / Telegraph Colour Library

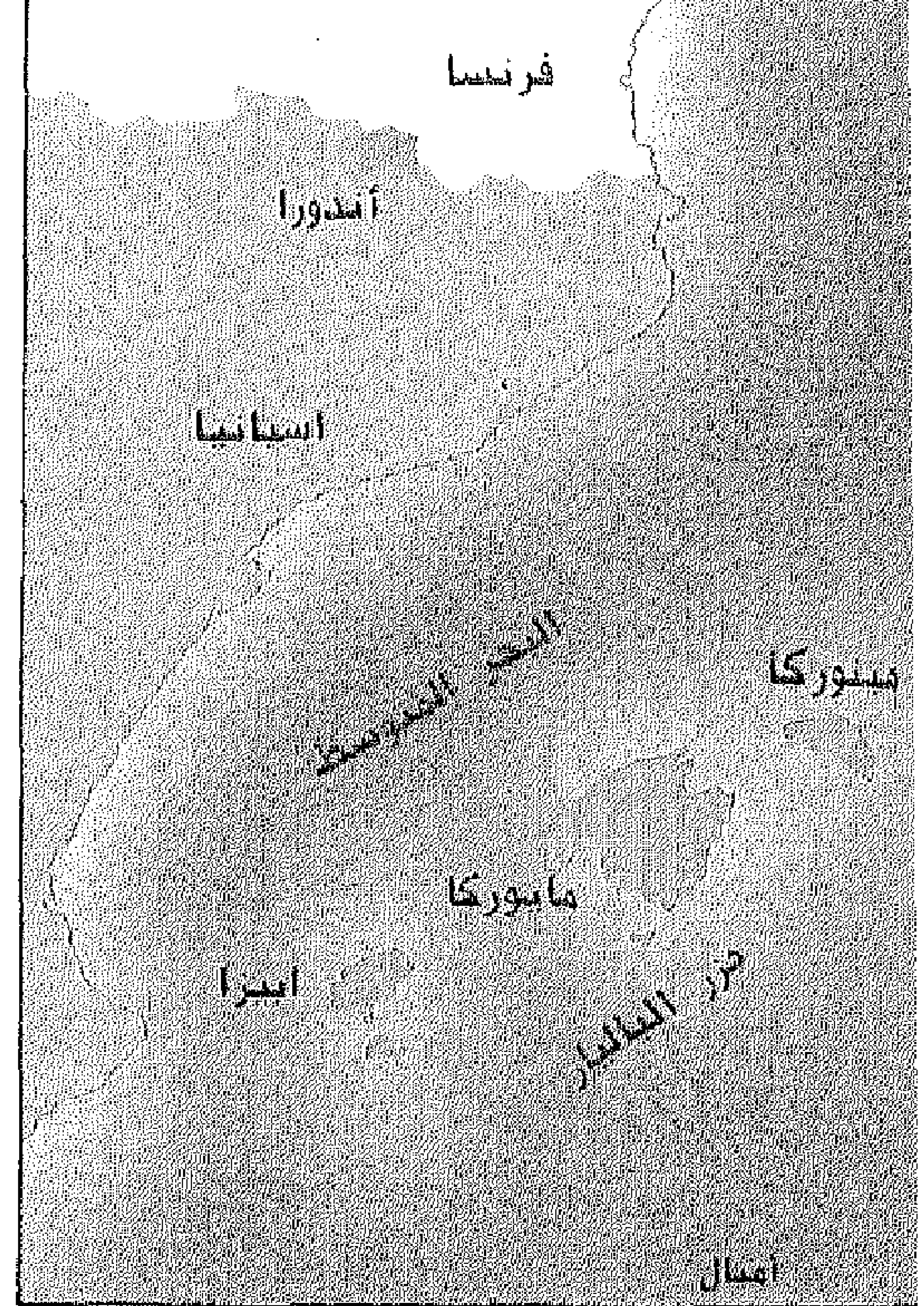
مبنى البلدية
في فيلا - كارلوس قرب ماهون.

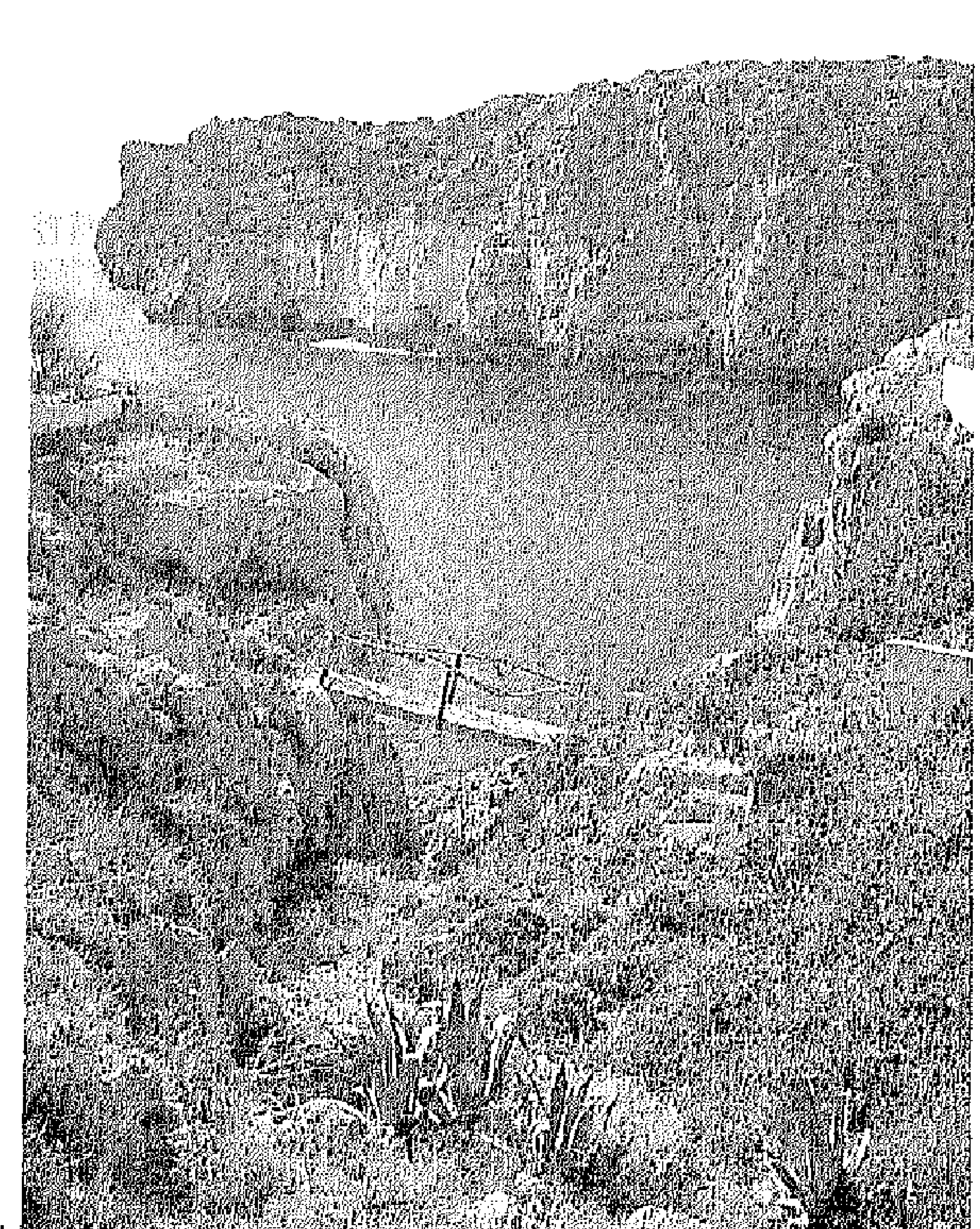


ثمار بحر طازجة.









مدخل احد الكهوف الكلسية.

Pictor International

الطبيعية وحتى بمناخها، وذلك خلال الرحلة من الشرق الى الغرب، من ماهون عبر المدن الصغيرة الضيقة: "ألايور"، "ميركادل" و"فيريرياس" الشديدة الانحدار، الى "شوداديلا". وتعني الاخيرة "القلعة" وهي اريستوقراطية، فسيحة، وحامية التقاوى. لقد حافظت على مهرجانها المدهش الذي يقام في يونيو (حزيران) حيث يمتطي الفرسان الخيول مرتدين ما يشبه سترات وسراويل سفرة قصيرة ويتبخترون دخولا وخروجا من الابواب في الممرات المقنطرة.

الريح والصخر. في مطلع الرحلة من ماهون تنقسم الجزيرة قسمين، جيولوجياً وربما ثراء. فالصخر والتربة الى جنوب الطريق كلسية غبارية والى شمالها تربة خصبة ناعمة حمراء كارض الاندلس.

تنطلق الحافلة من ميناء ماهون متهادية الى منبسط مرتفع مغطّى بالاشجار الخفيضة، وترى اذ ذاك لماذا تسمى الجزيرة "جزيرة ريح وصخر". انها مضلّعة بالوف المتاهات من الجدران الصخرية الخشنة التي تحيط بحقول من كل حجم وشكل. ويبدو الناس كأنهم مأخوذون بهوس الجدران والملكية لما يوفره لها الجدار من حماية. ويذهبون في ذلك الى حد تتويج اعلى الجدران بالباطون او طلائها باللون الابيض النشوي.

قد يضع المزارع دائرة رمادية اللون من الحجار كجدار يئر ضخمة حول شجرة من التين في وسط حقل وعر. وفي جميع تلك الحقول من الشعير والشوفان وعشب الجاودار التي تنفخ فيها الريح، تتجمع كومة من الحجار كأن الرجال الساخطين الذين كانوا يقتلعونها لقرون طويلة اقاموها هناك احتجاجا على سلطان غير عادل جعل من مشقة عملهم بأيديهم شهداء الارض.

ليست هناك جزيرة اخرى في المتوسط تضاهي مينوركا بآثار ما قبل التاريخ. فعلى بعد بضعة كيلومترات من ماهون دفعني أثر (بشكل حرف T، "تولا" و"نافيتا") الى ممر وعر مشيت فيه وقد تأكلني البعوض بين اكواخ محاطة بجدران صعودا الى سلسلة من الكهوف الكلسية.

على قمة التلة برز فجأة كحرف T ضخم حجران متوازيان، كأن قَطْعهما تم على يدي هنري مور. انها تولا التي تحيط بها دائرة من الكِسَر الصغيرة التي ربما كانت اعمدة قائمة في سابق عهدها. وعلى مقربة من المكان كومة ضخمة من الحجار كأنها زورق ملقى على الشاطىء: تلك هي نافيتا، وحولها النحل يرسل طنينه.

لا احد يعرف اذا كانت هذه الحجار الضخمة العائدة الى ما قبل التاريخ و"التالايوت" التي تشبه الابراج المنتشرة في كل انحاء الجزيرة هي آثار دينية، او ان "تولا" كانت مجرد دعامة مركزية لبيت الزعيم.

وسكان الجزيرة كانوا في حاجة الى نقاط عالية وابراج مراقبة، اذ انه ابان حكم ملوك اسبانيا حتى المزارع تحتم عليه تأمين ثلاثة عمال لصد الغزاة الذين كانوا يأتون للنهب والقتل والاحتلال. لذلك يشاهد المرء ابراج مراقبة في بعض المزارع.

نظيفة، لامعة. ان مينوركا خالية من الاحياء القذرة، فهي جزيرة نظيفة لامعة ومزدهرة ولكن بعض الاماكن الهادئة الجميلة مهددة بالخطر. ويتذكر المينوركيون برعب ما اصاب "بالما" وذلك الجزء من جزيرة "مايوركا" المجاورة.

في اواسط القرن التاسع عشر شهدت الجزيرة حقبة طويلة من الفقر في الريف والتخلف في الزراعة حين غادر الوف السكان الى اسبانيا وامريكا الجنوبية وشمال افريقيا. انما فيما تحدّثت الزراعة توقفت الهجرة ببطء وتقوم الجزيرة حاليا بأود سكانها على نحو مرض جداً. ان ازدهار قطالونيا العصرية امتد الى الجزر.

والغرابة في الامر ان الجزر الصغيرة تبدو اكبر واكثر ثراء حين يجول المرء في النواحي الطبيعية الريفية المتغيرة. يصل المرء الى "ميركادل" فيجد هضبات متموّجة واودية طويلة حيث زرعت التربة الحمراء بعناية، تقطعها وهاد شديدة الانحدار مشجّرة وفيها مجازات ضيقة مستطيلة. واذا توجهت الى الشمال لا تلبث ان تجد نفسك في طرق تكتنفها الاشجار. والشوارع البسيطة في "فورنيلز" الواقعة في محاذاة بحيرتها هي بيضاء اللون، نظيفة وانيقة.

في امكاننا التقدم بصعوبة في الطريق الوعرة الى رأس "كاباليريا" المدهش. ان الاقتراب من الشاطىء المخدّد خطر من الشمال والجنوب ويُبعد انحداره الشديد الحشود الكبيرة عنه، خصوصاً لدى الانعطاف عند "فيريرياس" او سوق "سان كريستوبال،" الى الخلجان الصغيرة مثل "أدايا" أو "كالا الكوفار."

ان مينوركا بعيدة كثيراً عن افساد "الفراديس الصغيرة" المتعددة على شاطئها والتي لم تفقد ميزتها وخصوصيتها. وقد ساعد الحس الوطني، كون الجزيرة لحسن الحظ خرجت من التاريخ، في حفظ شعور قوي لصون الاماكن الاثرية التي تعدّ اعمالا فنية عَرَضية، من العبث والتلف.

ودعني اشيّع هنا ان "ليس هناك شيء تعمله" في مينوركا باستثناء الاسترخاء والتكاسل والتلهّي وأكل السمك "النازلي" و"البوري" و"اللانفوستين" و"القريدس" مع "أيولي" (صلصلة الثوم). وتتحادث وتتمتع بساعات القيلولة الطويلة حين يكون كل شيء في المدينة ساكنا، هادئا، مقفلا. ثم تنتظر غياب الشمس وليس ما يعكر صفاءك، فتشاهد المنازل البيضاء التي تشبه الصناديق تتحول الى اللون الاحمر الوردي (القرنفلي) ويتغير لون الميناء فتزداد سكينة الامسيات روعة وجمالا.

ف.س. بريتشيت ■



صاحب المتجر للصياد: "لدينا طعوم حيّة، وطعوم ميتة، وطعوم اصطناعية، وطعوم تستطيع أكلها اذا لم يأكلها السمك."

س.ف.

اختصاصيون في الاحتيال
يوهمون المرضى اليائسين بأن المعالجات
الطبيعية هي الاسلم والانجع

□ في مونتانا اقنع احد مدّعي الشفاء بالمعالجة الطبيعية والدي فتاة (عمرها ١٦ عاماً) مصابة بداء السكّري، ان حقنها اليومية من الانسولين غير ضرورية. وقال ان في امكانه تنشيط قدرة الفتاة الذاتية على إنتاج الانسولين بمجرد القرع على صدرها. وبعد ثلاثة ايام ماتت الفتاة، وقدمت فاتورة الى الوالدين بـ٦٣٥٠ دولاراً تمثل كلفة المعالجة.

□ في بلاكفوت بولاية ايداهو، ذهبت روث كونراد (٥٨ عاماً) الى مكتب احد ممتهني المعالجة الطبيعية وهي تشكو من ألم ناتج من إلتهاب المفاصل في كتفها. وفيما كان المعالج يتولى وخزها بالابر اشار الى ورم صغير باد على انفها. فأعلن انه "سرطان الجلد" ووصف لها مرهما أسود لتفركه به. وفي اليوم التالي عادت المرأة شاكية ان المرهم يحرق انفها ويحدث في خدّيها خطوطاً حمراء محرقة، فقال لها المداوي ان هذا يثبت ان الورم سرطاني وان عليها ان تتابع فرك انفها بالمرهم.

وبعد خمسة ايام ادخلت كونراد على عجل الى المستشفى ووجهها منتفخ وقد سلخ عنه الجلد. وقضى اطباء الجراحة التجميلية ٣ سنوات في معالجتها واجروا لها ١٧ عملية لاعادة انفها وخديها الى حالها الطبيعية. وقد تبين ان المرهم لم يكن سوى "كلوريد الزنك" الذي تأكّل وجهها كلهب فرن حارق.

□ في فيلادلفيا اقنع احد المستشارين الغذائيين زوجة رجل مسنّ (٦٧ عاماً) مصاب بسرطان القولون انه قد يشفى اذا اتبع نظام حمية خاص. فوصف له الخضر غير المطبوخة وعصير عشب القمح وعصير قشر البطيخ الاحمر. وما ان مضى شهر على اتباعه هذه الحمية حتى هبط وزن المريض الى ٤٠ كيلوغراما وتوفي في الشهر التالي وهو ما انفك يلتمس تناول وجبة غذاء تامّة.

ان هذه الحالات تشهد على انتشار وبأي للشعوذة الطبية التي تكلف مليارات الدولارات سنوياً. وبعض المال يدفع ثمن اضافات غذائية وفيتامينات وحبوب وجرعات غير ضرورية. وهناك معالجات مشبوهة تدر أرباحاً أكثر وتشمل داء التهاب المفاصل ومرض القلب والسرطان.

يقول وليم جارفيس استاذ علم الصحة في جامعة لوما ليندا الطبية في كاليفورنيا ورئيس "مجلس الولايات المتحدة الوطني المناهض للدّجل الصحي": "انه لأمر مشين". ويحذر من ان هناك بائعين مخادعين متحمّسين، يصرفون ملايين الناس عن تناول الادوية العلمية ويغرونهم بابدالها بمعالجات طبيعية مشبوهة وعلاجات زائفة لكل شيء من حبّ الشباب الى تصلب الانسجة.

ويستند هؤلاء المخادعون الى تقبل العموم استعمال ادوية غير تقليدية. ومنذ أكثر من سنة أفادت "ادارة الغذاء والدواء" في الولايات المتحدة ان ما يزيد على ٢٥ في المئة من الامريكيين الذين جرت معاينتهم، اعترفوا باستخدام مثل هذه العلاجات غير الموثوقة مثل شاي الاعشاب لارتفاع ضغط الدم ومراهم كيميائية لالتهاب المفاصل.

ويروي ريتشارد كليلاند رئيس حماية المستهلك في مكتب المدعي العام في أيوا: "ترد علينا شكاوى قليلة جدا من العموم. ويسود الاعتقاد لدى الناس انه اذا لم ينجح العلاج فالذنب ذنبهم، لا يدركون ان الخداع في المعالجات الصحية هو اكبر استغلال مالي."

في شهري يناير (كانون الثاني) وفبراير (شباط) عام ١٩٨٨ حقق كليلاند في مركز عمليات تستخدمه شركة طلبات بريدية تروّج لحبة "غردية مركّبة" تدعي أنها تؤدي الى انقاص الوزن في الحال. وقد اظهر التحليل ان الحبة لم تكن سوى مزيج من اعضاء حيوانية مسحوقة. وقد اعادت ولاية أيوا الى ٣٢ الف شخص شيكات بمبلغ ١،٦ مليون دولار.

ويدعو المحققون في الدجل الصحي هذه الممارسات مبيعات احتيالية لأدوية خالية من اي فائدة. واكثرهم شؤماً يخدعون الناس بإيهامهم ان في إمكانهم الإستغناء عن الجراحات او الادوية. هنا بعض وسائل المعالجة التي يروجون لها:

عام ١٩٨٣ قيل لبونيه هندريكس هوي (٤٧ عاماً)، وهي مؤلفة موسيقى وعازفة بيانو من بنسلفانيا، انها مصابة بسرطان عنق الرحم. وأفاد اطباؤها انه اذا اجريت لها عملية استئصال الرحم في الحال، فان لها ٩٠ في المئة من الحظ في الشفاء.

وكانت هوي تقرأ عن القوة الشافية لنظام حمية يعرف بـ"ماكروبيوتيك" فزارت احد المراكز حيث اقنعها المتحمسون لهذا النوع من الحمية ان الأغذية الملائمة قد تزيل السرطان.

فأرجأت هوي الجراحة. وفي مارس (آذار) بدأت نظام حمية يعتمد الرز الاسمر والخضرة ذات الجذور. وكان من المفترض ان تقيم هذه الاطعمة توازنا بين قوتين في الجسم متعارضتين هما

"ين" و"يانغ"، وتلك فكرة مأخوذة من فلسفة شرقية قديمة. وفي سبتمبر (ايلول) أعلنت لها جماعة الميكروبيوتيك انها شفيت بنسبة ٧٠ في المئة. ولكنها فارقت الحياة بعد شهرين.

يستخدم هذه الطريقة اطباء ممتهنون متطرفون يسرفون في اطرائها كوسيلة ناجعة لشفاء السرطان والتهاب المفاصل وتصلّب الانسجة المضاعف والأيدز. اما الفكرة الاساسية فهي تنظيف الجسم من السموم وتنشيط جهاز المناعة من طريق استعمال مستحضرات طبية وغير طبية لم تثبت فاعليتها.

كتب كورت دونباخ وهو مقوّم سابق للعمود الفقري: "عندما نتمكّن من اعادة جريان الدم الطبيعي الغني بالاوكسيجين نكون حققنا الخطوة الاولى في ارتداد كل الامراض المسبّبة للانحلال."

وتباع كتيبات دونباخ في الوف متاجر "الاغذية الصحية" في الولايات المتحدة. امام علاجه الشافي فهو محلول "هيدروجين - بيروكسيد" تزيد قوته على عشرة اضعاف القوة العادية - وهذا المستوى يتلف الانسجة. ويطلب من المرضى تخفيف هذا المحلول ومن ثم شربه والاغتسال به واخذه بواسطة الحقن. وكان الهيدروجين - بيروكسيد يسوق بصفة كونه "طعاماً" بواسطة البريد من المكسيك الى ان اقفلت مصلحة البريد الامريكية قسم الاعلان في الطلبات البريدية عام ١٩٨٨.

حين توفي الممثل ستيف ماكوين بسرطان الرئة عام ١٩٨٠ كان قيد المعالجة في احدى عيادات المعالجة الأيضية السبع في تيخوانا بالمكسيك. وتضمنت معالجته حقن قهوة وحقن مستحضرات خلايا حية مصنوعة من أجنحة الغنم والماشية.

وكان الممثل أُقنع بأن يدلي بشهادته من التلفاز ليشكر اطباءه على انقاذ حياته. ولكنه مات بعد ذلك بوقت قصير.

لم تتمكن "جمعية السرطان الامريكية" من تقصّي حالة شفاء واحدة مدعومة بالوثائق، ومع ذلك لا يزال الالوف يجربون المعالجة الأيضية في مقابل كلفة نموذجية مقدارها ٦ الاف دولار (تدفع سلفا) لجلسات معالجة في العيادة مدتها ٣ اسابيع.

يُروّج في الغالب لهذه الطريقة كشفاء المتصلب العصيدي أو تصلب الشرايين. فيحقن المرضى ضمن الوريد حمضاً أمينياً يدعى EDTA، ويزعم انه ينظف صفائح الدم من الشرايين المنسدّة.

لم يقدم احد اثباتا لهذا الادعاء. والحقيقة هي ان استخدام EDTA المصادق عليه يتم حصراً في حالات التسمم بالمعادن الثقيلة كالرصاص والزئبق. لكن المعالجة بالاستخلاب باتت شائعة الى حد انها اصبحت توصف لمعالجة قائمة طويلة من العلل في ٥٠٠ عيادة منتشرة في الولايات المتحدة.

في نيفادا اجرى عياديون فحوصا اختبارية بواسطة الدماغ الالكتروني على امرأة عمرها ٥٥ عاماً، كونها مصابة بداء

الربو واستهدفت الفحوص قياس "توازن طاقتها المغناطيسية الكهربائية." فخيل لها ان اوصابها ناتجة من شدة الحساسية في جسمها وان دمها في حاجة الى تنظيف بواسطة الاستخلاب.

وهي روت انها شاهدت في غرفة الانتظار في العيادة ٤٠ شخصاً بينهم فتاة مشلولة ورجل مصاب بمرض الأيدز وعدد آخر من المرضى في سواعدهم أنابيب تقطير استخلاب.

وقالت: "يبلغ بك اليأس من الشفاء حداً تصبح معه قابلا لان تجرب اي شيء. ولكن كان علي ان اضع حداً فاصلا هنا فقررت ان لا ادع احدا يعبث بدمي."

بالترافق مع معالجاتهم الزائفة، يستخدم الدجّالون فحوصهم التشخيصية الخاصة، واكثرها غرابة فحص "سيوتوكسيك." يقول هؤلاء المخادعون: "اذا شعرت انك مرهق او ان ضغط دمك مرتفع او كنت تشكو من الجيب، فقد تكون معاناتك ناتجة من حساسية ضد الطعام." ففي مقابل ١٢٥ الى ٣٥٠ دولاراً يعرّضون عينة من دمك لمستخرجات مختلفة من الطعام المجفف. ومن المفترض ان تكشف الحساسية حين يقتل احد انواع الطعام خلايا الدم البيضاء.

وذات مرة ارسل مكتب المدعي العام في نيويورك عيّنة من الدم لفحصها في مختبر سيوتوكسيك. فأتاه الرد ان المريض يعاني حساسية ضد الحليب. وكان "المريض" بقرة!

ويستوي في الغرابة، والخلو من اي قيمة، المنهج التشخيصي الذي يرتكز على اساس ان كل مساحة في الجسم لها ما يماثلها في قزحية العين. فأي تغير في لون "جزء الكبد" ونسيجه في القزحية مثلا، يدل على الاصابة بمرض في الكبد.

يخبر رسل وورل وهو مساعد استاذ عيادي في مدرسة قياس البصر في جامعة كاليفورنيا ببركلي، عن محاسب في الاربعين اخضع لفحص على اساس تماثل قزحية العين فظهرت اصابته بالسرطان. فاستبدّ الخوف بالرجل وبعد ان قضى يوما كاملا في عذاب نفسي يحاول عبثاً الاتصال بطبيب عائلته، زار وورل الذي طمأنه الى ان فحص قزحية العين لا قيمة له. وفي الفحص الذي أجري له لاحقاً ظهر ان الرجل خال من مرض السرطان ولكنه يعاني حالا خطيرة في قلبه أغفلها فحص القزحية.

ان مصلحة البريد وادارة الغذاء والدواء ومجلس التجارة الاتحادي، تمنع بيع الادوية والادوات الخادعة الاكثر وضوحا من طريق المصادرة والانذار القضائي وقوانين اخرى.

والى ذلك تتولى ادارة الغذاء والدواء تثقيف العموم في شأن العناية الصحية الاحتيالية. وقد شملت جهودها في السنوات الاخيرة اجراءات فاعلة ضد الشعوذة الصحية منها رسائل تثقيفية توزع على جميع وسائل الاعلام، ومؤتمرات برعاية ادارة الغذاء والدواء.

ما هي الوسيلة الناجعة لمعرفة المشعوذ؟

يقول اطباء اعضاء في "مجلس الولايات المتحدة الوطني المناهض للدجل الصحي" انه يجب الاحتراس من المروّج او الممتهن الذي:

- يستخدم الشهادات او النوادر لدعم ادعائه بدلا من البرهان العلمي الدراسي.
- ينثر الوعود بشفاء عجائبي.
- يدعي ان اكثرية الامراض في الامكان شفاؤها بالطرق الغذائية. وتبين ان ٤٠ في المئة من الاشخاص الذين جرت معاينتهم بطلب من FDA، يؤمنون بالدعاية التي تروّج ان النقص في كميات المعادن والفيتامين في الجسم يتسبب في داء السرطان والتهاب المفاصل. ويقول العلماء الطبيون ان هذا اعتقاد خاطئ.
- يروّج لمعالجة معينة على انها شفاء ناجع لمجموعة متعددة من الامراض مما ينافي المنطق.
- يبرز مستندات غير واضحة. (تمكّن احد المحققين من الحصول على مصادقة على معاملة تثبت ان كلبه هو مستشار غذائي مهني في "جمعية مستشاري الغذاء والحمية الامريكية!")
- يزعم ان الاطباء القانونيين يرفضون الادوية "البديلة" لانها تشكّل تهديدا لموارد رزقهم.
- يستشهد بكتب شائعة بدلا من المجلات الطبية المحترمة كبرهان على ان معالجته صحيحة وسليمة.

قد يكون المشعوذ العصري اكثر حنكة من سلفه البائع المخادع، انما تحت الستار العلمي الزائف تكمن نفسية بائع عدواني ملحاح، لا يزال إغراؤه قائما منذ القدم. فهو يمنّي بالامل حين يكون المرء فقد كل امل ويستغل الخوف والمعلومات الخاطئة والجهل لدى المرضى.

هناك وسيلة موثوقة للشفاء من الشعوذة هي المعرفة، لأن المعرفة قوة.

بيتر مايكلمور ■

زبونة مستحيلة

في اليوم الاول لي كمساعد بائع في متجر للأحذية، سار كل شيء على ما يرام الى أن أتت زبونة صعبة جداً. فبعد أن جرّبت ١٥ زوجاً من الاحذية، لم ترضِ عن اي منها، وجدت اخيراً زوجاً مناسباً. وبينما كانت تحتذي احدى فردتيه، حبست أنفاسي. فقد بدت الفردة مناسبة تماماً، فقالت الزبونة: "لا يمكن أن يكون هذا القياس الصحيح.. فهو يناسب قدمي أكثر من العادة!"

ب.ك.

الذكاء هو أن تكتشف الخطأ في تفكير رئيسك والحكمة هي في الامتناع عن الاشارة اليه.

ك.ف.

تأملات معاصرة

المسرحي والجمهور

ينبغي احترام المشاهدين وعدم الاستخفاف بهم. فمن السهل ان تغمز رفاقك وراء الكواليس خفية، هازئا بجمهورك، ولكن في خضم الوجوه وراء اضواء المسرح، لا بد ان يعرف احدهم بذلك. وينطبق الامر على كل انواع التسلية. فإن انت احترمت جمهورك احترمك هذا. بالطبع، يمكنك ان تتلاعب بأفكار جمهورك ومشاعره، ولكن هذه مسألة اخرى. فهذا ما يمنع المشاهدين ويأتي بهم اليك. ولكن اياك أن تعاملهم باستهتار ولامبالاة.

لورنس اوليفييه. ممثل ومخرج بريطاني

صلاة

يا رب، إحمني من عادة التفكير في حتمية ان اقول شيئا حول ايّ موضوع وفي كل مناسبة.
حرّرني من التوق الشديد الى تسوية شؤون كل امرىء.
احفظ فكري حرا من سرد تفاصيل لا نهاية لها.
امنحني جناحين يسموان بي نحو اللائق من الامور.
اسألك مزيدا من النعمة حتى اصغي الى اخبار آلام الآخرين. ساعدني على معاناتها بصبر. ولكن اختم شفتي على اوجاعي وآلامي، فهي في ازدياد وشغفي بالتدرب عليها سائر الى مزيد من العذوبة مع مرور السنين.
علمني الامثولة المجيدة. إنه من الممكن احيانا ان اكون على خطأ.
هبني موهبة أن ارى امورا صالحة في امكنة غير متوقعة، ومواهب في اناس لا يبدو عليهم ذلك. وامنحني، يا رب، نعمة ان اخبرهم بما رأيت.
اجعلني كثير الاهتمام بالآخرين، ولكن غير متقلب المزاج، نافعا، ولكن غير نزّاع الى السيطرة. ويبدو من المؤسف الا استعين بكل ما اوتيت من شامل الحكمة، لكنك تعرف، يا رب، أني اريد قليلا من الاصدقاء في النهاية.

هل السعادة سراب؟

يسمم الاستعجال أفراحنا ويحول دون ادراكنا السعادة. وينفد صبرنا اذ يتهيأ لنا أن السعادة هي دائما أبعد قليلا من متناولنا، فنرغب في الاندفاع وسط أوهامنا لنمسك بها. لكن السعادة، كما كتب أحد الفلاسفة، هي كالكرة يتعقبها ولد: ما إن يمسكها حتى يرفسها.

لويجي بارزيني، صحافي ومؤلف ايطالي

رجل السفينة الطويلة

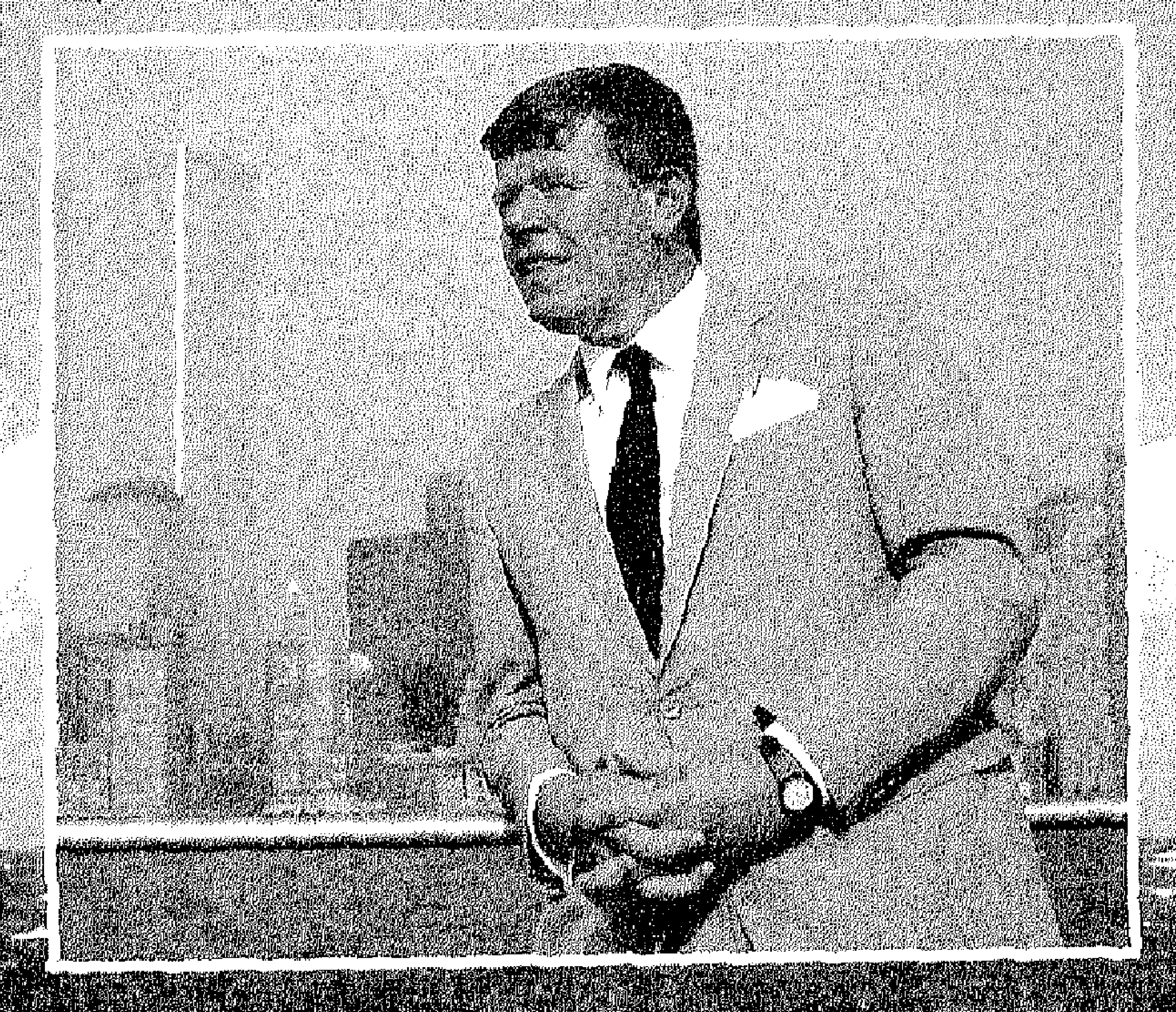
وقع الفتى في هوى البحر، وهو اليوم رجل السياحة العالمي


يوسع كارل غوستا اندرن خطاه معتذراً عن تأخره بسبب ازدحام السير. يتكلم لغة انكلو - اميركية محكية سريعة مع لكنة اسوجية تشعرك بطاقة هائلة على السيطرة على النفس.

ربع القامة، يظهر، وهو يرتدي سترة مفصلة جيداً، كأنه يختزن قوة عامل في منصات شحن السفن وتفريغها.

اما وجهه الملفوح فيبدو انه اكبر من سنيّه الاثنتين والاربعين حتى يبتسم فيظهر كأنه فتى يهيم نحو المكتب الخطأ. من مقره المتواضع المقابل للماء على

Spread: Courtesy of Winstar Sail Cruuises Ltd. Inset: Chris Hackett





رصيف ميناء نهر هدسون في مانهاتن يستطيع سماع صراخ طيور النورس وصفير المراكب القاطرة.

كارل اندرن قوة يحسب لها حساب في السياحة البحرية. يكسب من عمله ما يزيد على عشرين مليون دولار سنويا.

سفينتاه "سركل لاين" و"داي لاين" هما الرقم ١ في وسائل نقل السياح والطواف بهم حول مانهاتن.

والاقرب الى قلب اندرن مغامرته الجديدة: "وندستار سيل كروزس" وهو اسطول بحري ظريف يضم اطول ما بني من المراكب ذات الصواري الاربع.

ترعرع كارل، وهو ابن قبطان بحري، في ماريبهامن في جزيرة الاند في خليج بوثنيا. وهو يقول: "اتذكر اني كنت دائماً اعيش على متون السفن. ووالدي كان يعيش في البحر احد عشر شهراً في السنة. وطوال فصل الصيف يأخذ معه العائلة." في مثل هذه الرحلات العائلية زار اندرن رومانيا ومصر والاتحاد السوفييتي.

خيار وحيد. في العام ١٩٦٤، عندما كان كارل في الخامسة عشرة من عمره ترك البيت ليجول طوال الصيف كبحار عادي على متن احدى سفن "وولّينوس لاين ستيمشب". وهذه السفينة كانت تشحن سيارات من همبورغ في المانيا الى نيويورك، وتعود من نورفولك في فرجينيا محملة فحما حجريا الى اسبانيا.

ان الايام الطوال من الدهان المتشقق والصدأ المغطى بالرمل كانت مزعجة. لكن النزول الى الشاطىء في ميناء نيويورك مع من يكبرونه من البحارة جعله ينسى العرق والقذر.

شرح اندرن لفنلندي مولود في الاند ان خيار الفتى الوحيد للعمل في الحياة هو ان يكون مالك باخرة او عاملا مع احد مالكي البواخر. وهو صمم باكراً على امتلاك بواخر بدلا من الابحار بها، ولكنه لم يخبر والده بذلك.

كان ويكار، والد كارل، في الثالثة عشرة من عمره عندما التحق في اوائل العشرينات بطاقم باخرة حبوب ذات اربع صوار كاملة التجهيز تبحر بين اوستراليا ولندن. يتذكر كارل بحماسة قصص والده التي كان يرويها لهم قبل النوم عما حصل معه وهو يدور حول "رأس هورن" وسط عاصفة والاشرعة منشورة و٤٠٠٠ طن من القمح في المركب. ويرتعد الفتى وهو يتخيل نفسه واقفاً على سلك معدني رطب، على علو قرابة مئة متر في الهواء بغية طي الاشرعة والباخرة تتمايل والريح تعصف في اذنيه.

في العام ١٩٥٧ ذهب اندرن الاب للعمل مع شركة "وولينوس لاينز". وفي العام ١٩٦٠ أرسل الى نيويورك كوكيل لشركة الشحن البحري. بعد سنتين تبعه كارل وامه.

توق الى البحر. انهى الفتى المدرسة الثانوية في فورت لي - بنيوجرزي، عبر نهر هدسون من مانهاتن. وعمل في خدمة السفن المبحرة من ميناء نيويورك واليه.

في سنته الثانوية الاخيرة ابلغ الى والده انه لا يريد ان يعمل على باخرة. ويتذكر اندرن تلك الايام: "ارادني والدي



يسر "المختار" ان تعرض
على المشتركين الجدد فيما
بين ١٩٨٩/٨/١ و١٩٩٠/٩/٣٠
اربعة اعداد اضافية مجاناً
مع كل ١٢ عدداً.
فالمشترك لمدة سنة
(١٢ شهراً) يتلقى
١٦ عدداً خلال ١٦ شهراً
اي انه يربح ٣٣٪
فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم ان تصلكم "المختار"
الى عنوانكم،
بادروا الى ملء
هذه القسيمة وارسلوها
مرفقة بشيك مسحوب
على مصرف في نيويورك
باسم "المختار من ريدرز دايجست"
بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً،
وارسلوا القسيمة والشيك
بالبريد المضمون (المسجل)
الى احد العنوانين المذكورين
خلف هذه القسيمة.

الاسم ______________________

____

العنوان ______________________

____

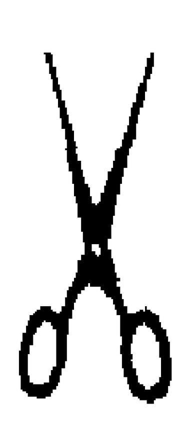
التاريخ ______________________

التوقيع ______________________

الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

ان التحق بمعهد التجارة البحرية. فرفضت ولم اكن مسروراً جداً." بدلا من ذلك التحق كارل بكلية اوبسالا قرب ايست اورانج في نيوجرزي، واختار علم طبقات الارض مادة رئيسية ثم حاز درجة ماجستير في اقتصاديات المعادن من جامعة ولاية بنسلفانيا.

في العام ١٩٦٩ اصبح محللا لسوق السندات المالية في شركة للاستثمار والاعمال المصرفية في "وول ستريت" شارع المال في نيويورك. وقال في تبرير قبوله هذه الوظيفة: "اردت ان اتعلم اكثر عن شؤون التمويل." بدأ التخصص في الاسهم والسندات النفطية، ولكنه عندما كان يتطلع خارج النافذة كان يشاهد تمثال الحرية المنتصب فوق الماء، وعندما كان يتجول في شارع "باتيري بارك"، بعد تناوله الغداء، كان يشتم رائحة المحيط ويراقب طيور النورس تدور ثم تغوص في الماء بحثاً عن النفايات.

بعد مرور سنة، او ما يقاربها، انتقل اندرن الى الدائرة المالية المشتركة في الشركة مركزاً بسرعة على تمويل السفن. وفي العام ١٩٧٤، اي بعد ثلاث سنوات من العمل في الدمج والتملك قال اندرن: "قررت ان الوقت حان لاعمل لحسابي." وترجمت هذا القرار بشراء "مانهاتن اويل ترانسبورتيشن كومباني" وهي شركة تملك قاطر مراكب وثمانية اطواف مخصصة لنقل الزيت النباتي حول ميناء نيويورك.

ان هذه الشركة، وان تكن صغيرة، حققت ربحا صافيا واعطت اندرن بعض المصداقية في الاوساط البحرية المحلية. وارضت ايضاً والده باعطائه الدليل على ما كان يعرفه دائماً، وهو: قطر السفن امر قاس جداً بحيث ان اي فتى في جزيرة الاند يرفضه. عرف كارل هذا ايضاً ولكنه عزم على ان يتصرف على طريقته.

كانت "مانهاتن اويل ترانسبورتيشن" الخطوة الاولى لكارل اندرن في بناء امبراطوريته. فبفضل علاقاته المصرفية استطاع في العام ١٩٧٦ شراء مؤسسة "هفمان توينغ كومباني اوف تكساس" وهي اوسع نشاطاً وتملك قاطرات سفن وأطوافا وبواخر ساحلية ناقلة للسوائل على الشاطىء الشرقي وشاطىء الخليج، وتتاجر بها، وعندما بلغ اندرن عامه السابع والعشرين كان من اراد دائما ان يكون - مالك بواخر.

في العام ١٩٧٦ التقى اندرن فرنسيس ج. برّي، مؤسسة شركة "سركل لاين" وهي مؤسسة سياحية بحرية نشأت بعد الحرب العالمية الثانية مستعملة مخلفات السفن العسكرية الحربية البرمائية والمراكب الشراعية الخاصة بحرس الشواطىء لنقل ما بين ٤٠٠ و٦٠٠ راكب في رحلة طواف بحرية مدتها ثلاث ساعات حول جزيرة مانهاتن. يملك برّي مؤسسة "هدسون ريڤر داي لاين" التي تدير عملية سياحة نهرية مدتها تسع ساعات وصولا الى مدينة بوغكيبسي. ان الشاب المبتدىء في مجال النقل البحري في نيويورك والمحنك الشائب الشعر تغديا معا. وفجأة سأل اندرن برّي هل ينوي بيع شركته. فجاءه الجواب "لا" مهذبة.

اصبح الرجلان صديقين. اما اندرن

فكان لماما يقدم عرضا لشراء "سركل لاين" وبرّي يبتسم ويرده خائبا. غير ان اندرن ابى ان يكف عن مطلبه. وبدأ يخطط لمنافسة "سركل لاين" ببناء اسطوله الخاص بالسفن السياحية. وفي العام ١٩٧٨ وسّع عمله بالقيام بعمليات شحن بحرية عالمية للزيوت النباتية ولاسيما الكيمائية منها. واطلق على المغامرة الجديدة اسم "يونايتد تانك كونتينرز".

حينذاك كان برّي بلغ الثانية والسبعين ولم يقل "لا" عندما طرح عليه اندرن موضوع شراء "سركل لاين". وامتدح بري امام ابنته بفرلي ماير مثابرة اندرن وقال: "بعض الناس يستطيع ان يكون مثابراً فتود رميه في النهر، وبعضهم الآخر يبدو مقبولا فترحب به."

رجل مركب. احب فرنسيس برّي الفكرة القائلة بان اندرن كان "رجل مركب" واكثر. تتذكر ماير حديث والدها: "كان ابي يقول دائماً نحن في وليمة، نحن حقا لا نعمل كأولئك الذين يديرون السفن القاطرة، نحن اشبه بالذاهبين الى دور السينما. أظنه ادرك ان كارل فهم ذلك."

في ١٦ يوليو (تموز) ١٩٨١ بعد مرور خمس سنوات كاملة على عرضه الاول، اشترى اندرن مؤسسة "سركل لاين" ووجد نفسه مع تسع بواخر سياحية تدر ذلك الوقت عشرة ملايين دولار سنويا. في السنة التالية باع "يونايتد تانك" من شركة عالمية يملكها جاكوب ستولت نيلسن الابن، وهو صديق وشريك في "سركل لاين" و"هغمان توينغ" ومشاريع اخرى.

عزم كارل على استثمار الارباح في توسيع نشاطه السياحي وهو يدرس الان اوضاع السياحة المحيطية المتنامية. وهو يقول في هذا الشأن: "وصلت الى قرار بان ثمة سوقا لانتاج سياحي بحري يفوق الانتاج العادي."

كان قراره مبنيا على شعور جريء. سَلهُ عن تقصي اسعار السوق يلحس اصبعه ويرفعها في الهواء ويضحك: "هذا هو تقصّيّ لاسعار السوق، انني اعد دراسات عن انني السوق لاقنع المصرفيين. عندما يسألونني: لماذا نسلفك المال؟ واذا ما قلت، حسنا، ان الريح تهب اليوم هذا الصوب اجابوا: حسناً، ألديك شيء آخر؟"

يتذكر اندرن: "جاءتني فكرة السياحة المحيطية على نحو طبيعي. فقد بدأت افكر: لماذا لا نسلك البحار؟ سألت من حولي ولكن لم يكن احد يدرك جيداً لماذا هذا الامر لم يحصل قبلا." في البدء نظر هو ومساندوه الماليون في امر امتلاك باخرة قديمة الطراز كاملة التجهيز واعادة ترميمها بعناية خطا بخط وعارضة بعارضة. اما المشكلة فكانت انه يحتاج الى طاقم كبير من البحارة المتمرنين جيدا لتسلق الصواري ونشر الاشرعة بالايدي. لهذا السبب تعدل حلم اندرن الى سفينة ابسط ذات صاريين واشرعة مربعة وفيها تجهيزات اوتوماتيكية.

اراد اندرن التعامل مع افضل بناة السفن السياحية البحرية في العالم، وقرر الاتصال بشركة "ورتسيلا شيبيارد" في هلسنكي. ولكن ورتسيلا جاءت بتصور لاحدث مركب يسلك البحار، احدث مما هو في ذهن اندرن.

بعد عام من التصميم التقني ودراسة السوق في هلسنكي انشأ اندرن شركة جديدة دعيت "وند ستار سيل كروزس ليمتد" وطلبت عروضا لبناء سفينتين كبيرتين يصل طول كل منهما الى ١٥٠ متراً، مزودة قرابة ٦٦ متراً من الصواري المصنوعة من الالمنيوم، يحمل قرابة ٧١٧٠ متراً مربعا من اشرعة النايلون التي تُطوى ذاتيا وتضبط كومبيوتر.

اما السفينتان اللتان ستدعيان "وند ستار" و"وند سونغ" فكان يجب ان تجهز كل منهما بثلاثة محركات ديزل - كهربائية قوة كل منها ١٠٠٠ حصان، وبخمس وسبعين غرفة، تتسع كل منها لشخصين، فيها تلفاز وفيديو وهاتف يصل السفينة بالشاطىء. اما متن السفينة فكان يجب ان يصنع من خشب "التك." واما الداخل فيكون ترجمة حديثة للتقليد البحري.

وفازت بالعرض شركة فرنسية هي "سوسيتيه نوفيل دي زاتيليه اي شانتييه دي هاڤر - فرانس". وتقررت تكاليف السفينة الواحدة بنحو ثلاثة وثلاثين مليون دولار.

اسطول عصري. سُلّمت "وندستار" في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦، وكانت تقوم برحلات سياحية في البحر الكاريبي من قاعدتها في المارتينيك جنوب الغرينادين، وتدوم كل رحلة سبعة ايام. اما "وند سونغ" التي ابحرت من الهاڤر في ٣٠ ابريل (نيسان) ١٩٨٧ فاتخذت من تاهيتي قاعدة لها، وهي تقوم برحلات سياحية في بولينيزيا الفرنسية.

وبنيت سفينة ثالثة دعيت "وند سبيريت" تسلمها اندرن في مارس (آذار) ١٩٨٨، لتبحر صيفا في الريڤييرا الفرنسية والايطالية وشتاء في البحر الكاريبي.

كانت سفن اندرن اطول السفن السياحية التي بُنيت الى الآن، وتستخدم ارقى النظم الضابطة من الناحية التقنية. ان ضبط الدماغ الالكتروني للاشرعة يجعلها تكتفي بطاقم مؤلف من اثنين وعشرين شخصا تاركا الاربعة والستين الآخرين للسهر على راحة ١٥٠ راكبا. هذا التنعم ليس رخيصا، اي يكلف الشخص الواحد في غرفة من سريرين بين ١٩٦٥ و٣٦٣٥ دولاراً.

واقتصاداً في النفقات السياحية، دخل اندرن في شراكة مع "هولند اميركا لاين" وهي مؤسسة سياحية تملك ٥٠ في المئة من "وند ستار سيل كروزس ليمتد". كيف يحل هذان الشريكان المتساويان نزاعاتهما؟ يقول اندرن وهو يضحك هازئاً: "اذا ما احتجنا الى ذلك ننقف قطعة النقود بالاصبع ونحصل على النتيجة."

يقيم كارل مع زوجته لويز وطفليهما باتريك وجنيفر (١٠ اعوام و١٣ عاما) في غرينوتش بكونتكت. وتسافر العائلة عادة الى فنلندا واسوج مرة في السنة على الاقل. يقول اندرن: "انني امت بصلة الى نصف جزيرة الاند مثل اي شخص ولد هناك، وزوجتي اسوجية، ولذلك نسافر غالبا الى اسكنديناڤيا."

تحمل دواعي العمل اندرن الى انحاء العالم بحثاً عن اسواق لرحلات "وند ستار". وهو يقول عن ذلك: "اننا الآن

نقتحم الاسواق الفرنسية والالمانية."
كان أندرن اخيراً على موعد في طوكيو مع رجل يُعرف بـ"مستر هني مون" (السيد شهر العسل) لانه كان ينظم رحلات اسبوعية الى جزيرة هاواي لعدد من العرسان يراوح بين ١٢٠٠ و١٤٠٠ عريس وعروس. ويرى اندرن ان في الامكان تخصيص سفينة للسوق اليابانية، وتوقع جعل اسطول "وند ستار" مؤلفاً من ست سفن.

يعمل كارل اندرن على تحقيق ما كان يحلم به كمراهق في ماريبهامن، ولكن هذا غير كاف ابداً لارضاء طموحه السامي وتسميته القوية للصفقة الكبيرة المقبلة. انه يعترف بذلك: "من الثابت ان كوبي ملآن، الآن نتطلع الى تطوير ملكية "سركل لاين" حتى خمسة ملايين دولار." ثم ابتسم واضاف: "ولكن كل شيء خاضع للتغيير وقد يكون شيء ما مختلفا غدا."

جون تومكينز ■



مضايقات

بدأ كل شيء، عندما سألتني طبيبة الاسنان التي كانت تكشط القلح عن أسناني: "هل تصرفين أربع دقائق يومياً على تنظيف أسنانك؟"

فأجبت وأنبوب الفرغرة يتدلى من شفتي: "بل أقل من ذلك."

فقالت: "عليك ألا تبخلي بالوقت والا فقدتِ أسنانك."

فآليت على نفسي أن أخلل أسناني يومياً بخيط حرير وأحفها بالفرشاة وأغسلها بالماء. وفي أثناء الفحص العام السنوي سألني الطبيب: "هل تتمرنين غالباً؟" "هل تخففين من استهلاك الملح؟" "هل تتضمن حميتك الغذائية الكثير من الكولسترول؟" حينئذ بدأت برنامجاً مكثفاً للياقة البدنية مضبوطاً على أساس "جدول الصيانة الشخصي" اليومي المعلق على باب الثلاجة.

وسرعان ما تعلمت أن "الصيانة الشخصية" ليست هي كل ما يثير قلق الانسان. ففي محل اصلاح الادوات المنزلية تفحّص الموظف ابريق القهوة وسألني: "هل تمسحينه كل شهر بالخل الابيض؟" وهكذا بدأ "برنامجي لصيانة المنزل" الذي أخذ مكانه الى جانب "برنامج صيانتي الشخصية".


وأخذت عدة أجهزة أخرى تتطلب عنايتي. فعندما اكتشفتُ أن آلة التسجيل في سيارتي وجهاز الفيديو في منزلي والدماغ الالكتروني في مكتبي تتطلب أيضاً تنظيفاً، تساءلتٍ الى أي مدى سأستطيع التزام هذا البرنامج المتشدِّد.

وبت أنام أربع ساعات في الليل، وفقدت معظم اتصالاتي بزوجي وأولادي وأصدقائي. ولم أعد أجد فسحة للبرامج على باب الثلاجة.


الى أن تهاوى كل شيء ذات ليلة حين قرأت مقالة بعنوان: "هل أنت تعرض حياة أحبائك للخطر باهمالك مسح الغبار عن جهاز الانذار بالحرائق؟"

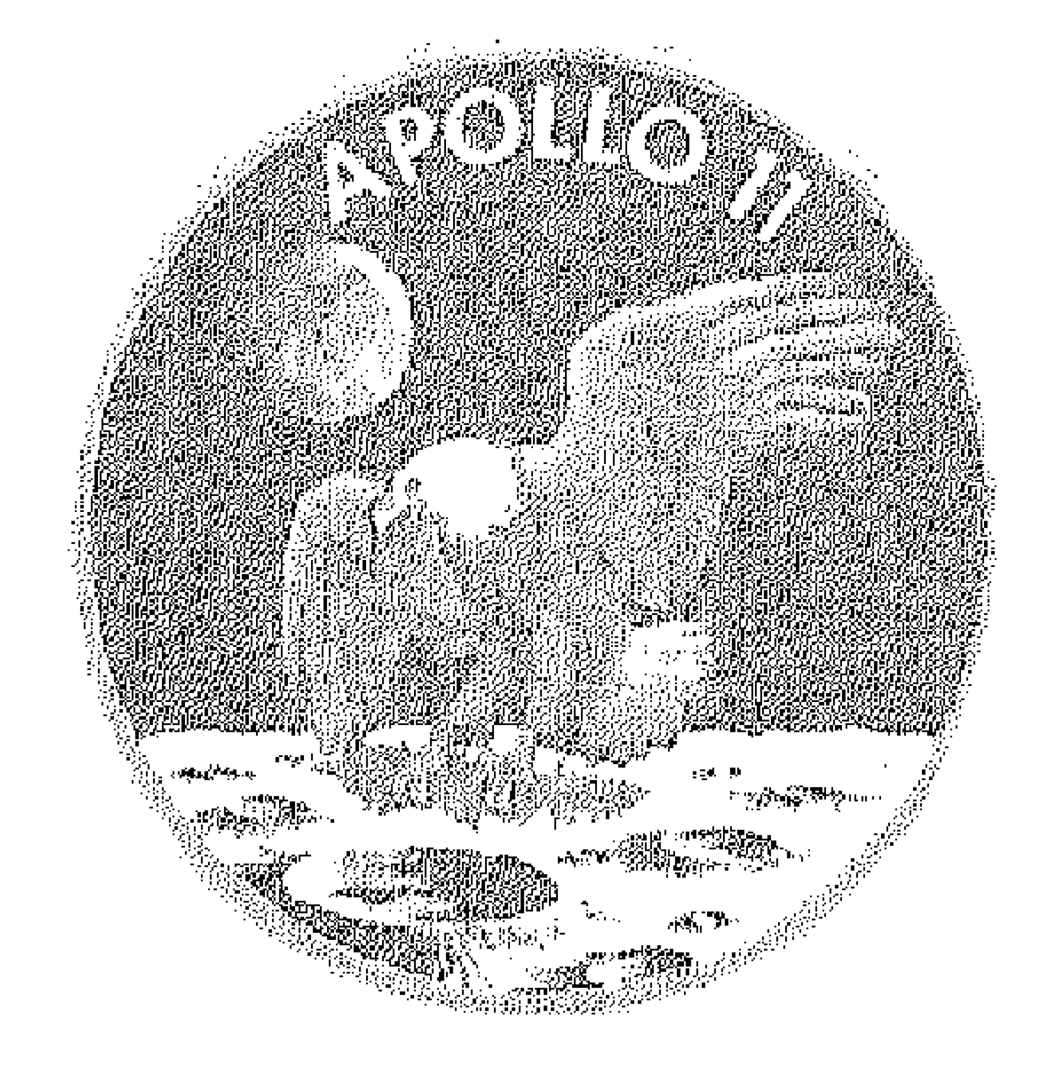
ركضت الى الثلاجة ومزّقت البرامج نُتَفاً. ومنذ ذلك الحين أعتمد سياسة خاصة حيال الاسئلة التي تتناول سلوكي، أرفض بموجبها الرد عليها من منطلق الادانة الذاتية.

صحيفة "واشنطن بوست"



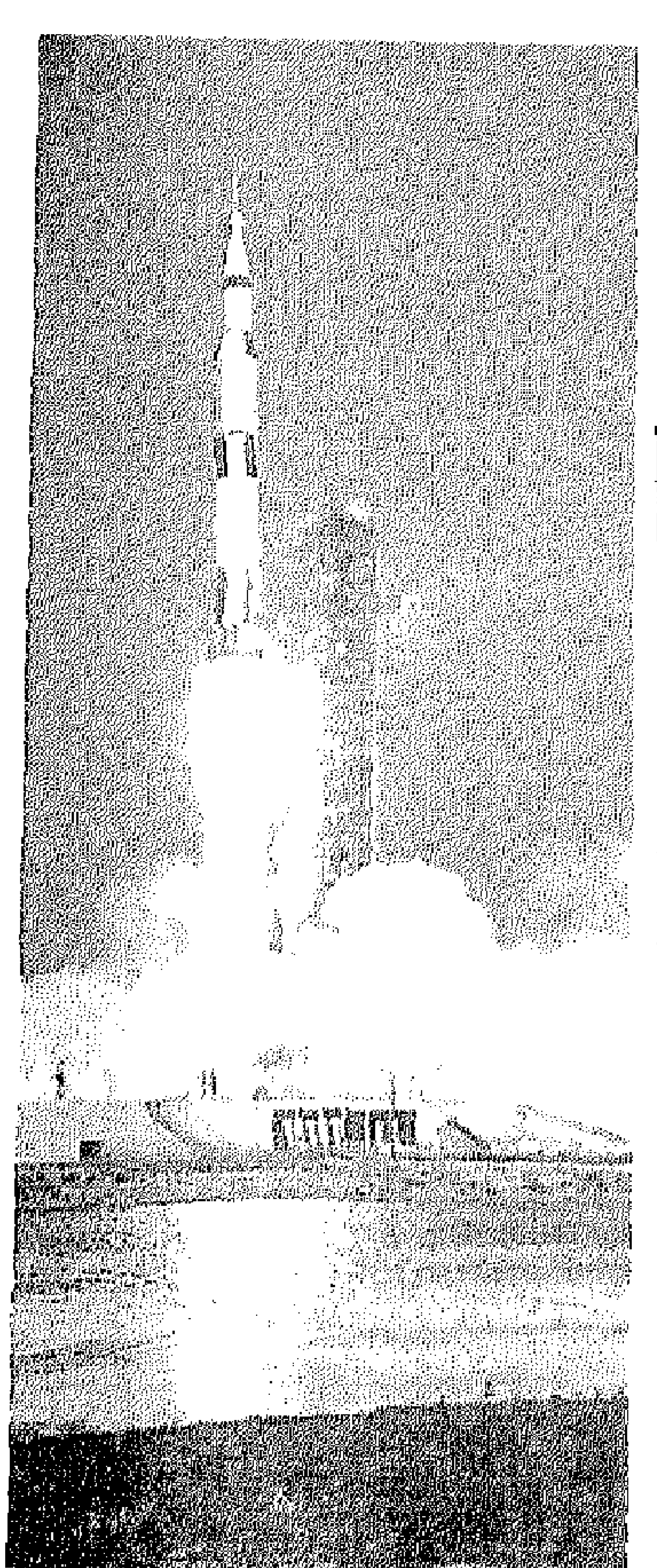
نيدو الحليب الأفضل
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
نيدو الأفضل طعماً، الأسرع
ذوباناً، الأضمن نتيجةً
والأوسع إنتشاراً.
نيدو السريع الذوبان؛
ضمانة أكيدة لنموّ أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله





الأسطورة

ملخص من كتاب
"رجال من الارض"
بقلم باز ألدرين
ومالكوم ماكونيل



الأسطورة

كان مشروع "أبولو" الخطوة الأكثر جرأة في تاريخ البشرية. ففي الخامس من مايو (أيار) ١٩٦١ أطلق آلن شيبارد من قاعدة كيب كانافرال في فلوريدا ليصبح أول رجل أمريكي يرتاد الفضاء. ولم تدم رحلته التي تحولت اسطورة، سوى خمس عشرة دقيقة. وبعد مضيّ عشرين يوماً فقط ألقى الرئيس الامريكي آنذاك جون كينيدي خطاباً أمام الكونغرس تحدّى فيه أمريكا أن ترسل رجالا الى القمر وتعيدهم الى الارض سالمين قبل نهاية العقد. وإن قدّر لتلك المغامرة الجريئة أن تنجح فذلك يعني أن رجالا سيغادرون أمان الأرض ويعبرون ٤٠٠ ألف كيلومتر في الفضاء لكي يسيروا على أرض القمر المغبرة. وهنا يروي باز ألدرين، أحد الذين عاشوا تلك المغامرة، قصة الرحلة الاسطورية.

تلألأت نار المخيمات على الشواطىء والطرق القريبة من قاعدة كيب كينيدي(١) فقد أتى نحو مليون شخص لمشاهدة اطلاق "أبولو ١١". وتصبّب العرق من العالقين في زحمة السير التي سدّت الطرق المؤدية الى القاعدة، فحتى في الثالثة صباحاً كانت أنوار المصابيح الامامية لثلاثمئة ألف سيّارة تشق ظلام الليل الرطب الحار الذي سبق نهار الاربعاء ١٦ يوليو (تموز) ١٩٦٩. بعد ست ساعات ونصف ساعة تنطلق وكالة

(١) كيب كانافرال سابقاً، وقد سميت كيب كينيدي بعد اغتيال الرئيس الامريكي جون كينيدي عام ١٩٦٣.

الفضاء الامريكية (ناسا) ثلاثة روّاد في أوّل محاولة بشرية للهبوط على القمر، وهو حدث لا يرغب أحد في تفويته.

في غرفة الاشعال الرقم ١ في مركز توجيه الاطلاق أشرف فريق الاقلاع على التعبئة الخطيرة لـ٢٢٠٠ طن من الوقود الدافع المؤلّف من الهيدروجين السائل (LH2) والاوكسيجين السائل (LOX) الفائقي البرودة، في العمود الابيض الضخم للصاروخ "ساتورن ٥". وعلى رغم أن معدّل التعبئة بلغ ٣٨ ألف ليتر في الدقيقة فإنّ العملية استغرقت أربع ساعات، وكانت خطرة الى حدّ اخلاء منصّة الاطلاق التي تعجّ عادة بالشاحنات والعمال.

انحنى مئات المهندسين والتقنيين فوق نضد الادمغة الالكترونية لمراقبة ألوف الأجهزة المنفصلة على متن الصاروخ الثلاثي الاجزاء والمركبة الفضائية "أبولو". وكانت المركبة المتعددة الاجزاء أثقل من مدمّرات الحرب العالمية الثانية، وهي حوت ستة ملايين قطعة و٩١ محرّكاً مما جعلها أكثر الآلات المركّبة تعقيداً في العالم. من الناحية النظرية، كان على هذا المجمّع الآلي أن يعمل كلياً على أكمل وجه لكي تنجح مهمتنا.

في الرابعة والربع صباحاً أتى ديكي سلايتون، مدير عمليات طاقم الرحلة، لإيقاظنا أنا ونيل أرمسترونغ ومايك كولنز. ولم يكن بوسعنا في مقامنا الخالي من النوافذ تمييز الليل من النهار أو معرفة ما إذا كان الطقس مناسباً للانطلاق. لكن ديكي كان يحمل غلافاً مليئاً بتقارير الاحوال الجوية، وقال: "انه صباح جميل. لقد تمّت الموافقة على اطلاقكم."

تناول ديكي ورواد الفضاء بيل أندرز طعام الفطور معنا، وكانا ودودين ومهذارين ولكن باردين قليلا. فنحن الثلاثة متوجهون الى القمر، أما هما فسيظلان على الارض.

رتّب التقني جو شميت معداتنا في غرفة التجهيز الساطعة الانارة، فتدلّت بذلات الفضاء من الرفوف كأنها رجال ثلج بلا رؤوس، وتكدست القفازات والجزمات بترتيب هنا وهناك. فبدا المكان كأنه مختبر لتشريح الرجال الآليين.

تمّ الباسنا وتجهيزنا بسرعة. وُصِلْتُ الى جهاز التهوئة النّقال، وشد جو على رأسي الخوذة البنية والبيضاء المجهّزة مسماعين ومذياعاً والشبيهة بفقاعة. وعندما ثبّتها غرق العالم الخارجي في صمت مطبق.

قبيل الفجر توقفت العربة قرب قاعدة منصّة الاطلاق الرمادية النقالة. وكانت عملية تعبئة الوقود أنجزت. ارتفع بنا المصعد سريعاً الى علو ٩٨ متراً حتى اضطررنا الى تثاؤب لفتح آذاننا. وفي أعلى البرج سلّمنا جو شميت الى غونتر ونت قائد منصة الاطلاق الذي تولى اغلاق أبواب جميع المركبات الفضائية الامريكية الآهلة منذ رحلة "ميركوري" في ١٩٦١.

حيّانا غونتر بابتسامة دافئة وسلّم نيل أرمسترونغ مفتاحاً من البلاستيك الاسفنجي طوله أكثر من متر وقد دونت عليه عبارة "مفتاح القمر." ولكن على رغم هذا الاحتفال البهيج لم نغفل لحظة عن الصاروخ الابيض الهائل الجاثم الى جانب منصتنا وهو يزفر

بخاراً في ذلك الفجر الوردي. لقد كنا واقفين قرب متفجرة تعادل قنبلة نووية صغيرة.

كان ترتيب دخولنا مركبة القيادة منظماً بحسب مقاعدنا المعينة. فقائد البعثة نيل أرمسترونغ سيجلس الى اليسار لوجود مقبض الاجهاض(٢) هناك. ومايك كولنز سيجلس الى اليمين. أمّا أنا ففي الوسط، وكنت مسؤولا عن احكام اغلاق الباب، وهذا يعني أنني آخر من يدخل المركبة.

"... اثنان، واحد، صفر!"

مشى غونتر أمام نيل ومايك الى المركبة، فوجدت نفسي وحيداً على المنصة حاملا جهاز التهوئة النقّال كمسافر يحمل حقيبته. وكانت جموع من الناس محتشدة على الطرق والشواطىء المحيطة بقاعدة كيب كينيدي. وكان نظر الجميع مسمراً على منصة الاطلاق. ومع ذلك وجدتني وحيداً أتنشق الأوكسيجين البارد داخل قوقعتي. وإذ أنعمت النظر في المجمّع المهجور لم أرَ أحداً هناك.

أجلت نظري جنوباً في الشاطىء، فرأيت منصّات الاطلاق القديمة تتضاءل حجماً وتقل تعقيداً كلما اقتربت من المنارة عند انعطاف الرأس البحري. ها هي المنصة الرقم ٣ حيث أطلقت الولايات المتحدة صاروخها الاول من كيب كانافرال، وهو صاروخ «V — 2» الذي غنمته من الحرب وتولى فريق المهندس الامريكي الالماني الاصل فون براون تجميعه بعد الحرب العالمية الثانية. وها هي جسور الرافعات "ردستون" الصدئة العائدة الى المرحلة الباكرة من "سباق الفضاء" ورحلة آلن شيبارد التاريخية غير المداريّة عام ١٩٦١. ووقع نظري على مجمّع "أطلس" حيث أقلع جون غلين في أول رحلة مدارية لمركبة فضائية أمريكية مأهولة.

تفرّست في البرج الرمادي لمنصّة الاطلاق ٣٤ حيث قتل غاس غريسوم وإد وايت وروجر شافي قبل ٣٠ شهراً في جحيم "أبولو ١". في أحد جيوب بذلتي الفضائية كان ملصق عن رحلة "أبولو ١". كذلك حملت معي ميداليتين سوفييتيتين تكرمان رائدي الفضاء فلاديمير كوماروف الذي قضى في رحلة "سويوز ١" في ٢٣ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ ويوري غاغارين أول رجل أطلق في الفضاء في ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٦١، وكان قضى في تحطم طائرة قبل سنة. لقد أردت ترك هذه التذكارات على القمر.

التفت فرأيت جو شميت على منصّة الاطلاق. انهم جاهزون لاستقبالي في مركبة القيادة.

قبل الاقلاع بستين ثانية ساد السكون غرفة الاطلاق الرقم ١. كان المهندسون والتقنيون جالسين الى نضدهم المرتبة في صفوف عندما تجاوز عقرب الساعة الثانية الخمسين من العد العكسي.

وفي المقصورة الزجاجية المخصّصة لاستقبال الزائرين الرسميين وقف فرنر فون براون يحمل منظاراً وهو يحدّق من خلال الشبابيك الطويلة المقاومة للانفجار نحو منصّة

(٢) Abort handle

الاطلاق ٣٩ - أ. وبات الدماغ الالكتروني يضبط كلياً تسلسل عملية الاطلاق، ولم يبقَ سوى ١٧ ثانية.

خفض فون براون منظاره وتبسّم وشرع يصلّي.

"عشرة، تسعة..." ترجّع الصوت الآتي من غرفة الاطلاق هادئاً في سماعتيّ. نظرت الى نيل فوجدت يده اليسرى المقفّزة على بعد سنتيمترات من مقبض الاجهاض. اذا طرأ أي خلل فقد تكون لديه ثانية لفتل المقبض الذي يحرّر مركبتنا من الصاروخ ويطلقنا الى ارتفاع آمن لفتح المظلة.

"... أربعة، ثلاثة، اثنان، واحد، صفر. كلّ المحرّكات تعمل." أضاءت الأنوار الكهرمانية لوحة المعدّات. ألقيت نظرة على نيل الى اليسار، ثم التفتّ يمنة وابتسمت لمايك. وسمعنا قعقعة تشبه صوت قطار بعيد في ليلة صيف. "إقلاع! لقد أقلعنا!" كانت الساعة التاسعة والدقيقة الثانية والثلاثين صباحاً. وبدلا من القوى الفجائية لتسارع الجاذبية(٣) التي أذكرها من رحلة "جميني ١٢" عندما أطلقني الصاروخ "تيتان" في الفضاء في "نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٦"، حصل ترجح مترجرج غير متوقّع. وبدت السماء الزرقاء من نافذة الباب كأنها تتحرك قليلا إذ تهيأ الصاروخ الضخم لمغادرة البرج. ثم شعرنا بمزيد من الارتجاج المتمغط. وكنا جميعاً نعلم أنه اذا انقلب الصاروخ جانبياً في برج الاطلاق فقد يصبح جهاز نجاتنا غير ذي نفع. وعلت القرقعة، وبعد اثنتي عشرة ثانية سمعنا الكلمات السارة: "أخلي البرج."

كانت محركات «F — 1» الخمسة تعمل بدفع كامل ملتهمة أطناناً من الوقود في الثانية الواحدة. وأعلن الرائد بروس مكاندليس ضابط الاتصال بمركبتنا في هيوستن، أن الأمور باتت في عهدة مركز التوجيه في غرفة الاطلاق في القاعدة. وبعد دقيقة قاربنا نقطة الضغط الديناميكي القصوى (٤) ففاصت ذراعاي وساقاي في بذلتي مع تسارع قوى الجاذبية، وشعرت بفكي الاسفل يرتخي. ونادى بروس: "أنتم جاهزون للفصل."

أشار نيل بالموافقة وهو يحدّق الى الآلات على لوحته. كانت خصلة من شعره بارزة من مقدّم خوذته فبدا كصبي يركب مزلقة. ثم نادى: "فصل واشعال." واشتعل الجزء الاول الضخم من الصاروخ وانفصل ساقطاً نحو المحيط الذي ينخفض عنّا ٦١ كيلومتراً.

لم تحدث محركات الجزء الثاني ضجيجاً يذكر. وفي الخارج بدا أفق المحيط الاطلسي منحنياً في شكل قوس. وبعد ست دقائق أصبح في امكاننا التمييز بين غلاف الارض الجوي الأزرق المقنطر وسماء الفضاء السوداء. وسقط الجزء الثاني وتابع المحرّك الوحيد للجزء الثالث اشتعاله مدة دقيقتين ونصف دقيقة قبل أن يتوقف. فارتفعت أطرافي داخل ثنايا بذلتي، وارتعشت عروة "فلكرو" لاصقة على ساق البذلة في انعدام الجاذبية. لقد دخلت "أبولو ١١" مدار الارض.

---

(٣) G forces

(٤) Maximum dynamic pressure

قطعنا الخيط الفاصل بين نصف الكرة المنير ونصفها المظلم لنحلق فوق ليل مدغشقر. وبعد ساعتين و٤٥ دقيقة من الاقلاع دخلنا مدارنا الثاني المنحرف قليلا عن هاواي. كان على مركبتنا تحقيق "سرعة الهروب" لمغادرة مدار الارض وبدء المسار الذي سيؤدي بها الى الدوران وبدء المسار المتباطىء بفعل الجاذبية الذي سيؤدي بها الى الدوران في شكل أنشوطة حول القمر، وهذا ما دعاه مصمّمو الرحلة "العبور الى القمر" (٥).

انطوت اعادة تشغيل محرك الجزء الثالث في الفضاء على مخاطر جمة. فحرارة الهيدروجين السائل انخفضت الى الصفر المطلق (٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر) ومع ذلك كانت حرارة المحرّك كافية لاذابة الصلب، فاذا انفجر ثقّب مركبتنا بشاظاياه.

بدأ الاشتعال في عملية "العبور الى القمر"، ومال المحيط الهادىء تحتنا. وبعد ستّ دقائق توقف الاشتعال فجأة كما بدأ. وجاءنا صوت مكاندليس في هيوستن: "يبدو أنكم قطعتم شوطاً بعيداً." إنّ "أبولو ١١" مسافرة في اتجاه القمر.

حفلة "شواء"

حان وقت الانفصال والدوران والرسو بالمركبة القمرية. ولما كان مايك سيتولى قيادة المركبة الام فانه كان مسؤولا عن هذه المناورة الدقيقة. لقد تمرّن عليها مئات المرات في نماذج تجريبية، لكنّ الأمر يختلف الآن، فنحن نخترق الفضاء بسرعة ٢٧ ألف كيلومتر في الساعة ولا نودّ الحاق أذى بأي من المركبتين خلال رسوّنا.

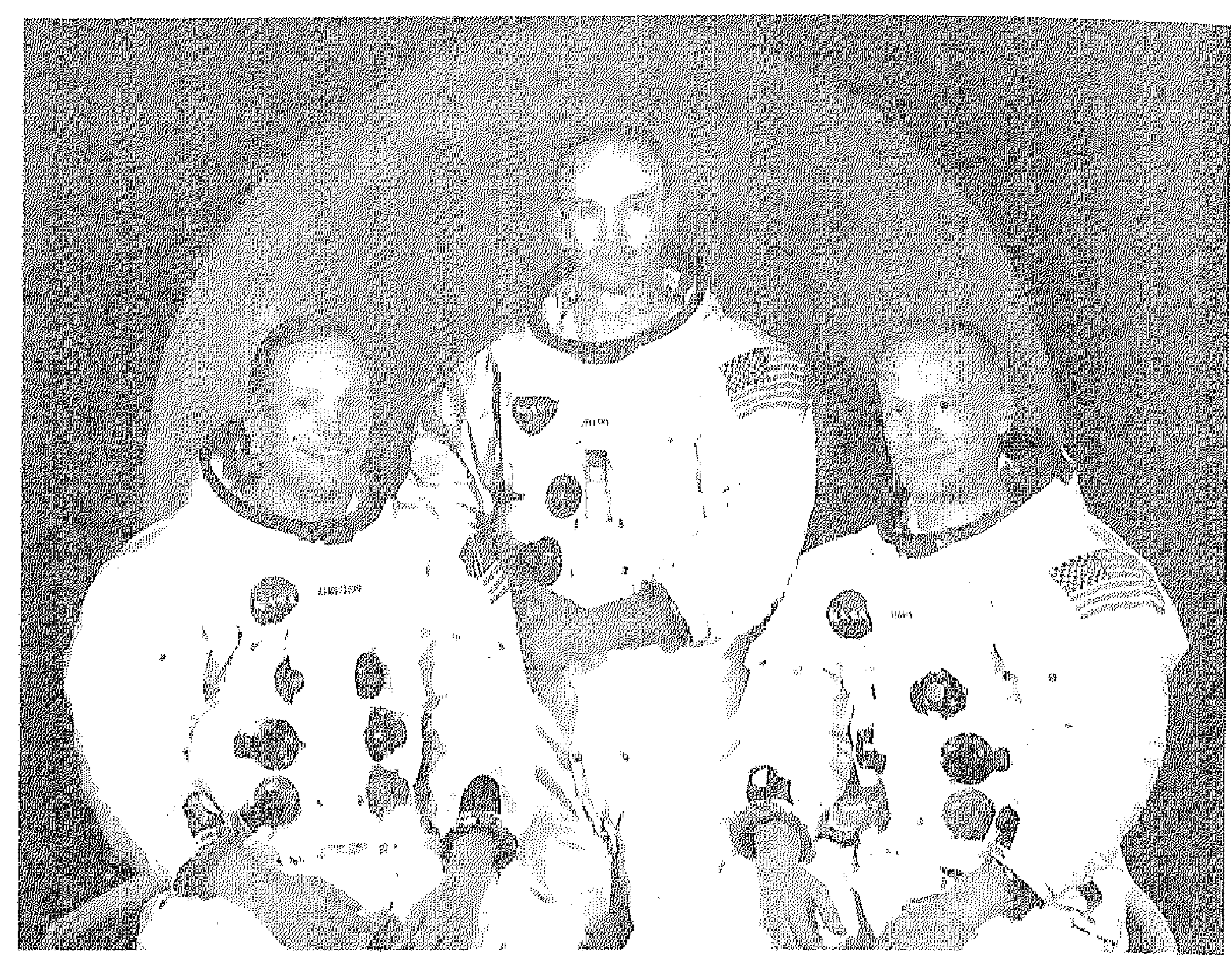
أدار مايك مفتاحاً أشعل الصواعق المتفجرة وفصل مركبتنا عن الجزء الثالث من "ساتورن" الذي يحوي المركبة القمرية. ثم أدارنا ١٨٠ درجة كاملة. وتجمّد الصاروخ الذي تعلوه المركبة القمرية في مكانه تجاه المحيط الهادىء.

ثم حرّك مايك مركبة القيادة الى أن ثبّت "أنفها" في الحلقة على سطح المركبة القمرية. وكان اقتران المركبتين شبيهاً باقتران محركات التحويل على خطوط السكك الحديد. وسمعنا قعقعة مطمئنة وطنين ارتطام اذ ثبتت المزاليج في أماكنها محدثة نفقاً محكم السدّ بين المركبتين. فاتصلتُ بهيوستن معلناً تشابك المزاليج الاثني عشر كلها. ثم أدار مايك المفاتيح لفصل مركبتنا الفضائية عن الجزء الثالث من "ساتورن" الذي سيندفع في محاذاة القمر ثم ينحرف بعيداً في مدار شمسي.

نزع مايك باب النفق وتفحص مجمّعة المسابر والمراسي التي تصل مركبة القيادة بالمركبة القمرية. وذهلنا اذ شممنا الرائحة المميّزة لاسلاك محترقة وهي رائحة ترعب روّاد الفضاء.

تجهم وجه مايك. ومع أننا لم نرَ أي دخان ولم يظهر خطر شبوب نار فقد اضطررنا الى التأكد من سلامة الاجهزة. وكانت نقطة ضعفنا جهاز الرسو، فهو شبكة معقدة من المزاليج والفكوك الكهربائية، ويجب أن يعمل مراراً ومن دون خلل في أثناء رحلتنا.

(٥) Translunar injection



طاقم "أبولو ١١": (من اليسار) نيل أرمسترونغ قائد البعثة، مايكل كولنز طيار مركبة القيادة، باز ألدرين طيار المركبة القمرية.

التقط مايك مزاليج الرسو وهزّها بقوة، فحصلنا على قراءات جيدة للفولطية على اللوحة الكهربائية، ولم يبدُ هناك أي خلل. فاستنتجنا أن حرارة باب الرسو ارتفعت اكثر مما ينبغي خلال عملية الاطلاق.

لدى وصولنا الى القمر ستدعى مركبة القيادة "كولومبيا " والمركبة القمرية "إيغل". وبدا شكل السفينة المؤتلفة غريباً قبل انفصال جزءيها: مركبة القيادة التي تشبه الرصاصة مقحمة في جبّالة الاسمنت القمرية.

نظرت من النافذة فلم أشعر بتضاؤل حجم الأرض على رغم سرعتنا الهائلة. ولكن اذ أزحت عيني عن النافذة ثمّ عدت ونظرت منها تبيّنت جزءاً أكبر من كوكب الارض. وعندما نظرت من جديد فوجئت لرؤيتي قرصاً براقاً مكتملا. كنا على بعد ٣٧ ألف كيلومتر عن كوكبنا، وسرعتنا تنخفض ببطء متأثرة بجاذبية الارض.

سمح لنا طيراننا المستقر برؤية منظر رائع للأرض، لكن ذلك عنى أن جهة واحدة من المركبة تتعرض لأشعة الشمس باستمرار فيما الجهة الاخرى غارقة في الظلام. ولم يسعنا الاستمرار على هذا المنوال وقتاً طويلا، فحرارة الشمس في الفضاء تشوي المعدات الدقيقة وتفجّر خزّانات الوقود الدافع في الجهة الساخنة، أما في الجهة

الظليلة فيتجمّد ناقل الحركة بفعل البرد القارس. لذلك بدأنا عملية "الشواء"، أي الدوران البطيء حول محور المركبة الطويل من أجل توزيع حرارة الشمس بالتساوي. أشعل مايك أجهزة الدفع وأمال المركبة جانبياً. لم تكن "أبولو ١١" منطلقة نحو القمر مثل رصاصة، بل كانت حركتها أشبه ببلبل يغزل.

و"الشواء" يعني أن الأرض تختفي كل ٢٠ دقيقة لتعود فتظهر متنقلة من اليسار الى اليمين ومن نافذة الى أخرى، يتبعها قرص الشمس المتلهب. وأمكننا رؤية هلال القمر عبر اثنتين من النوافذ، لكن قوائم المركبة القمرية ونتوءاتها اعترضت منظره.

كنّا نتسلّق خارجين من البئر العميقة لجاذبية الارض. وبعد ١٨ ساعة نكون قطعنا نصف المسافة الى القمر، ولكن بسرعة تدنّت الى جزء يسير من سرعة الهروب التي انطلقنا بها وهي ٤٠ ألف كيلومتر في الساعة.

حلم طيار

بعد سبع ساعات في الفضاء خلعنا بذلاتنا الثقيلة، فلن نحتاج اليها في الايام الاربعة الآتية أي حتى وصولنا الى القمر. وشعرنا بالراحة في بذلاتنا الرياضية الخفيفة، وبدت الحجرة فجأة أكثر رحابة. لقد كنا شديدي الحذر في تحريك رؤوسنا خلال الساعات القليلة الاولى من الرحلة، ونجحنا في اتقاء غثيان الفضاء. وشعرت بالجوع والتوق الى أول وجبة من القريدس (الجمبري) المجلّد وسلطة الدجاج ومرقة التفاح الحلوة المذاق.

بعد ذلك طلبت منا محطة الاتصال بعمق الفضاء في غولدستون بكاليفورنيا الجنوبية(٦) فحص جهازنا التلفزيوني. فتلا نيل تقرير الطقس في مكسيكو وأمريكا الوسطى فيما التقطت صوراً موفقة لمايك وهو يطفو من نافذة الى أخرى، ثم أمسك مايك بآلة التصوير بينما جلت بمشاهدي التلفزيون في أرجاء مركبتنا.

بعد انتهاء العرض التلفزيوني المرتجل شعرت بالارهاق. فقد كان يومنا حافلا وبتنا في حاجة ماسة الى النوم. وعندما تقوقعت في كيس النوم فكّرت في مدى قابلية الانسان للتكيّف. فها نحن، متنشقي الهواء الثلاثة، نمضي ليلتنا داخل فقّاعة صغيرة من الاوكسيجين. وسفينتنا الفضائية أشبه بكوكب مصغر من صنع الانسان، نعيش داخلها في راحة تامة مع أن بضعة سنتيمترات فقط من البلاستيك والمعدن تفصلنا عن الفراغ الخارجي.

لكنني شعرت بالأمان. كانت أجهزة التهوئة تئز أزيزاً خافتاً، وآلات الدفع تصدر ضجيجاً مخنوقاً بين الحين والآخر. خفضنا صوت الجهاز اللاسلكي، فهيوستن لن تتصل بنا الا في الحالات الطارئة. وسترنا النوافذ فأظلمت الحجرة. وتمددت طافياً في رفاهية انعدام الوزن. لقد حان وقت الراحة والتأمل.

عندما التحقت عام ١٩٤٧ بالمدرسة الحربية في وست بوينت كانت رحلات الفضاء ضرباً من الخيال بالنسبة الى صانعي السياسة الامريكية. فالحرب الباردة بدأت، ولدينا

(٦) كانت هناك محطتان أخريان، واحدة قرب مدريد في اسبانيا وأخرى قرب كانبيرا في أوستراليا.

أمور أكثر جديّة تشغلنا. وحتى في سنتي الاولى بدا لي بديهياً أنني سأحارب الاعداء يوماً، فقررت أن أشترك في الحرب – اذا حصلت – كطيّار.

وعنفت المنافسة في المدرسة الحربية، فعملت بكد وتخرّجت في يونيو (حزيران) ١٩٥١ وحللت ثالثاً بين ٤٧٥ طالباً. وبعد ١٨ شهراً من التمرين القاسي أصبحت مؤهلا لقيادة طائرة "إف – ٨٦ سابر". وذهبت الى كوريا في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٢.

ان بعضاً من أفضل روّاد الفضاء بدأوا طيارين في كوريا: غاس غريسوم ووالي شيرا وجيم ماكديفيت وزميلي في الرحلة نيل أرمسترونغ. فالطيران الحربي يتطلب مهارات لا حاجة اليها في الطيران السلمي. وبعد مرور سنوات كنا، نحن الذين خدموا في كوريا، متحضرين لمخاطر الطيران في الفضاء لأننا ألفنا الخوف وتقبلناه.

بعد عودتي من كوريا قضيت فرصتي في منزل والديّ في مونتكلير بولاية نيوجرزي. وأول ما فعلته هناك البحث عن فتاة سمراء طويلة ورشيقة اسمها جون آرشر تحمل درجة ماجستير من جامعة كولومبيا وبدأت امتهان التمثيل في نيويورك. وبعد فترة من التعارف تطوّرت علاقتنا الى جدية وتزوجنا في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٤. رزقنا ولدنا البكر مايك في سبتمبر (ايلول) ١٩٥٥، وفي الخريف التالي أُرسلنا الى بتسبورغ في المانيا الغربية حيث تسلّمت مهمات في قوة نووية ضاربة. كان التدريب شاقاً والطقس في المانيا غير مناسب للطيران. ولكن سنحت لي فرصة العمل في فريق واحد، مع ادوارد وايت وهو رفيق عرفته في وست بوينت، فأصبحنا صديقين حميمين.

عندما بلغتني أخبار القمر الاصطناعي السوفييتي "سبوتنك" في ٤ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٧، لم أعرها اهتماماً. فقد كنت منهمكاً مع سرب الطائرات الذي أنتمي اليه في بتبورغ بتمرين طويل عن انذار بغارة جوية. وإذا ما أخذنا في الاعتبار أن رد فعل امريكا على تحدي "سبوتنك" كان في نهاية المطاف مشروع "أبولو"، لوجدنا في ذلك سخرية القدر.

ذات أصيل، وبعد تنفيذي ووايت معركة جوية وهمية فوق بحر الشمال، وقفنا معاً على المدرج. وأخبرني ادوارد انه ينوي الحصول على ماجستير في هندسة الطيران آملا أن يلتحق بمدرسة الطيران الاختباري في قاعدة ادواردز لسلاح الطيران في كاليفورنيا الجنوبية. وعندما وسّع سلاح الجو مشاريع الطائرات والصواريخ ذات الارتفاع العالي لتصبح مشاريع فعلية، كان ادوارد مرشحاً مناسباً لملء مقعد في قمرة القيادة.

مع حلول يناير (كانون الثاني) ١٩٥٩ كان لدى وزارة الدفاع الامريكية لائحة من ١١٠ مرشحين لتختار منها وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) المرشحين النهائيين. وكان المرشحون يحملون شهادات في علم الفيزياء أو الهندسة وأكملوا تدريب الطيران الاختباري العسكري و١٥٠٠ ساعة طيراناً بأقل تعديل، ولم تتجاوز اعمارهم الأربعين عاماً.

وفي ابريل (نيسان) ١٩٥٩ قُدّم رواد الفضاء المختارون الى العالم. كان جون غلين أكبرهم سناً (٣٧ عاماً) وهو من "المارينز" وغاس غريسوم وديك سلايتون وغوردون

كوبر من سلاح الطيران والي شيرا وسكوت كاربنتر وآلن شيبارد من سلاح البحرية.

علمت باختيار الرواد، في وقت واحد، من اذاعة القوات المسلحة وادوارد وايت وكتب الي ادوارد أنه ارسل طلباً لدخول مدرسة الطيران الاختباري مهيئاً نفسه للاشتراك في عملية الاختيار التالي لرواد الفضاء. فقررت السير على خطاه والحصول على ثقافة أعلى، وأسرعت في ارسال طلب دخول الى برنامج الملاحة الفضائية في معهد مساتشوستس للعلوم التطبيقية.

سباق الفضاء

بعد حصولي على ماجستير في الملاحة الفضائية في مايو (أيار) ١٩٦١، شاهدت الرئيس كينيدي على التلفاز. كان السوفييت أرسلوا أول رجل الى الفضاء هو غاغارين الذي دار حول الأرض في ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٦١. وفي ٥ مايو (أيار) كان آلن شيبارد اول امريكي يجول في الفضاء. وأطلق كينيدي تحدّياً بنبرة صوته المميزة: "أنا مؤمن بأن على هذه الأمة معاهدة نفسها على تحقيق هدف انزال رجل على سطح القمر واعادته سالماً الى الارض قبل نهاية هذا العقد."

تسلمت رسالة من وايت يقول لي فيها انه قدّم طلب ترشيح لرائد فضاء. وكانت الموجة العارمة لبرنامج الفضاء تكتسح البلاد، فأردت أن أكون جزءاً من هذا البرنامج. وإذ علمت أن الهبوط على سطح القمر يحتاج الى مهارات مختلفة عن تلك التي تلقن في مدرسة الطيران الاختباري، اخترت الحصول على دكتوراه في ميدان اللقاءات المدارية المأهولة (٧).

بعد حصولي على دكتوراه في العلوم عرض علي سلاح الطيران وظيفة في قسم انظمة الفضاء. ونقلت الى هيوستن في الوقت المناسب اذ اعلنت وكالة الفضاء أن الروّاد المرشحين لم يعودوا في حاجة الى مؤهلات الطيران الإختباري.

اختير وايت رائد فضاء في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ فزوّدني معلومات مفيدة عن المقابلة التي تجرى مع الرواد. وفي صيف ١٩٦٣ نجحت في التصفية الاولى وبتّ مؤهلا لمزيد من الاختبارات. وذات عصر في أوائل سبتمبر (ايلول) تلقيت اتصالاً من ديكي سلايتون، وكان آنذاك رئيس المكتب الموسّع لروّاد الفضاء في "ناسا". وتطرّق ديكي مباشرة الى الموضوع: "نريدك أن تكون رائد فضاء. وأتمنى حقاً أن تقبل بذلك." شعرت بدوار وأجبته من غير تفكير: "هذا من دواعي سروري."

التحقت بـ"ناسا" رسمياً في يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤ كعضو في الفريق الثالث للرواد. وكانت عشر رحلات للمركبة "جميني" قد قرّرت، كلٌّ منها يحمل رجلين. وهكذا استحوذت علينا جميعاً رغبة الفوز بمهمة في هذه الرحلات. وكان الاشتراك في رحلات "جميني" مهماً لأن هذه الخبرة تفسح المجال أمام رائد الفضاء للاشتراك في "أبولو" وغزوة القمر.

---

(٧) Manned - Orbital Rendezvous

عملت على التخطيط للمهمة وخصوصاً للالتقاء المداري. وقد سحرني البرنامج اذ كان تحقيقاً لكل نظريات الملاحة الفضائية العويصة التي تشرّبتها في معهد مساتشوستس للعلوم التطبيقية. وأحد الاهدافف الرئيسية لمشروع "جميني" كان الاثبات أن طاقماً مؤلفاً من رجلين يستطيع القيام بالرحلات الطويلة الضرورية لرحلة قمرية. كما كان "جميني" ضرورياً لاختبار تطبيق الالتقاء المداري والرسوّ.

ومن أهداف "جميني" المثيرة الاخرى "السير في الفضاء" أو ما يدعى "النشاط خارج العربة." فأحد رجال الطاقم يعوم بحرّية خارج المركبة منجزاً مهمات عدّة خارج الكبسولة، وصلته الوحيدة بـ"جميني" خرطوم لوصل الاوكسجين وحبل متين من النايلون يربطه بالمركبة. وللسير في الفضاء أهداف تفوق مجرد الاظهار للعالم أننا نستطيع القيام بحركات بهلوانية شجاعة. فقد كنا نحتاج الى تعلّم السير في الفضاء الخارجي الخاوي قبل أن يستكشف طاقم "أبولو" سطح القمر.

وبعد تجربتين ناجحتين لنموذجين غير مأهولين عن مركبة الفضاء، أعلنت "ناسا" في ابريل (نيسان) ١٩٦٤ أن "جميني ٣" ستكون أول رحلة فضائية مأهولة في البرنامج الجديد. وحدد موعدها في أوائل ربيع ١٩٦٥. ولكن في ١٨ مارس (آذار) ١٩٦٥، أي قبل خمسة ايام من اقلاع "جميني"، أعلنت موسكو اطلاق "فوسخود ٢"، وفتح رائد الفضاء ألكسي ليونوف باب المركبة وعام في خواء الفضاء، مشدوداً بحبل مدّة اثنتي عشرة دقيقة. ها هم السوفييت يغلبوننا مجددا.

أقلعت "جميني ٣" في ٣ مارس (آذار) ١٩٦٥ من دون خطّة للسير في الفضاء. وتقدّمت المهمة من دون تعثر وبرهنت بنجاح عن قدرة مركبتنا على الطيران والمناورة في مدار الارض. في يونيو (حزيران) كنت في كيب كينيدي لمشاهدة انطلاق "جميني ٤" التي شملت سيراً في الفضاء. وكان ادوارد وايت ملّاحاً في الرحلة وجيم ماكديفيت قائداً.

تمّ الانطلاق على ما يرام. وفتح ادوارد باب المركبة فوق المحيط الهندي ثم وقف في مقعده وأطلق "مسدس الدفع السريع" الذي كان يحمله بيده، فاندفع الى الخارج حتى طرف حبل النايلون الذي يربطه بالمركبة، واستطاع تحريك نفسه بواسطة المسدّس. كان نور الشمس الساطع ينعكس على مقدّم خوذته لكنه استطاع رؤية المحيط الهادىء الازرق الفسيح ينزلق تحته. ولم يفقد أبداً حس المكان والزمان كما لم يعانِ دوار الفضاء. وبعد ١٥ دقيقة أشار ماكديفيت على ادوارد بأن يلفّ خرطوم الاوكسيجين حول جسده لكي يعود الى المركبة ويتهيأ لاغلاق الباب. فقال ادوارد مذعناً: "انها أتعس لحظات حياتي."

لقد تقدّمني بدرجة واحدة ادوارد في جميع المراحل، وعندما أنجزت السير في الفضاء على متن "جميني ١٢" توقعت أن يتابع صديقي تقدّمه. لكن مأساة "ابولو ١" كانت له في المرصاد.

طرت ورائد الفضاء جيم لوفيل الى قاعدة ألينغتون لسلاح الطيران في تكساس في

وقت متقدم من مساء ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٧. وكنا لا نزال في الطائرة عندما سمعنا الخبر المشؤوم. تقدّم منا رئيس الطاقم الفني وقد شحب وجهه قائلا: "سيدي، وقع حادث رهيب في كيب كينيدي."

قتل كل من غاس غريسوم وادوارد وايت وروجر شافي على منصة الاطلاق خلال تجربة تسبق الرحلة قرابة السادسة والنصف مساء. فقد أشعلت شرارة كهربائية المواد القابلة للاحتراق في الحجرة التي يقتصر جوّها على الاوكسيجين الصافي، باعثة غازات سامّة في جو الغرفة. ورفعت الحرارة الضغط الى درجة استحال معها فتح الباب الذي انجذب الى الداخل.

"أبولو" تتعافى

جلست هناك في الظلام أتذكر عصر ذلك اليوم في بيتبورغ قبل عشر سنين عندما جلست وإد نتحدث عن حلمنا أن نصبح رائدي فضاء. كان هو واثقاً بذاته ومثالا للطيّار الحربي المتحلي بالروح الوطنية. لقد رحل الآن. كذلك غاس وروجر.

توصل التحقيق في "ناسا" الى أن السبب المرجّح للحريق هو مس كهربائي في حجرة التجهيزات. وانتشرت ألسنة اللهب سريعاً في الاوكسيجين الصافي، وهو جو داخلي طالما فضّله الخبراء لبساطته وجدارته. ونصحت هيئة المراجعة "ناسا" باستعمال مزيج من غازين اثنين كجو للحجرة في كل حالات الاطلاق المستقبلية، وبتحسين جهاز باب الحجرة.

بعدما خف أثر الصدمة والأسى نظرت في تفاصيل الحادث. لقد انشغل الجميع في توجيه اللوم الى هذا وذاك، ولم يشر أحد الى مدى حسن تصرّف الطاقم خلال اللحظات الأخيرة الرهيبة. فقد اتصل قسم اجراءات الطوارىء بهم طالباً من غاس غريسوم نزع الحزام، ومن إد وايت البقاء مكبّلا في مقعده وتشغيل جهاز الباب، ومن روجر شافي متابعة الاتصال بمركز مراقبة الاطلاق. وعلى رغم النار المستعرة فعل كل منهم تماماً ما طلب منه.

يصعب علي تخيّل الانضباط الذي تحلّى به إد لكي يبقي يديه على مقبض الباب وبعيداً عن الابازيم التي كانت تكبّله. انه يرقد الآن في وست بوينت حيث أراد دائماً أن يكون. ولا أستطيع تصور رمز أفضل للشجاعة تتمثل به أجيال المستقبل من طلاب المدرسة الحربية.

لدى استقرار الامور بعد الحادث المشؤوم حولت "ناسا" طاقتها الكاملة الى متابعة مشروع "أبولو." ومع حلول صيف ١٩٦٧ أنجز العمل على اعادة تصميم باب المركبة الفضائية وأمن لجو الحجرة مزيج جديد من غازين أكثر أماناً على الارض.

درس القيمون على مشروع "أبولو" تفاصيل بعثات متسلسلة تهدف الى انزال انسان على سطح القمر. ولم تدع الخطة مجالا لوقوع حوادث. لقد كان رهاناً تقنياً جريئاً.

ولكي تنفذ "ناسا" هذا المشروع الطموح كان عليها الاعتماد على توافر المعدات: صاروخ الدفع "ساتورن ٥" ومركبة القيادة والمركبة القمرية.

طوّر صاروخ الدفع ومركبة القيادة من سفينتي الفضاء "ميركوري" و"جميني"، أما المركبة القمرية فكانت ذات طراز جديد. وبما أنها ستعمل فقط في الخواء الفضائي حيث الوزن معدوم، وتحت تأثير جاذبية القمر التي تعادل سدس جاذبية الارض، فقد كانت تنقصها الانحناءات الانسيابية والستار الواقي من الحرارة التي تتميز بها سفن الفضاء. وأضفت النتوءات المنحرفة والانتفاخات والانابيب الظاهرة على المركبة القمرية شكلا قبيحاً بالمقارنة مع مركبات الطيران الانيقة. لكنها لم تصمم في الأصل لتبدو حسنة الشكل بل لتكون عملية وفاعلة. اما مرحلة الهبوط فيتعين التحكم بها بواسطة مخنق يدعمه دماغ الكتروني يسمح لروّاد الفضاء بالتحويم فوق سطح القمر من أجل اختيار مكان مناسب للهبوط. أما مرحلة صعود المركبة القمرية فتبدأ بالاندفاع نحو مدار قمري والتقاء مركبة القيادة. ومن المفترض أن تتم على أكمل وجه والاّ تاهت السفينة ومات الرواد.

الرفقاء الذين كانوا يتدربون على رحلات مستقبلية الى القمر أبدوا اهتماماً كبيراً برحلة "أبولو ٥" المقررة في ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ حيث ستطلق للمرة الاولى مركبة قمرية في الفضاء. وهذه رحلة غير مأهولة في مدار حول الأرض، تختبر خلالها فاعلية نظام الدفع وأجهزة الحفاظ على الحياة ومحركات الصعود والهبوط.

بعد مرور ٤٥ دقيقة على انطلاق المركبة القمرية، بدأ فريق المراقبة في هيوستن امتحان قدراتها. وأتت نتيجة الامتحان الاول لمركبة قمرية ناجحة جداً.

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨ كانت رحلة "أبولو ٨" محاولتنا الاولى لوضع أناس في مدار حول القمر، واشتركت في هذه المهمة كملاّح مساعد.

وقفت على منصة الاطلاق في الرابعة صباح ٢١ ديسمبر (كانون الاول) أضبط مفاتيح المركبة الفضائية وأساعد في التحقق من سلامة الأجهزة تمهيداً للاطلاق. وفي تمام السابعة والدقيقة الحادية والخمسين أطلق فرنك بورمن وجيم لوفيل وبيل أندرز في الفضاء. وبعد ثلاث ساعات أطلقوا صاروخهم لبدء عملية "العبور الى القمر." وللمرة الاولى في التاريخ قطع الانسان عرى الجاذبية التي تربطه الى كوكبه الأم.

بعد مرور أيام قليلة على عودة "أبولو ٨" الى الارض في ٢٧ ديسمبر (كانون الاول) أرسل ديكي سلايتون يستدعينا أنا ومايك كولنز ونيل أرمسترونغ الى مكتبه. ولم يكن ديكي يحب الاجتماعات المغلقة، لكنه هذه المرة أقفل باب المكتب. وأخبرنا أن المهمة التالية ستكون اختباراً شاملا لمركبة القيادة والمركبة القمرية معاً في مدار أرضي. ويتبع ذلك اطلاق "أبولو ١٠" في مدار قمري مدة يومين ونصف يوم وارسال المركبة القمرية الى مسافة تبعد ١٤،٥٠٠ متر فقط عن سطح القمر. واضاف ديكي أنه في حال نجاح هاتين المهمتين ستكون "أبولو ١١" أول مركبة ترسو على سطح القمر ونغدو أنا ونيل أول انسانين يحطان على القمر.

قادت زوجتي جون سيارتنا في الخامسة بعد ظهر ذلك اليوم ناقلة سلال الغسيل الى المصبغة، فغسالتنا في البيت كانت معطلة. وداخل المصبغة العابقة بالبخار جلست وزوجتي على مقعد ننتظر انتهاء عملية الغسيل. فسألتني: "كيف كان يومك؟"

فأجبتها مغمغماً: "دعانا ديكي الى مكتبه هذا الصباح. المهمة ١١ ستكون الحاسمة."

فحدقت الي جون متسائلة عمّا أعنيه. فقلت: "محاولة الهبوط أوكلت الي والى نيل."

ربّما كانت المصبغة مكاناً غريباً تخبر فيه زوجتك أنك ذاهب الى القمر. ولكن هل ثمة مكان مناسب لزفّ مثل هذا الخبر؟

"للنسر جناحان!"

مرّ يومان على اطلاق "أبولو ١١" وانكمشت الأرض حتى أصبحت كرة مضيئة في حجم طابة الفولف. وكنّا نبعد عنها أكثر من ٢٦٠ ألف كيلومتر وسرعتنا أقل من ٣٩٠٠ كيلومتر في الساعة. أمّا القمر فتفصلنا عنه ٤٧ ساعة وحوالى ١٢٠ ألف كيلومتر.

أخرجنا آلة التصوير التلفزيونية مجدداً، فنحن سندخل المركبة القمرية للمرة الاولى، ومركز المراقبة الارضي أراد معاينة الامر معنا.

طفوت صعوداً في النفق حاملا آلة التصوير التلفزيونية النقالة.

كانَ سطح طيران المركبة القمرية لا ينطوي على أي أناقة. فتحديد الوزن منع استعمال الألواح لاخفاء حزم الاسلاك والأنابيب فكانت كلها ظاهرة. وأينما نظرت وجدت مسامير مبشمة ومفاتيح قطع للدارات الكهربائية. أمّا بَدَن المركبة فكان مرشوشاً بطلاء مقاوم للنار لونه رمادي أدكن.

لقد قيل أن أوّل هبوط على القمر هو ذروة الثورة الصناعية. ولا شك في أن الصفات الصناعية للمركبة القمرية برهنت عن ذلك.

في نهاية اليوم الثالث في الفضاء رأينا منظراً أذهلنا هو واحد من أروع مشاهد الرحلة. فقد دخلت "أبولو ١١" ظلّ القمر الذي كان يبعد عنا ١١ ألف كيلومتر. ومن

موقعنا كسف القمر الشمس لكنه أضيء من الخلف بهالة متألقة من نور الشمس المنكسر. كنّا نتجه بسرعة نحو جرم سماوي ضخم متجهم. فأبلغ نيل هيوستن: "ان منظر القمر رائع حقاً. انه مشهد يستحق تكاليف الرحلة."

بعد مرور ٧٦ ساعة على الاقلاع شددنا أحزمتنا مجدداً وتهيأنا للانعطاف خلف الحافة اليسرى للقمر. عندما نعبر "أفق الراديو" (٨) خلف القمر نفقد الاتصال بهيوستن، وهي حالة تسمى "فقدان الاشارة." وتمضي ٤٨ دقيقة قبل "اكتساب الاشارة" يضغط خلالها مايك زراً يشعل محرك مركبة القيادة لادخالنا مداراً حول القمر. وعلى الاشتعال أن يكون صحيحاً تماماً والاّ عزلنا في الفضاء.

أضاءت الأرقام الخضراء للعدّ العكسي على شاشة الدماغ الالكتروني، وعندما ظهرت شارة الانطلاق ضغط كولنز الزر فأشعل محرّك مركبة القيادة وأودعنا مداراً حول القمر. بدأ الاشتعال في الوقت المحدد تماماً محدثاً دمدمة خفيفة، واستمر كذلك ست دقائق خافضاً سرعة المركبة الفضائية الى حوالى ٦٠٠٠ كيلومتر في الساعة، وهي السرعة الضرورية لكي نقع تحت تأثير جاذبية القمر. وعندما توقف المحرك ارتفعنا مجدداً فاقدي الوزن تشدنا أحزمة مقاعدنا. انفرجت أسارير مايك، فغدا أصعد مع نيل الى متن المركبة القمرية وننحدر نحو سطح القمر.

بعد عشرين دقيقة وصلنا في دورتنا الى الجهة الامامية من القمر، فاستعدنا الاتصال اللاسلكي بهيوستن. وتبينت في صوت بروس ماكاندليس نبرة التوتر الذي عانوه وهم ينتظروننا: "أبولو ١١، هنا هيوستن – هل تسمعونني جيداً؟" فلأكثر من ٤٠ دقيقة لم يعرف أحد ما إذا تمّ الاشتعال بسلام.

وأجاب مايك: "هيوستن، نسمعكم بوضوح."

فأتانا الرّد: "هلّا تلوتم علينا تقرير وضع الاشتعال؟"

رحت أتخيل صفوف الوجوه المتلهفة في غرفة المراقبة. تبسّم مايك ابتسامته الشهيرة وقال: "لقد كان... لقد كان رائعاً."

في اليوم التالي وهو الرابع لنا في الفضاء، تهيّأنا لفصل المركبة القمرية عن مركبة القيادة. كنت ونيل نشعر بالاثارة، لكننا أجبرنا أنفسنا على العمل بأسلوب منهجي للتأكد من سلامة الاجهزة بعدما بتنا على متن المركبة الفضائية. وطلب منا مايك التريث بينما راجع هو بتأن قائمة الامور التي يتوجب عليه التأكد منها. كنا جميعاً نعي هشاشة آلية الترصيف والرسو، فبعد ٢٨ ساعة من الانفصال سوف نحتاج الى نفق التوصيل من جديد. وعندما انتهى مايك من عمله الشاق كنا دخلنا يومنا الخامس ومدارنا الثالث عشر في الفضاء.

اتصلنا بهيوستن من الجهة الاكثر قرباً الى القمر لكي يتمكن مركز المراقبة الارضي من استقبال سيل المعلومات من المركبة القمرية ومركبة القيادة وتنظيمها.

أغلقت الابواب وباتت المركبة القمرية تدعى "إيغل" ومركبة القيادة "كولومبيا".

(٨) Radio Horizon

راقب نيل ارقام العد العكسي وهي تومض على شاشة الدماغ الالكتروني في المركبة القمرية تهيؤاً لفصلنا عن مركبة القيادة. تبادلنا مجموعات المعلومات مع مايك وهيوستن، وبدت الأرقام كأنها لن تنتهي. وأخيراً كافأتنا هيوستن بهذه العبارة الموجزة: "أبولو ١١، وافقنا على الانفصال."

تراجع مايك بـ"كولومبيا" فجأة محدثاً صوتاً حاداً. ورأيت وجهه من خلال نافذة التلاقي. وإذ انقلبت المركبة الفضائية على ذاتها بدا سطح القمر كأنه يدور ببطء عبر نافذتي الى أن تدلى فوق رأسي، فصاح نيل: "للنسر جناحان!" (٩).

انذارات فوق القمر

تعاونت مع نيل. وكنا نرتدي بذلتينا الضخمتين ونعتمر خوذتينا الفقاعتين ونحن مشدودان بحبال من مطاط الى السطح المرن للمركبة القمرية. وشعرت بخطورة التفاصيل مع ادارة كل مفتاح والابلاغ عما يجدّ من معلومات.

أبلغت هيوستن مايك أنه بات جاهزاً للانفصال، وعندما ابتعد بـ"كولومبيا" عنّا قال ببساطة: "حسناً أيها الشابان، الزما الحذر."

فرد نيل: "نراك لاحقاً." وكأنهما متجهان الى منزليهما بعد بضع ساعات من التدريب السهل.

قبل أن ننعطف مرة اخرى الى الجهة الخلفية للقمر أنبأنا رائد الفضاء تشارلي ديوك الذي تولى مهمة الاتصال بمركبتنا في هيوستن، بأن "إيغل" باتت جاهزة لعملية "الاقحام المداري الهبوطي" (١٠) وهي تنطوي على اشتعال محرّك الهبوط مدة ٢٩،٨ ثانية مما يخفضنا الى مدار يعلو ١٤ كيلومتراً عن سطح القمر. وإذا تم كل شيء على ما يرام فسوف توافق هيوستن على "بدء الهبوط الآلي" (١١). وبعد ١٢،٥ دقيقة إما أن نرسو أنا ونيل على القمر وإما ان نجهض المحاولة.

طارت مركبتنا القمرية خلفياً وكانت نافذتا حجرتنا متوازيتين مع سطح القمر. وأتى اشتعال عملية الاقحام المداري الهبوطي هادئاً بحيث لم أشعر بأدنى اهتزاز في جزمتي بل بارتخاء بطيء في ركبتيّ. قلب نيل صفحة من خطة الرحلة وتبسّم لي من خلال خوذته اللمّاعة.

دار القمر هادئاً خارج نافذتي. وتدريجاً بدت الحُفَر أكثر وضوحاً بينما كنا نهبط. ثم بدأ لون القمر يتحوّل من بيج الى رمادي فاتح، وعادت طقطقة اشارات هيوستن اللاسلكية تمسّ في مسماعيّ. ثم سمعنا صوت تشارلي ديوك: "إذا كنتما تسمعانني، لقد تمت الموافقة على هبوطكما الآلي." فأشار نيل بالايجاب وقد أدفأت آماله عينيه التعبتين. وتبسمتُ كطفل، فنحن سنحط على القمر.

أومضت الأرقام الخضراء معلنة بدء الهبوط الآلي. وتباطأت المركبة اذ خفف الدماغ

(٩) ايغل (Eagle) تعني النسر.

(١٠) Descent Orbit Insertion

(١١) Powered Descent Initiation

الالكتروني سرعتها باعاقة تدفق الوقود الى المحرّك. واقترب سطح القمر المنقّر من نافذتي فبدأت أشعر بوزن ذراعيّ الذي أحدثه أول تراجع مطوّل للسرعة، وأثره أشبه ما يكون بالجاذبية. وانثنت جزمتي المضغوطة وغارت أطرافي داخل بذلتي. وفي اتصال من هيوستن أعلن تشارلي ديوك الموافقة على متابعتنا مسارنا.

عبَر الأفق نافذتي ليستقر في القعر بينما اكملت المركبة القمرية دورة بطيئة حول ذاتها. وانحرف محورها تدريجاً لكي تثبت في وضع الهبوط النهائي الذي تقابل فيه أقدامنا سطح القمر. في وضعنا هذا استطعنا رؤية الارض وهي دائرة غير مكتملة من أزرق وأبيض وبني معلقة فوق أفق القمر.

ومضت المعلومات على الشاشة في المركبة، فقد عبرنا علوّ ١٠،٧٠٠ متر وبدأنا نشعر بهبوطنا السريع. وفي تلك اللحظة لمع انذار بضوء متقطع في أعلى الشاشة. فصرخت بصوت متوتر: "اثنا عشر – صفر – اثنان، اثنا عشر – صفر – اثنان." وتبادلت ونيل نظرات تساؤل قلقة. فإذ تجاوزنا في هبوطنا ارتفاع ١٠ آلاف كيلومتر أشار الدماغ الالكتروني الى مواجهته صعوبة في معالجة شلّال المعلومات المتدفق من رادار الرسوّ. ثم توقفت شاشته عن عرض المعلومات، ولم يبقَ لنا سوى انتظار مركز المراقبة الارضي ليحلّ لنا رموز هذا الانذار.

والانذار "١٢٠٢" يعني "اغراقاً تنفيذياً" أي أن الدماغ الالكتروني في المركبة القمرية مثقل بالمعطيات. ولم نكن مضطرين بعد الى اجهاض عملية الرسو، فمركز المراقبة الارضي استنتج أن آلات المركبة ما زالت على الأرجح في حال جيدة لأن الدماغ الالكتروني في "إيغل" عاود دورته. لكن المراقبين لم يستطيعوا التأكد من عدم وجود خلل آخر.

اتصل نيل بهيوستن معبّراً عن قلقنا المشترك: "زوّدونا تفسيركم للانذار ١٢٠٢."

ونظرنا معاً الى زر الاجهاض الأحمر الكبير على اللوحة. إن الضغط عليه يدفع على الفور الجزء الاعلى المنتفخ من المركبة القمرية نحو "كولومبيا" منهياً أول محاولة بشرية للهبوط على القمر.

أجاب تشارلي -والتوتر باد في صوته: "حسناً، المجازفة مقبولة."

شعرت بهول الهاوية التي تفصل غرفة المراقبة الساطعة الانارة في هيوستن عن حجرتنا المعتمة في المركبة القمرية. وحيّاني نيل من وراء خوذته، فرأيت عينيه الكئيبتين في وهج لوحة المفاتيح. كان علينا ببساطة ان نثق بهيوستن. وعندما أضاء انذار ثان على شاشة المعلومات لجمت نفسي عن تنبيه نيل. فبعد سنوات من عملي كطيار مقاتل ورائد فضاء شعرت للمرة الاولى بالذعر الحقيقي.

ومرة أخرى صرفت غرفة المراقبة النظر عن الانذار باعتباره غير خطير، ولكن لم يتيسر الوقت لافهامنا السبب. انخفضنا الى ما دون ٦٤٠٠ متر، وكنا نهبط بسرعة ٣٧ متراً في الثانية. وكان علينا في هذه المرحلة التأكد من أننا نتوجه الى نقطة آمنة، لكن كل ما رأيناه كان فوهات براكين رمادية وحقولا تغطيها صخور ضخمة. وأومضت

الانذارات مجدداً ماحية المعلومات عن الشاشة. فاتصل نيل بهيوستن: "اثنا عشر - صفر - واحد، اثنا عشر - صفر - واحد." فأعلمه تشارلي بتلقيه الاتصال.

لحست شفتي الجافتين، فنحن في حاجة ماسة الى الانضباط، لكنَّ التوتر يبِّسني داخل بذلتي. لم يبق لنا سوى الوثوق بغرفة المراقبة.

وهنا اتصل شارلي قائلا: "تمسكا جيداً. لقد تمت الموافقة على رسوّكما."

لقد حطّ النسر

كنا نعلو ٤٩٠ متراً عن سطح القمر عندما أبلغنا تشارلي الموافقة النهائية. ومن ارتفاع ٣٣٠ متراً بدأت تزويد نيل وغرفة المراقبة معاً سلسلة متواصلة من المعلومات ووصفاً مفصلا لهبوطنا النهائي. واتفقت مع نيل على ان رادار الرسوّ يزودنا معلومات جيدة، فضغط هو زر الرسوّ في لوحة المفاتيح.

لم يتمكن أي منا من دراسة منطقة الرسوّ بينما كنا نقترب منها بسبب الانذارات المسعورة التي أذعرتنا. ولو أن هذا حصل خلال رسوّ وهميّ في كيب كينيدي لكنّا أجهضنا العملية على الأرجح.

أخيراً أبعد نيل نظره عن شاشة الدماغ الالكتروني وتطلّع من نافذته المثلثة. لقد كان بلا ريب غير راض عن السطح تحتنا، اذ اننا انخفضنا الى مستوى لم يسمح لنا بتحديد فوهات البراكين التي درسناها في الصور الفوتوغرافية التي التقطتها "أبولو ١٠". كان علينا ايجاد منبسط غير وعر للهبوط، ولكن بدا أن الدماغ الالكتروني يتوجه بنا الى حقل من صخور يحوط فوهة بركان قطرها ٣٥ متراً.

على ارتفاع ١٨٠ متراً قبض نيل على جهاز القيادة اليدوي وأبطأ هبوطنا من خمسة أمتار وثمانين سنتيمتراً في الثانية الى مترين و٧٥ سنتيمتراً، ومن ثمَّ، على ارتفاع ٩١ متراً، الى متر واحد في الثانية. وحوّمت المركبة القمرية فوق قمع لهبها وهي تهبط ببطء شديد. لم يعجب نيل ما رآه تحته، فمسّد الضابط اليدوي كسائق سيارة محترس يضبط سرعتها الآلية. وانطلقنا أفقياً عبر حقل من الصخور المتكسّرة.

أومض الضوء الكهرماني على لوحة المفاتيح الرئيسية أمامي منذراً بهبوط مستوى الوقود. لقد استهلكنا كل الوقود تقريباً وبتنا على ارتفاع يقل عن ٣٠ متراً، ومع ذلك خفف نيل سرعة الهبوط.

وفي الوقت ذاته، أنذرنا صوت تشارلي: "ستون ثانية."

كانت خزانات وقود محرّك الصعود ملأى لكنها مفصولة تماماً عن محرّك الهبوط الضخم. وما لدينا من الوقود يكفي على أبعد تعديل لستين ثانية من الهبوط. لكن نيل تباطأ مستكشفاً السطح تحته.

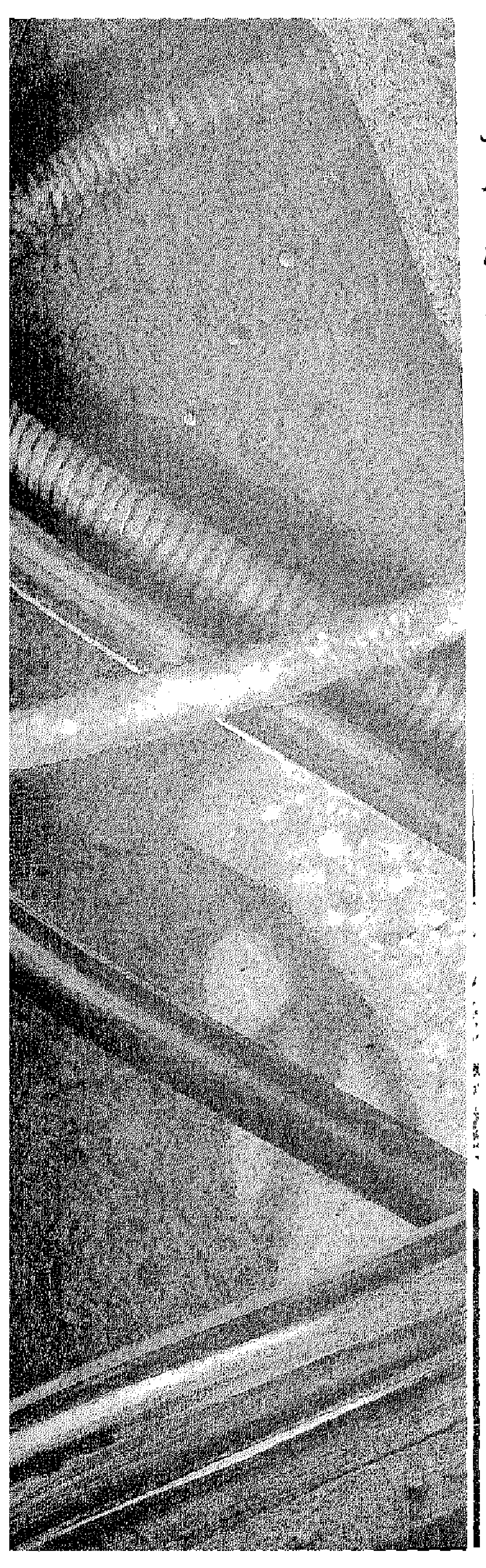
صرخت: "... انزل ٧٥ سنتيمتراً. الى الامام. الى الامام."

تحركت المركبة القمرية الى الامام مثل طائرة مروحية تستعد للهبوط. كنا في ما يدعى "منطقة الموت" ولا نستطيع البقاء هناك وقتاً أطول. فإن نفد الوقود منا على

هذا العلو سقطنا وتحطمنا قبل ان يتاح لمحرّك الصعود رفعنا الى مدار حول القمر.
"جيد. اثنا عشر متراً. التقطنا غباراً. تسعة أمتار...".
تسعة أمتار تحت القوائم الطويلة الناحلة للمركبة القمرية. تطاير الغبار الذي لم يعكّر سكونه طوال مليار سنة بفعل محرّكنا.
وأعلن تشارلي متهيباً الوضع: "ثلاثون ثانية." لكنّ نيل استمر في التباطؤ.
اشتعل محرّك الهبوط بصمت ملتهماً آخر ما بقي من مخزون الوقود. فحوّلت نظري الى زر الاجهاض. ثمَّ ناديت وقد رأيت ظل مسبار قاعدة السلّم يلامس السطح: "انحراف الى اليمين." واهتز الافق قليلا ثم ثبت. وتوقف وميض مقياس الارتفاع. لقد هبطنا على سطح القمر.
لقد طار بنا نيل أقصى مدة ممكنة، وما تبقى من الوقود لم يكن يكفي لأكثر من عشرين ثانية. تهيأت لأجراء عملية اجهاض اذا ما ألحق أذى بالمركبة أو في حال لم يكن السطح قوياً كفاية لحمل ثقلها. وقلت لنيل: "لا بأس. توقّف المحرك." وهما عبارتان تلوتهما من اللائحة.
حرّر نيل جهاز القيادة اليدوي من قبضته وكلانا ما نزال نرتجف بتأثير توتر اللحظات الأخيرة التي سبقت ملامستنا سطح القمر.
تابعت التحقق من بقية فقرات اللائحة وكأنني أُنشدها، فقاطعني تشارلي من هيوستن: "إيغل. أشعرانا بهبوطكما."
نظرت الى صخور القمر وظلاله الغريبة فوجدتها مقفرة كما تصورتها دائماً. وانحنى الافق على بعد كيلومتر ونصف كيلومتر غائراً في سواد الظلمة.
اتصل نيل بهيوستن وأشعر المراقبين برسوّ مركبتنا: "هنا قاعدة الهدوء. لقد حطّ النسر."
فقال تشارلي: "حوّل، قاعدة الهدوء، أشعرنا بهبوطكما. هنا مجموعة من الفتيان يحبسون أنفاسهم. لقد استرددنا أنفاسنا الآن. شكراً جزيلا."
مددت يدي وصافحت نيل بحرارة. كان ذلك يوم السبت ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٦٩. لقد حط أمريكيان على سطح القمر قبل انتهاء العقد بخمسة أشهر و١١ يوماً. لكنّ الجزء الثاني من تحدي كينيدي، أي عودتنا سالمين الى الارض، ما زال نصب أعيننا.

قفر رائع

كان مفترضاً أن ننام أربع ساعات قبل استكشاف سطح القمر. ولكن يبدو أن من وافق على هذه الخطة لم يكن ملمّاً بعلم النفس. لقد هبطنا من فورنا على القمر، وكميات كبيرة من هرمون الادرينالين المهيّج تسري في جسدينا. ومحاولتنا النوم قبل بدء نشاطنا خارج المركبة كمن يطلب من طفل صباح العيد ان ينتظر حتى الظهر لكي يفتح هداياه.
وبدأت نشاطي بالصلاة. فطلبت من كل من يستمع الي، لا فرق من يكون أو في أي



مكان هو، أن يتوقف لحظة ويتأمل احداث الساعات القليلة الماضية ويرفع الشكر الى الله بطريقته الخاصة.

وشكرت ربي من اجل الذكاء والشجاعة اللذين أتيا بطيارين شابين الى "بحر الهدوء."

استغرق ارتداؤنا بذلتي الفضاء المخصصتين للسير على القمر ثلاث ساعات. فحقيبتا الظهر اللتان تبدوان بسيطتين تحويان ما يكفي من الاوكسيجين والماء المبرّد والطاقة الكهربائية ومعدات الاتصال اللاسلكي لابقائنا أحياء وعلى اتصال بهيوستن لمدة لا تتعدى اربع ساعات.


فتح نيل الباب ونزل درجات السلّم بتأن، ثمّ تطاول وسحب شريطاً لكي يجول بآلة التصوير التلفزيوني. فاتصل ماكاندليس قائلا: "التقطنا صورة على التلفزيون."

وقال نيل: "أنا عند قاعدة السلم." ومن نافذتي راقبته يخطو بحذائه القمري من القاعدة المعدنية المستديرة للسلم الى السطح الرمادي المغبّر.

"انها خطوة صغيرة لرجُل، وقفزة عملاقة للبشرية."

هبطت السلم لألتحق بنيل بعد ٢٠ دقيقة. وقد جعلت جاذبية القمر الخفيفة المهمة ممتعة ودقيقة في آن. قفزت الى جنب نيل فسألني: "أليس هذا رائعاً؟ انه لمنظر مهيب."

استدرت ببطء على نفسي فرأيت الافق ينحدر بحدة في كل الاتجاهات. كنا ننظر في اتجاه الشمس الغاربة، لذلك لم نرَ سوى فراغ أسود خلف حافة القمر.





"خطوة صغيرة لرَجُل،
قفزة عملاقة للبشرية."

وعلى مدّ النظر رأيت الحصى وشظايا الصخور وفوّهات صغيرة تغطي السطح المنبسط. أخذت نفساً عميقاً اذ شعرت بقشعريرة في رقبتي ووجهي. وقلت: "يا للجمال، يا لهذا القفر الرائع!"

وظهر نيل بجانبي كأنه شبح أبيض وربت كتفي بيده المقفزة. وتبسّمت ابتسامة عريضة مع أن مقدّم الخوذة الذهبي حجب وجهي، فها نحن واقفان معاً على القمر.

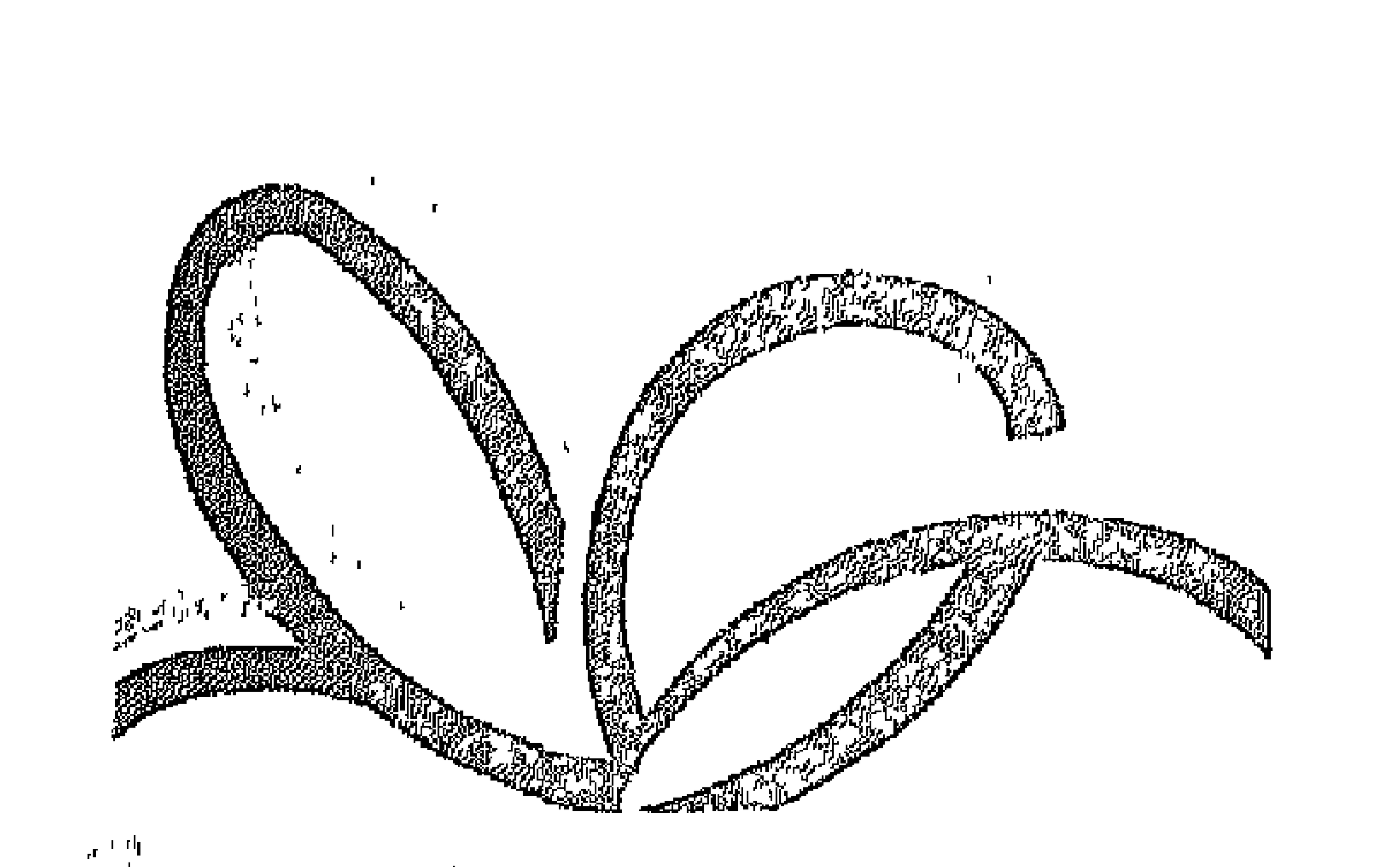
أحد الاختبارات كان الهرولة بعيداً عن المركبة لمعرفة مدى قابلية رائد الفضاء للتحرك على سطح القمر. وبعد دورات قليلة من العدو الوئيد بت قادراً على التحرك بسهولة. وشعرت بأن الوقت يمرّ بسرعة عندما أشار الي نيل لكي نكشف النقاب عن اللوحة التذكارية. ووقفنا قرب "إيغل" وقرأ نيل الكلمات: "هنا وطأ أول رجلين من كوكب الأرض سطح القمر في يوليو (تموز) ١٩٦٩. أتينا بسلام من أجل البشرية جمعاء."

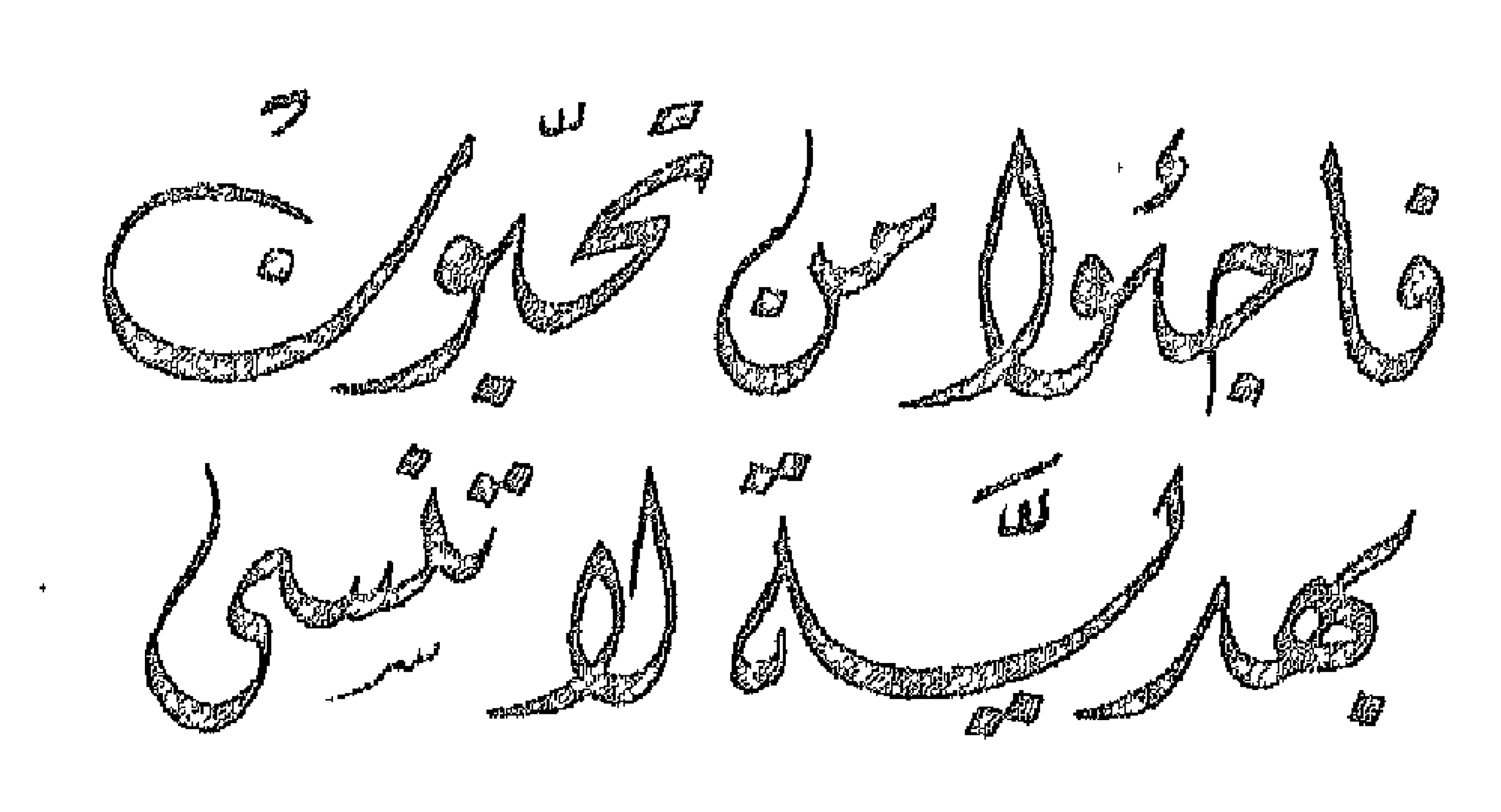
جرف نيل عينات من تربة القمر ووضعها في علبة مخصصة بها، وركّبت أنا ستار الالمنيوم الرقيق للاقطة الريح الشمسية (١٢). فالقمر يمتصّ الريح المتواصلة لجزيئات الغاز المشحون المتدفقة من الشمس، وسيعمل علماء الارض على فحص اللاقطة لمعرفة المزيد عن هذه الظاهرة، ومن خلالها عن تاريخ النظام الشمسي. وشعرت بالرهبة إذ أخرجنا العلَم من حجيرة المعدّات في قاعدة المركبة، فمنذ طفولتي سحرتني مشاهد المستكشفين وهم يغرسون الاعلام على شواطىء غريبة. وها أنا الآن على وشك غرس علم على أغرب شاطىء تطأه قدم انسان. ومن بين كل المهمات الموكلة اليّ أردت ألّا يتعثّر رفع العلم.

على رغم أن سطح القمر تغطيه طبقة من التربة المسحوقة، فتحتها مباشرة تصبح التربة أكثر صلابة. وتناوبنا على غرز سارية العلم لكننا لم ننجح الا في تعميقها بضعة سنتيمترات في التربة، فلم تبدُ ثابتة. وعندما توصلنا الى تقويم العلم أدّيت له التحية العسكرية.

لم أشعر بمرور الوقت. وإذا بروس ينبئني: "لديك ثلاث دقائق للشروع في انهاء نشاطك خارج المركبة." كنت أتسلّق السلم عندما نبهني نيل الى التذكارات. فأخرجت من جيب صغير في كتف بذلتي رزمة صغيرة تحوي الميداليتين السوفييتيتين وملصق بعثة "أبولو ١" وغصن زيتون ذهبياً صغيراً هو واحد من أربعة، وكن أعطينا زوجاتنا ثلاثة

(١٢) Solar - wind collector





تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٩/٦/١ و١٩٩٠/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٥ دولاراً امريكية باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.

اسم المهدى اليه ________________

____

عنوانه ________________

____

المناسبة وتاريخها ________________

توقيع المهدي ________________

لا تنسوا ان ترسلوا
مع القسيمة والشيك
بطاقة شخصية
موجهة الى المهدى اليه
فنضعها بدورنا ضمن الرسالة
التي نوجهها اليه.

منها رمزاً لاشراكهن معنا في المهمة. وحوت الرزمة أيضاً قرصاً رقيقاً من السيليكون(١٢) عُلِّم "من كوكب الارض" وفيه رسائل ودية من قادة ٧٣ أمة.
رميت الرزمة على التراب بين آثار أقدامنا المبعثرة. ومرة أخرى فكّرت في إدوارد وايت. فقبل عشر سنين فقط تكلّمنا بحماسة الشباب عن حلمنا .

ليل طويل

داخل المركبة القمرية عبأنا ٢١ كيلوغراماً من الصخور القمرية في صندوقين معدنيين. واحتاجت هيوستن الى تبادل سلسلة لا تنتهي من المعلومات الضرورية لضبط الدماغ الالكتروني الخاص بالملاحة. ثم كان علينا طرح حقيبتي الظهر والحذاءين القمريين وغيرها من النفايات لخفض الوزن من أجل الارتفاع بالمركبة.
وأخيراً حان وقت الطعام والراحة. كان طعم النقانق أشبه بكرتون مالح وعصير الفواكه طبشورياً. وبدأ جوّ المركبة يبرد فتمددت على أرضيتها تحت لوحة التجهيزات واستند نيل الى غطاء المحرّك حاشراً جزمته في علاقة تحت شاشة الدماغ الالكتروني.
كسا الغبار القمري أرضية المركبة والجزء السفلي من بذلتينا. وكان مثل غبار الفحم ورائحته تشبه رائحة البارود المنبعثة من الالعاب النارية. ولم نستطع تفادي تنشق هذا الغبار. فاذا كان فيه أي جراثيم غريبة فأنا ونيل أول من يختبر أثرها.
بعد بضع ساعات تهيأنا للاقلاع. وكان الاتصال اللاسلكي المتواصل الثلاثي الوجهات يصلنا بـ"كولومبيا" وغرفة المراقبة الارضية. وفيما أنا أراجع اللائحة للتأكد من سلامة الاجهزة مددت يدي الى الجهة اليمنى من اللوحة لتهيئة مفتاح قطع الدائرة الكهربائية في محرّك الاقلاع. وجفّ حلقي ذعراً، فمسمار البلاستيك الصغير لم يكن هناك. وهذ التيار يرسل طاقة كهربائية الى المحرك الذي يرفعنا عن القمر. لا بد من أن حقيب ظهري صدمته بينما كنت أتهيأ للخروج من المركبة.
حدّق كل منا الى صاحبه، فمن دون الطاقة الكهربائية لا يشتعل محرك الاقلاع. كا في امكاننا فتح لوحة المفاتيح ووصل الأسلاك مستعملين عدتنا المتواضعة، لكن مرهقان ولن نعمل حسناً. وفتشنا حولنا عن شيء نولجه في مفتاح قطع الدائ الكهربائية، وبعد محاولات عدة وجدنا قلماً رأسه من لِبْد يلائم تماماً الشق الصغي فأقحمناه فيه وحركناه فأومض الضوء على اللوحة. ابتسم نيل فأجبته بابتسا مماثلة. ها نحن قد تغلبنا على أزمة أخرى.
وأخيراً وافقت هيوسن على اقلاعنا. فراقبتُ أرقام العدّ العكسي على الشا وأنشدتها: "ثمانية، سبعة، ستة، خمسة، أربعة... انطلق."
كان الاقلاع قوياً. ولم تهيئنا أيٌّ من تجارب الاقلاع الوهمية لمثل هذا الاند المفاجىء من جاذبية القمر الضعيفة. وخلال ثوان كنا ننطلق بزاوية حادة من خمس درجة مرتفعين فوق حقول فوهات البراكين.

(١٢) من الاقراص التي تلقّم بها الادمغة الالكترونية.

بعد سبع دقائق من انطلاقنا دخلنا مداراً حول القمر يبعد ١٨ ألف متر عن السطح وبتنا نطير بسرعة ١٥٠٠ متر في الثانية. وسقط الافق وتقوست "كولومبيا" عبر السماء السوداء فوقنا وخلفنا. وشرع رادار الالتقاء والدماغان الالكترونيان على متن المركبتين يفتش بعضها عن بعض، ثم تشابكت وتبادلت الاتصال بلغة رقمية صامتة. وبعد مرور أربع ساعات على اقلاعنا من "بحر الهدوء" سمعنا صرير اغلاق المزاليج. لقد نجح مايك في الالتحام بـ"إيغل".

مرت علي أربعون ساعة بلا نوم. وشعرت بثخانة في صوتي وحركتي، لكن هدوءاً داخلياً سيطر عليّ. واشتعلت احدى آلات الدفع في "إيغل" فسرت رعشة في المركبتين.

بعد سبع ساعات دخلنا مدارنا القمري الأخير في محاذاة الخط الفاصل بين الليل والنهار. وكنا ألقينا بجزء "إيغل" المخصص للاقلاع في مدار حول القمر حيث قد يبقى مئات السنين.

كان مايك جاهزاً لبدء عملية "العبور الى الارض." وتستهلك عملية الاشتعال هذه خمسة أطنان من الوقود الدافع في دقيقتين ونصف دقيقة مضيفة ٣٥٠٠ كيلومتر في الساعة الى سرعتنا مما يكفي لخرق جاذبية القمر. وأردنا لهذه العملية نجاحاً أكيداً، فراقبنا ثلاثتنا العد العكسي على شاشة الدماغ الالكتروني فيما همس مايك: "ثلاثة، اثنان، واحد..."

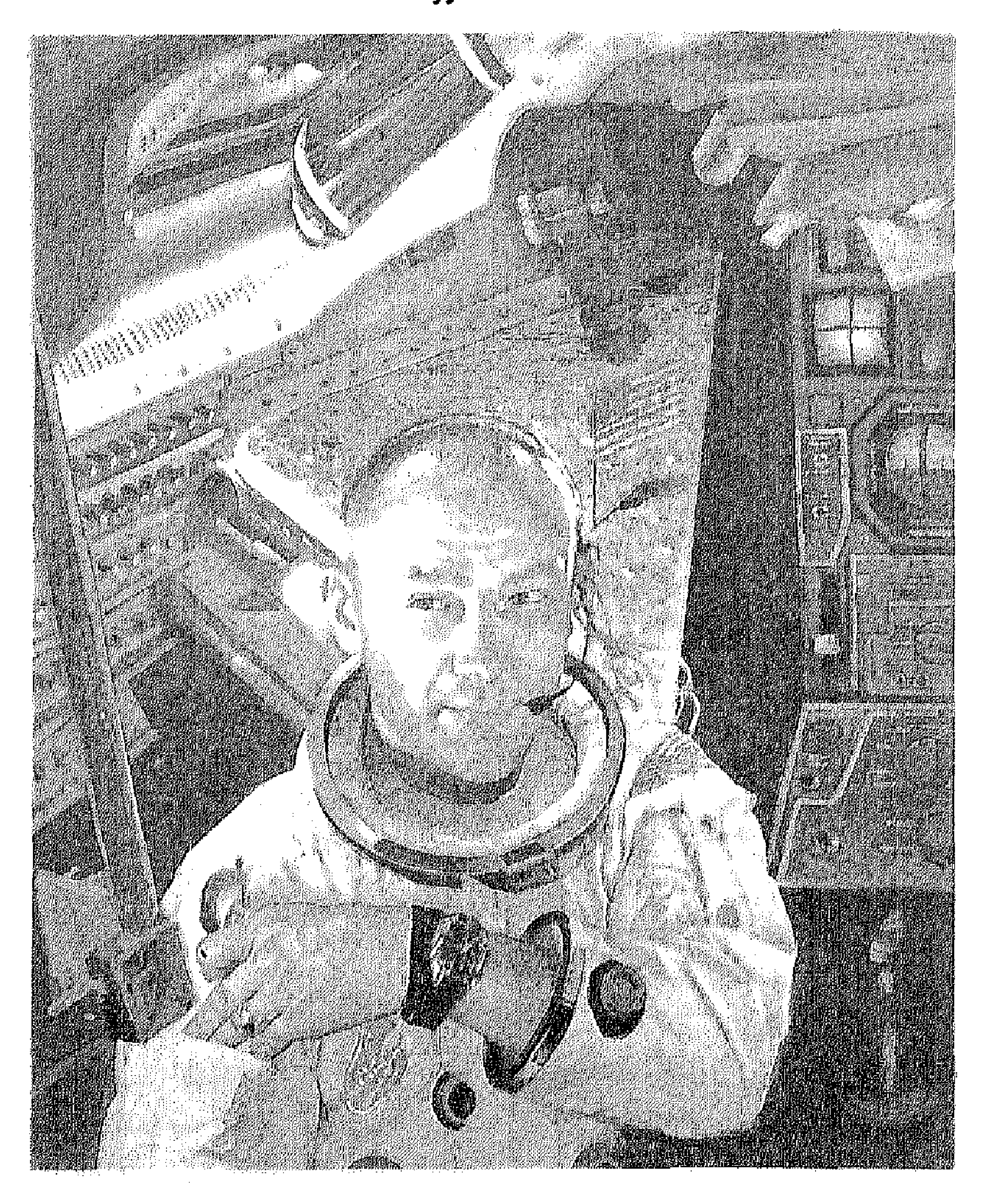
حصل الاشتعال كما خطّط له تماماً. وبعد عشر دقائق درنا حول القمر للمرة الأخيرة، واتصل بنا تشارلي من الأرض: "لقد وضعناكم في طريق العودة الى الوطن."

انحنى أفق القمر عبر نافذتي، وبدت الأرض في الكون الأسود تنتظرنا بدفئها وترحيبها.

العبور الى الارض

ها نحن نوثق أنفسنا الى المقاعد مجدداً بعد ثمانية أيام من انطلاقنا من كيب كينيدي. ولم يبق من الصاروخ والمركبات التي وزنت ٣٢٠٠ طن لدى اطلاقها الى القمر سوى مركبتنا المخروطية الصغيرة "كولومبيا". وكانت الارض في الساعات الثلاث الماضية تحوّلت من دائرة مشعّة الى كرة ضخمة زرقاء. واتجهنا نحو غلافها الجوي بسرعة ٤٠ ألف كيلومتر في الساعة تحمينا من الامام الدرع الواقية من الحرارة، لنعبر الطوق الوضّاء لغيوم الشروق ونحط في المحيط الهادىء على بعد ١٤٠٠ كيلومتر جنوب غرب هاواي.

على ارتفاع ١٢٠ ألف متر صادفنا الكتل الاولى من الغلاف الجوي، وبعد دقيقتين وجدنا أنفسنا داخل "كرة الرجعة النارية" الهائلة المتوهجة باللونين الأخضر والزهري اذ دخلنا جوّ الارض. وثقلت أطرافنا مع قوى الجاذبية فلم يكن لنا سوى الاسترخاء في مقاعدنا في انتظار أن يخفف الغلاف الجوي سرعة هبوطنا بحيث يمكن فتح المظلات.



فتحت المظلات البرتقالية والبيضاء الثلاث بحركة مفاجئة في الموعد المحدد على ارتفاع ٧٠٠٠ متر. وإذ ترجحنا تحتها راجعنا لائحة التحقق النهائية تحضّراً للهبوط في المحيط. وشممت السديم الدافىء المالح يتصاعد من المحيط الاستوائي لملاقاتنا. انها الرائحة القديمة لكوكب الارض. وما هي الاّ لحظات حتى غطسنا في الماء.

محجرنا الصحي الاول كان قطيرة من الالمنيوم على متن البارجة الامريكية "هورنيت". هناك عرفت أجمل استحمام في حياتي. ثم نظرت من نوافذ الزجاج السميك لأرى الرئيس السابق ريتشارد نيكسون واقفاً وراء مذياع بين الطوّافات والطائرات وهو يلقي كلمة ترحيب بعودتنا. وكان نيكسون معروفاً بتحفّظه وبرودته، لكنه ذلك الصباح في شمال المحيط الهادىء رقص قليلا لدى رؤيتنا. وبدأت أدرك الأهمية التاريخية لرحلتنا.

زارتنا عائلاتنا بين جلسات الاستجواب التقني الطويلة، لكن الجميع اضطروا الى

البقاء خارج المختبر ومحادثتنا هاتفياً عبر نافذة غرفة تشبه حجرة المراقبة في محطة تلفزيونية أو رواق الزيارات في أحد السجون. وكانت زوجتي جون تبتسم لي من خلال عينيها الدامعتين. وأعتقد أننا في تلك اللحظة أدركنا أن حياتنا تبدّلت الى الابد بفعل رحلتي.

أخلينا من الحجر الصحي بعد ١٤ يوماً اذ لم تظهر على أحد منا أعراض مرضية وإن زكاماً بسيطاً بسبب الغبار القمري. وفي ١٣ أغسطس (آب) أرسلتنا "ناسا" في جولة. وذلك الصباح في مدينة نيويورك ركبنا ثلاثتنا سيارة مكشوفة عابرين شارع برودواي الشهير. وضجت الارصفة بالهتاف والتصفيق، وامتلأ الجو بقصاصات الورق الملون التي نثرت ابتهاجاً بالمناسبة. ومررنا بفرق كشفية تحمل أعلاماً أمريكية.

رأيت أن أمريكا ركزت فرحها علينا، نحن الذين غرسنا علمها على القمر. وشعرت بقشعريرة فخر ببلادنا التي أرسلتنا في مهمتنا الجريئة.

باز ألدرين ومالكوم ماكونيل ■

ترجمة نهلا رزق



فضول اختباري

علقت لافتات كبيرة في كلية علم النفس كتب عليها "اختبار في علم النفس"، وأشارت أسهم تحت اللافتات الى باب يحمل اللافتة الآتية: "اختبار في علم النفس اليوم." وبعد مروري مع صديقي غير مرة أمام الباب تساءلنا عما يجري في الداخل. وأخيراً دخلنا لنجد الغرفة خالية الا من امرأة جالسة الى طاولة. فابتسمت لنا شاكرة اشتراكنا في التجربة.

كانت التجربة عن الفضول لدى الانسان.

ج.س.

نفخة سحرية

بينما كنت خارجاً من السوبرماركت حاملا أكياس مشترياتي لاسبوع كامل، لفتني طفل في عربة ينظر اليّ. وإذ دست البساط المطّاطي الذي يشغّل الباب الزجاجي الآلي، نفخت وجنتي وزفرت بقوة. وقد جعلني التعبير الذي ارتسم على وجه الطفل عندما فتح الباب ابتسم طول النهار.

ج.ت.

الأفكار شبيهة بالاولاد الى حد بعيد، فالمرء معجب بأولاده لا محالة.

أ.ب.

الأوصاف الصحيحة

تضم الدائرة في هذا العدد أوصافاً تكملها موصوفاتها لتؤلف أمثالاً شاعت عند العرب. وقد وُضع أمام كل وصف أربعة موصوفات، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار العبارة التي يعتبرها مناسبة، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة.

١. آخر الداء: الكي - الدواء - الموت - الحمى.

٢. تاج المروءة: الكَرَم - الصدق - التواضع - النصر.

٣. أول الغيث: غمام - قَطْر - سيل - خصب.

٤. ضالّة المؤمن: الكتاب - العدل - السكون - الحكمة.

٥. حيلة من لا حيلة له: الكذب - الهرب - الصبر - الذل.

٦. أخو الرضى: الجبن - السكوت - الرفض - الحب.

٧. خير الكلام: ما كثر - ما سُمع - ما نمّق - ما قل ودل.

٨. قَبْلَ العقاب: العتاب - الصواب - الثواب - الحساب.

٩. شريك العمى: الهوى - الصمم - البكم - الظلم.

١٠. سلاح الضعفاء: الخجل - الحقد - الشكاية - الغدر.

١١. مطيّة الجهل: الشيخوخة - الغنى - السلطة - الشباب.

١٢. شرُّ البليّة: ما يبكي - ما يضحك - ما يخفى - ما يسقم.

١٣. جليس المرء: أخوه - مِثْلُه - فكره - ضيفه.

١٤. زادُ العَجُول: الخوف - الطمع - الخطأ - الغضب.

١٥. تمّام الربيع: الصيف - الحر - الشتاء - الزرع.

١٦. آفة العلم: الجنون - العزلة - الجهل - النسيان.

١٧. نِعْم المؤدِّب: المعلم - الدهر - الأب - السفر.

١٨. قَيْدُ القلوب: لِيْن الكلام - الحب - الشعر - المال.

١٩. بيت الداء: القلب - الرأس - المعدة - الكبد.

٢٠. مطيّة التعب: الاجتهاد - الحسد - الرضوخ - الكسل.

٢١. شر الاصحاب: الضمير - الجهل - الاقرباء - الفقراء.

٢٢. أخو القاتل: العاذل - الجاهل - الهازل - الخاذل.

٢٣. مفتاح الفرج: الموت - الحظ - الصباح - الصبر.

٢٤. بئس الردف: لا بعد نعم - نعم بَعْد لا - الشتيمة - الحلفان.

٢٥. خيرٌ من جليس السوء: النوم - الوحدة - الاخرس - المجنون.

الأجوبة الصحيحة

١. "آخر الداء الكيّ." يُضرب لانتهاء الداء الى أقصاه. ومعناه أن المريض يعالَج بكل دواء فلا يوافقه، فاذا عولج بالكي لم يبقَ بعده دواء والا فهو الموت.

٢. "تاج المروءة التواضع." والمروءة هي النخوة وكمال الرجولية.

٣. "أول الغيث قَطْر." وقيل: "أول الشجرة النواة" و"أول الغضب جنون وآخره ندم."

٤. "الحكمة ضالة المؤمن." يعني أن المؤمن يحرص على جمع الحكم من أين يجدها يأخذها.

٥. "حيلة من لا حيلة له الصبرُ."

٦. "السكوت أخو الرضى." وقيل أيضاً: "رُب سكوت أبلغ من كلام."

٧. "خير الكلام ما قلّ ودلّ." وقيل: "خير الأمور أوساطها" و"خير المال ما نفع" و"خير الناس مَنْ فرح للناس بالخير."

٨. "العتاب قبل العقاب." أي أَصلِح الفاسد ما أمكن بالعتاب، فان تعذّر فبالعقاب. وقيل أيضاً: "العتاب خير من مكتوم الحقد."

٩. "إن الهوى شريك العمى." وقيل أيضاً: "إن الهوى الهوان."

١٠. "سلاح الضعفاء الشكاية." وقيل: "سَلْح الحبارى سلاحه" أي ان هذا الطائر يتقي من يسطو عليه بسلحه وذلك أنه يبني عشه في أعالي الشجر فاذا تسلق أحد ألقى ذَرْقه على وجهه فاشتغل المعتدي بنفسه وكف عنه.

١١. "الشباب مطيّة الجهل."

١٢. "شرُّ البليَّة ما يضحك." وقيل: "شرّ من الموت ما يُتمنى معه الموت."

١٣. "جليس المرء مثله." وقيل: "وخير جليس في الأنام كتاب."

١٤. "الخطأ زادُ العجول."

١٥. "تمّام الربيع الصيفَ." أي ان آثار الربيع تظهر في الصيف الذي يكمله.

١٦. "آفة العلم النسيانُ." وقيل أيضاً: "آفة الجود الاسرافُ" و"آفة الحديث الكذبُ."

١٧. "نِعْمَ المؤدبُ الدهرُ."

١٨. "ليّن الكلام قَيْدُ القلوب." وقيل أيضاً: "كلام الليل يمحوه النهار" و"رُبّ كلمة سلبت نعمة" يُضرب في اغتنام الصمت.

١٩. "المعدة بيت الداء."

٢٠. "الحسد مطيّة التعب."

٢١. "الجهل شر الاصحاب." وقيل: "الجهل مطيّةٌ مَن ركبها ذلّ ومن صحبها ضلّ."

٢٢. "الخاذل أخو القاتل." والخاذل هو من ترك نصرة صاحبه.

٢٣. "الصبر مفتاح الفرج." وقيل أيضاً: "حيلة من لا حيلة له الصبرُ."

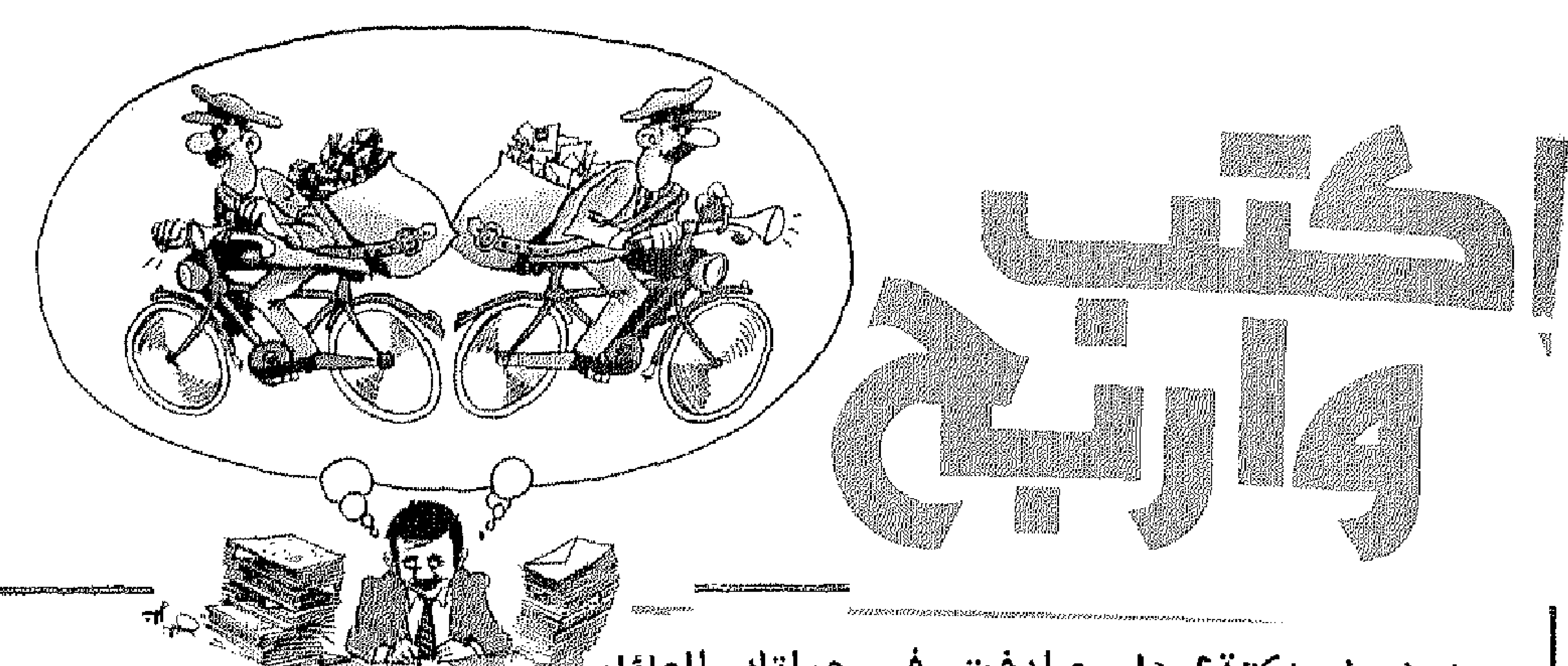
٢٤. "بئس الردفُ لا بَعْدَ نعم." قال الشاعر:

حسنٌ قول نعم من بعد لا
وقبيح قول لا بعد نعم

٢٥. "الوحدة خيرٌ من جليس السوء."

المستوى

٢١ - ٢٥ : ممتاز
١٦ - ٢٠ : جيد جداً
١١ - ١٥ : مقبول



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

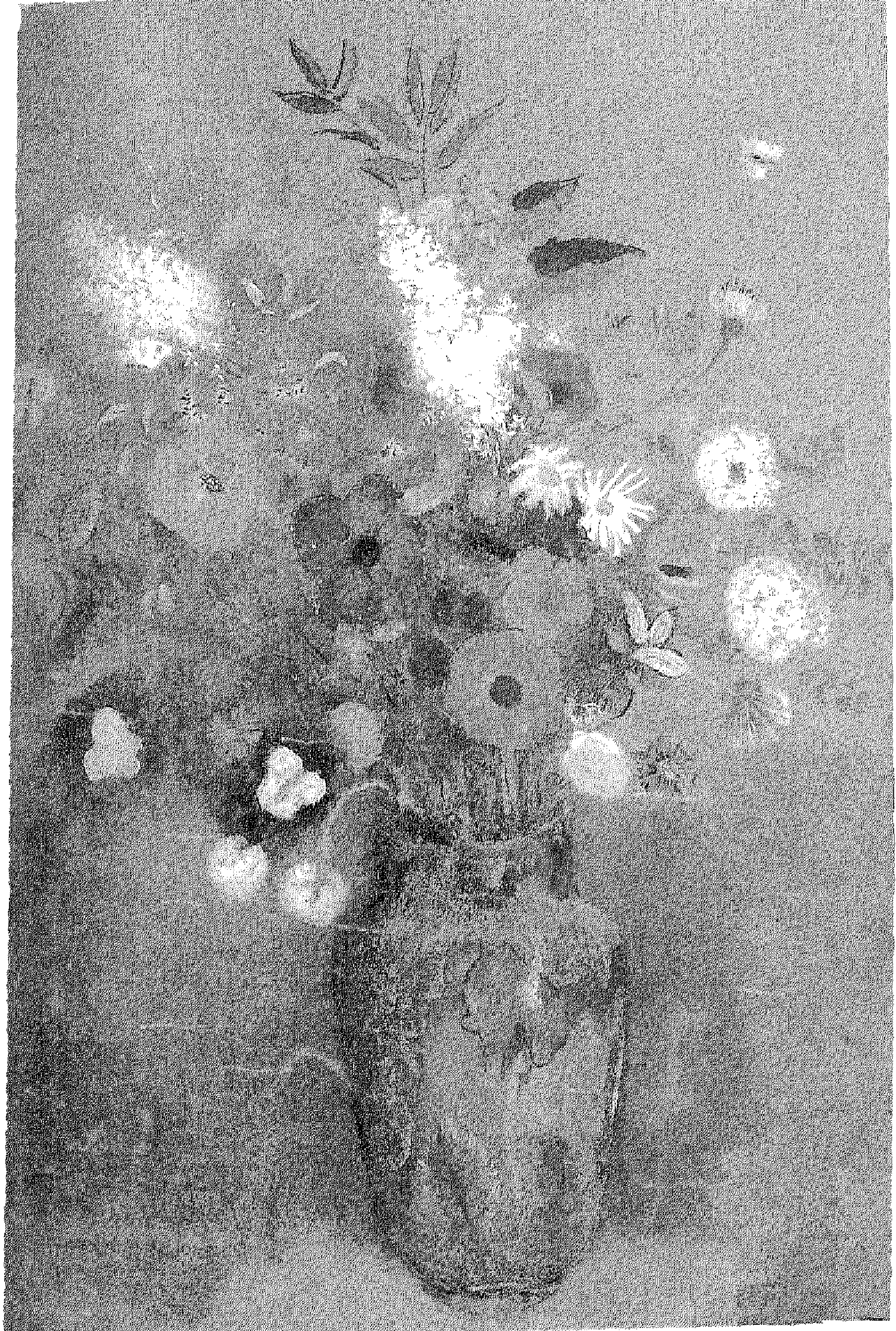
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.



* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص. ب ٥٥٢٣٨، المتن الشمالي، لبنان.



Courtesy of The Metropolitan Museum of Art

"باقة زهر" للرسام الفرنسي أوديلون رودون